

المنهج الرباني في شرح المنظومة الرحمانية للإمام مصطفى بن عبد الرحمن باش تازي القسنطيني

تقديم
فضيلة الشيخ مأمون الفاسمي الحسني

دراسة وتحقيق
الدكتور موسى إسماعيل

الجزء الأول

مشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر -
قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015م

الْمَنْسُوحُ السَّيِّئَةُ

فِي شَرْع

الْمِنْظُومَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ

لِلدَّامِ مُطْفِئِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاشَا تَلَّازِي الْفَسْطَاطِيَّةِ

تقديم

فضيلة الشيخ مأمون الفاسمي الحسني

دراسة وتحقيق

الدكتور موسى إسماعيل

الجزء الأول

محفوظ جميع الحقوق

الطبعة الأولى

1437هـ / 2016م

الردمك: 3- 45- 392- 9931- 978

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ مأمون القاسمي الحسني

رئيس الرابطة الوطنية لزوايا الطريقة الرحمانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الرحمت،
وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات.

وأفضل الصلاة وأتمّ السّلام على سيّد الكائنات، سيّدنا وحبينا
محَمَّد، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والمكرمات.

أمّا بعد؛ فإنّ «المنظومة الرحمانية» للشيخ عبد الرحمن الباش
تارزي، رحمه الله، تعدّ مرجعاً للطريقة الرحمانية، تبين أصولها
وأركانها، وتوضّح آداب التربية المعتمدة فيها.

وقد نوّه بفضلها كثير من أئمة تصوّف وعلماء التّربية؛ من
أبرزهم الشيخ محمّد بن عزوز البرجي رحمه الله، الذي قال عنها:
«...وعليكم بالرحمانية، فإنّ فيها كيفية الطريق وعلاماتها وغير
ذلك...»⁽¹⁾.

وقال عنها الشيخ عبد الحفيظ الخنقي رحمه الله: «...خصوصاً
«الرحمانية»، تفيد المبتدي ومن مثلي يقتدي؛ وتعينه على أمر الدّين،
وتبيّن له كيفية الطريق الموصل إلى التحقيق، وأدبه وشرطه، وما

(1) تعطير الأكوان للشيخ محمد الصغير المختاري (ص: 124).

يترتب عليه من الفقه والتوحيد، وما يجب في حقه وما لا يجب، إلى غير ذلك...»⁽¹⁾.

ووصفها الشيخ عبد الحميد بن باديس، رحمه الله، بأنها: «... ذات الأسرار الربّانية، الجامعة لأصول الطريقة الخلوتية، وآداب التربية الشرعية، الدّالة على علم ناظمها وبركتها، بما نفع الله بها، من أتباعه وتلامذته..»⁽²⁾.

والكتاب الذي بين أيدينا هو شرح لهذه المنظومة، ألفه الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن الباش تارزي، رحمه الله؛ وسماه: «المنح الربانية في بيان الطريقة الرحمانية».

شهد هذا الكتاب انتشارا واسعا لدى أتباع «الرحمانية»؛ نظراً إلى أهميته البالغة في معرفة أصول الطريقة وآدابها؛ وفيه الدليل إلى الطريق الموصل إلى التحقيق.

وقد وفق الله إلى تحقيقه العالم الفاضل الدكتور موسى إسماعيل؛ وهو من عرفناه ملتزماً بمرجعيتنا الدينية الجامعة؛ كما عرفناه فقيهاً محققاً، يتميز بجميل الخصال، ويتحلّى بمكارم الأخلاق. ولقد سررنا بما وفقه الله إليه؛ وحمدناه تعالى على ما أعانه عليه؛ والله نسأل أن يمنّ عليه بدوام التوفيق والسداد، ويسلك بنا جميعاً سبيل الهداية والرشاد.

(1) الجواهر المكنونة للشيخ عبد الحفيظ الخنقي (ص: 112).

(2) المنظومة الرحمانية للشيخ عبد الرحمن الباش تارزي، تصحيح الشيخ عبد الحميد بن باديس (ص: 38 - 46).

إننا نثمن هذا الجهد العلمي، لأنه يندرج ضمن المنهج التربوي الذي يجمع، في انسجام وتوازن وتكامل، بين الجانب التشريعي والجانب الروحي من تعاليم الإسلام، لترتبط الحياة الروحية بالحياة الاجتماعية؛ وهو المنهج الصحيح لبناء الحياة الإسلامية المتوازنة. فمن شأن هذا المنهج تكوين الفرد المسلم تكويناً متكاملًا، روحياً وخلقياً، واجتماعياً؛ وتثقيفه بالثقافة الحقيقية، التي تتطلب صفاء الروح، ويقظة الوعي، ليعيش داخل مجتمعه، يحمل ضميراً حياً، وعقلاً راشداً، وفكرًا نيرًا.

والتربية الروحية هي الوسيلة المثلى للحياة الإسلامية المتوازنة المتكاملة. فهي التي تغذي مشاعر الأخوة والمحبة والرحمة؛ وترسخ قيم التعاون والتضامن والتكافل. وهي التي تجعل المسلم يحرص على كمال عبادته، ليزداد قرباً من الله، ويحظى بمحبته، ويفوز برضوانه. وكمال العبادة وصدقها تتجلى ثمارها في حسن الأخلاق، وفي السلوك الفردي والجماعي، واتزان القيم والموازن. فالميزان الذي لا يخطئ في معرفة صحة العبادات وصدقها هو ما تثمره في الحياة الخاصة والعامة، من صفاء وعدل وإحسان، وأخوة وإيثار، ووضع مصلحة الأمة فوق كل اعتبار.

إن الإسلام هو أعظم دين أغنى الحياة الروحية، ورسم معالمها، ووضع لها أسسها ومقوماتها. وقمة الحياة الروحية تتجلى في سيرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المثل الكامل للسمو الروحي، والعظمة الأخلاقية، والترقي في مدارج الكمالات الإنسانية. فهو خير

من وازن بين متطلّبات الروح ومطالب الجسد، بين المثل والواقع، بين حقوق الله وحظوظ النفس. ومن بعده خلفاؤه وأصحابه، وتلاميذهم والتابعون لهم بإحسان. أولئك الأخيار الذين كانوا يعبدون الله ويتّقونه حقّ تقاته؛ وكانوا على تقواهم واستقامتهم، يخشون الله ويرهبونه، وكأنّ النار لم تخلق إلّا لهم؛ يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة، ويحثّون إليها مطاياهم؛ ويجعلون من رضوان الله غايتهم ومناهم.

إنّ ميزة الإسلام، أنّه لم يعتبر الإنسان روحا خالصة، ولا جسما فحسب؛ وإنّما اعتبره مزيجاً بين الاثنين، وأقام تعادلا بين هذا التركيب؛ وشرع من الدّين ما يعطي الروح صفاءها وإشعاعها؛ ويعطي الجسم مطالبه ويلبّي حاجاته؛ ودعا إلى إقامة توازن بين أخذ الإنسان حظّه من الدنيا وسعيه للآخرة. فهو يدعو إلى عبادة الله تعالى العبادة التي تجعل الإنسان يقبل على الدنيا، في الحدود التي حدّدها الله؛ فيستمتع بالحياة، في غير إسراف، ويكون سيّد المادة، لا عبداً لها. فالمطلوب من الإنسان أن يأخذ نصيبه من دنياه، ولا يضيع العمل لأخراه.

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) (١).

(١) سورة القصص: ٧٧.

ومن شأن السالك طريقه إلى الله أن يعمل للدنيا بمقدار الحاجة، يريد بعمله العبادة والعبودية لله، فخير الناس من لا يجعل الدنيا أكبر همّه ولا غاية أمله؛ بل يؤثر آخرته على دنياء، فتتجه عنايته إلى الآخرة، يسعى لها سعيها، لأنها دار الجزاء الأوفى والنعيم المقيم، والله تعالى يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝١٩ كَلَّا نُمَدِّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ (١).

هذا هو منهج التصوّف في الإسلام. وهذه هي الطريق أو الطريقة: عمادها العلم والمعرفة، ونهجها سلوك الطريق باستقامة واعتدال؛ وهو منهج الإسلام، دين الوسطية والاعتدال. فالطريقة تجمع بين الشريعة والحقيقة، أي بين الإسلام والإيمان؛ فهي مقام الإحسان. وقد قال أهل العلم: إنّ الشريعة بلا حقيقة عاطلة. والحقيقة بلا شريعة باطلة؛ ونسب إلى الإمام مالك، رحمه الله، قوله: من تفقه ولم يتصوّف فقد تفسق. ومن تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق. ومن تفقه وتصوّف فقد تحقّق!.

ذلكم هو التصوّف، بصورته الناصعة؛ إنّ روح الإسلام؛ والمحروم منه محروم من أهمّ ثمرات الإسلام. إنه حياة روحية

(١) سورة الإسراء: 18 - 21.

صافية، واستقامة على الطريق، ومجاهدة للنفس وأهوائها. فهو حقيقة الإيمان، ومقام الإحسان. هو علم وعمل، وتربية ودعوة، وأدب ومحبة، وعبادة ورياضة، وسلوك عمليّ إلى رحاب الأسرار والأنوار، على معارج المراقبة والمجاهدة، وطريق الصفاء والوفاء.

وتلكم هي الحياة الإسلامية المتكاملة، التي توازن بين المادّة والروح؛ بل تتجاوز المادّة إلى الروح، والدنيا إلى الآخرة؛ وترتفع بالإنسان المخلوق إلى معرفة خالقه، وعبادته ومحبته، وإيثاره على كلّ ما سواه؛ عن طريق تزكية النفس، ومجاهدتها في الله، حتى يهديها سبيله، وتنتصر على أهوائها وشهواتها، الظاهرة والباطنة. فلا فلاح للنفس البشرية إلا بالتزكية؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩﴾⁽¹⁾.

إنّ الإنسان، أينما كان، بحاجة إلى البعد الروحيّ ليستعيد توازنه وانسجامه. فما أخرج البشرية إلى هدي الإسلام، لتحرّر من عبودية الدنيا، وترتقي إلى عبودية الله!

ما أحوجنا، نحن المسلمين، إلى المنهج الربّاني الذي يصل الإنسان بربه، ويرسخ الإيمان في قلبه. المنهج الذي يسعى في غاياته إلى ترقية الحياة الروحية، دون إهمال متطلبات الحياة المادية.

هذا؛ وليكن مسكّ الختام: الدعاء في هذا المقام، نسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذه المنظومة المباركة، وينفعنا ببركات ناظمها

(1) سورة الشمس: 7 - 9.

وشرّاحها، ويجعلنا من أهل محبتهم، ويلحقنا بزميرتهم، فالمرء مع من
أحبّ، وإن لم يعمل بعمله.

كما ندعوه سبحانه أن يجزي محققها ومن يعين على نشرها
ويسعى لتعميم نفعها، خير ما يجزي به العاملين المخلصين، والله لا
يضيع أجر المحسنين.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى رحمة ربّه السيّد محمّد المأمون مصطفى
القاسمي الحسني.

خادم العلم الشريف في المقام القاسمي، رئيس الرابطة
الرحمانية للزوايا العلمية.

وحزّر ليلة 27 رمضان 1436هـ، الموافق 14 جويلية 2015م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: يعد كتاب المنح الربانية في بيان الطريقة الرحمانية من أهم مصادر التصوف الإسلامي الجزائري، وخاصة عند أبناء الطريقة الرحمانية، فصاحب المنظومة من أبرز وأهم تلاميذ مؤسس الطريقة، وشارحها هو ابنه وحامل لوائه من بعده، لذلك كان إخراج هذا الكتاب ضروريا لعدة أسباب، منها البحث في طبيعة التصوف ومعرفة أصوله وقواعده، والكشف عن مناهج الصوفية في التربية والإصلاح الفردي والجماعي، وما يمكن الاستفادة من تلك التجارب في عالمنا المعاصر لمواجهة التحديات وحماية الأمن الداخلي من الأفكار الوافدة التي تقضي على خصوصيات المجتمع وتؤثر في حاضر الأمة ومستقبلها.

وإن البحث في الطريقة الصوفية الرحمانية لا يزال بكرا، وما أُنجَزَ حولها من أبحاث غير كاف، خاصة وأن هذه الطريقة تميزت عن غيرها من الطرق الصوفية، لأن صاحبها أي الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري رحمه الله تعالى استطاع أن يعطي للفكر الصوفي بُعْداً تربويا واجتماعيا وسياسيا جديدا، فالزعامة في الطرق الصوفية وخاصة في بلدان المغرب الإسلامي كانت وما تزال مربوطة

بالشيخ وسلالته، بينما الشيخ ابن عبد الرحمن خرج عن هذا التقليد المألوف وجعل الطريقة مربوطة بالرجال الأكفاء مهم كانت بلدانهم أو تباينت عروشهم، ولذا نجده يوصي الشيخ علي بن عيسى المغربي أن يتولى شؤون الزاوية الأم في آيت اسماعيل من بعده.

كما أن هذه الطريقة عرفت انتشارا واسعا قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، تجلّى ذلك في كثرة الأتباع من الرجال والنساء، وعدد الزوايا التابعة لها، ولم تكن الطرق الأخرى رغم أقدميتها تنافسها في ذلك.

والملاحظ أيضا أن هذه الطريقة اهتمت بالجانب التعليمي، فمدارسها وزواياها كانت معروفة ومشهورة بالتعليم القرآني، وتدرّس العلوم العربية والشرعية، وهي بالمقارنة مع غيرها من المدارس والزوايا رائدة في هذا المجال.

كما اهتمت أيضا بالجانب الاجتماعي، من خلال ما كانت تقدمه من خدمات ومساعدات للعائلات المعوزة، ورعاية شؤون الأيتام، والتكفل بعابري الطريق.

وكان لها أسلوبها في إصلاح ذات البين وجمع الكلمة وصيانة الأسرة والقرية والبلد من أي تصدع أو اختلال، ولذا نجد في المناطق التي انتشرت فيها الطريقة الرحمانية العقل الجمعي الذي يسيطر على الجماعة، فالجماعة أو ما يسمى في مناطق زاووة «تاجمعت»، كانت المرجع في التوجيه والتعبئة، ولا يمكن لأي شخص مهما كانت مكانته أن يخالف رأي الجماعة أو يتمرد عليه، وإلا كان عنصرا منبوذا في المجتمع، لا يمكنه إلا الانصياع لما عليه رأي الجماعة أو الخروج من القرية والتحول عنها.

ومما يميز هذه الطريقة أيضا البعد الثوري الذي يحمله أتباعها، وكثير من رجال المقاومة هم من أبنائها ومريديها، وهذا ما جعل الاستعمار الفرنسي يضيق الخناق على نشاطهم، ويغلق الكثير من مدارسهم، أو يهدم زواياهم، أو يفرض الإقامة الجبرية على أئمتهم، أو ينفي آخرين منهم إلى كليدونيا أو غيرها من المستعمرات الفرنسية.

وما ذكرناه من الأسباب وغيرها دفعت الاحتلال الفرنسي إلى البحث في هذه الطريقة، محاولا بذلك الكشف عن مكان القوة والضعف فيها لضربها وتمزيق شملها، وكثير من الأبحاث والدراسات التي قدمها رجال الفكر الاستعماري منذ أن وطئت أقدامه الجزائر، تفيد أن السلطات الاستعمارية أدركت الخطر الذي يهددها من قبل هؤلاء، فجندوا أنفسهم للقضاء عليهم أو على الأقل لاختراق صفوفهم وإضعافهم وكسب تأييدهم.

وترجع قصتي مع هذا الكتاب إلى سنة 1980، لما عثرت على نسخة عتيقة منه، تصفحتها أولا ثم قرأتها، واستفدت من بعض ما جاء فيها، فهمت بعض النصوص واستعصى علي فهم الباقي لعدم معرفتي حينها بمصطلحات القوم وإشرااتهم.

ولما اختيرت قسنطينة عاصمة للثقافة العربية لسنة 2015، عقدت العزم على أن أرجع إلى الكتاب بعد غيبة طويلة، لإعادة قراءته مرة ثانية، ودراسته دراسة علمية، وتحقيقه تحقيقا دقيقا، وإعادة نشره وفق مناهج البحث العلمي وقواعد التحقيق.

وعملت على أن أجد له نسخا مخطوطة كافية لإخراج النص صحيحا كما أَراده مؤلفه، فرجعت إلى فهارس المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وسعدت غاية السعادة لما عثرت على نسخة كاملة منه، منسوخة من نسخة المؤلف، ثم واصلت البحث عن نسخ أخرى في المكتبات الخاصة، ولما علمت بوجود نسخة أخرى بزاوية الهامل في مدينة بوسعادة، انتقلت إليها حيث وجدت حسن الترحاب وكرم الضيافة والاستقبال، ولما أعلمت صاحب السعادة الشيخ الفاضل مأمون القاسمي - حفظه الله ورعاه - بما عزمت عليه، رحب ولم يخفي الإعجاب ودعا لي بالتوفيق ومن مثله الدعاء يُستجاب، وأنا ممتن أيضا لأمين مكتبة الزاوية العامرة الشيخ أبي الأنوار دحية - حفظه الله -، على تمكيني من النسخة المخطوطة، ومساعدتي على تصويرها.

واكتملت الفرحة لما أُخْبِرْتُ عن مكان النسخة الثالثة، في معهد تكوين الإطارات الدينية سيدي عبد الرحمن الإيلولي بتيزي وزو، فخرجت أطوي المراحل دونها، وأنا شاكر للسيد إبراهيم تواتي مدير المعهد والأستاذ فريد عتيق، على إتاحة الفرصة لي لقراءة النسخة ثم تصويرها.

وحرصا مني على إفادة القارئ المحترم، فقد قسمت عملي في هذا الكتاب إلى قسمين: قسم دراسي، وقسم تحقيقي.

أولا: قسم الدراسة.

واشتمل هذا القسم على ما يلي:

- 1 . التعريف بصاحب الطريقة سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري رحمه الله.

2 . التعريف بصاحب المنظومة الشيخ عبد الرحمن باش تارزي، وكذلك شارحها وهو ابنه مصطفى .

3 . التعريف بالمنظومة وشرحها .

4 . وصف النسخ المخطوطة التي اعتمدتها في تحقيق النص .

ثانياً : قسم التحقيق .

اتبعت فيه المنهجية العلمية المعتمدة في التحقيق، فكانت خطوات العمل كالآتي :

1 . إخراج النص إخراجاً سليماً، وذلك بالمقابلة بين النسخ واختيار النص الأصح .

2 . كتابة النص حسب القواعد الإملائية الحديثة، وضبطه بعلامات الوقف والترقيم .

3 . إثبات الفروق الموجودة بين النسخ المعتمدة في الهامش .

4 . تمييز أبيات النظم وتشكيلها وترقيمها .

5 . ضبط الآيات القرآنية الواردة في الكتاب، وبيان مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية .

6 . ضبط الأحاديث النبوية الواردة في النص، وتخريجها من مصادرها، وبيان درجتها من حيث الصحة والضعف .

7 . ضبط الشواهد الشعرية ونسبتها إلى قائلها ما أمكن .

8 . توثيق النصوص التي صرح الشارح بنقلها، وذلك بعزوها إلى قائلها، وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية .

9. شرح الكلمات الغريبة اعتمادا على المعاجم اللغوية.

10. التعريف بالأعلام الذين ورد ذكرهم في ثنايا الكتاب، إلا فيما خفي علي منهم.

11. وضع عناوين جزئية ليسهل على القارئ فهم الكتاب والاستفادة منه، وجعلها بين معقوفتين لتمييزها عن أصل الكتاب.

12. التعليق على بعض المسائل التي أوردتها الشارح كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

13. وضع فهرس فنيّة تفصيلية تيسّر الإفادة من الكتاب.

وفي الأخير أرجو من الله تعالى أن أكون قد وُفِّقْتُ فيما قصدت إليه، وهو المعين والهادي للحق المبين، فإن أصبت فله الحمد والمنة، وإن أخطأت أو قصّرت فأستغفر الله العظيم، وأسأله الهداية والسداد.

كما أسأله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في النية والقول والعمل، وأن يبارك في هذا الجهد والعمل، وأن يغفر لي ولمصنّفه وكل من ساهم في إخراجه ونشره، وكل من طالعه وقرأه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله وآله وأصحابه أجمعين.

مدينة الجزائر في يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان
1436هـ.

الموافق السابع عشر من جويلية 2015م.

الفصل الأول

في التعريف بشيخ الطريقة الرحمانية

ويشتمل على مبحثين:

الأول: الحياة الخاصة للشيخ امحمد بن عبد الرحمن.

والثاني: التعريف بالشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي.

المبحث الأول

الحياة الخاصة والعلمية للشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن

ويشتمل على مطلبين:

الأول: حياة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخاصة

والثاني: حياة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن العلمية

والثالث: آثار الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن

المطلب الأول

حياة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخاصة

اسمه ونسبه.

هو سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أحمد بن يوسف الحسيني الزواوي القجطولي السماعيلي البوعلاوي الأزهري الخلوتي المالكي.

وقد وصف نَسَبُهُ بنفسه في نهاية إجازته الفقهية للشيخ يحيى بن سيدي عيسى بقوله: «وكتبه الفقيرُ الحقيرُ الراجي عفوَ مولاه، خَمِيلُ الزمان والمكان، أحقر الأقران محبّ الإخوان في الشأن، مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أحمد بن يوسف الأزهري مجاورةً في مصر القاهرة، الزواوي إقليمًا، القجطولي قبيلة، السماعيلي عرشًا، البوعلاوي قرية، المالكي مذهبًا»⁽¹⁾.

1 . الحسنِي: نسبة إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم جميعًا.

وقد وُجِدَ نسبه مكتوبًا في لوحٍ مُعلّقٍ في محراب ضريحه قُرب حامة الجزائر⁽²⁾.

(1) انظر تعريف الخلف برجال السلف (466/2).

(2) انظر تعريف الخلف برجال السلف (457/2).

فهو مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن طلحة بن جعفر بن محمد العسكري بن عيسى الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق عبد الله بن حمزة بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

2. الزواوي: نسبة إلى منطقة زواوة.

3. القشطولي: نسبة إلى قبيلته قشطولة.

وقشطولة أو كشطولة في تعريف (آلان ماهي - Alain mahé) في الخريطة التي أثبتتها في دراسته عن تاريخ القبائل الكبرى، تحوي عدة مداخل وهي: «فريقات، وبنو اسماعيل، وبنو منداس، وبنو بوعدة، وأهل ذراع إيمولة، ومشترة، وبنو كوفي، وبنو بوغردان، وشرفة قينيل ككن»⁽¹⁾.

4. السماعيللي: نسبة إلى عرشه آيت اسماعيل.

5. البوعلاوي: نسبة إلى القرية التي ولد فيها.

6. الأزهري: نسبة إلى جامع الأزهر الشريف بمصر، حيث درس وجالس أئمة العلم.

7. الخلوتي: نسبة إلى الطريقة الصوفية الخلوتية التي سلكها

(1) انظر: Alain mahé, Histoire de la grande kabylie, édition bouchène, 2001, p 87.

وبنى طريقته عليها.

8. المالكي: نسبة إلى المذهب المالكي.

كنيته.

يكنى بأبي عبد الله⁽¹⁾.

مولده.

وُلِدَ الشيخ بقرية بوعلاوة بآيت سماعيل بقشطولة ما بين سنتي 1126 و 1133 هجرية الموافق 1714 و 1721 ميلادية⁽²⁾.

أسرته.

ينحدر من أسرة شريفة من العترة النبوية الشريفة، حيث يتصل نسبها بآل الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنهم، أصلها من المغرب الأقصى، جاءت إلى الجزائر واستوطنت زواوة بعرش آيت اسماعيل⁽³⁾.

كان له أخ شقيق يسمى محمد، وهو الذي أتى إلى مصر وطلب منه الرجوع إلى الجزائر، ولا يزال أحفاد أخيه إلى يومنا هذا في آيت اسماعيل، واللقب العائلي الذي صار يطلق عليهم الآن هو «جاوي».

(1) انظر فهرس الفهارس (1001/2).

(2) انظر تاريخ الجزائر العام (268/4).

(3) انظر زوايا العلم والقرآن بالجزائر لمحمد نسيب (ص: 151).

نشأته.

نشأ الشيخ وتربى تربية حسنة في كنف أسرة شريفة طيبة، ورثت عن آبائها السالفين حسن الأخلاق مع فضل الديانة، وشرف النسب الطاهر مع كرم التقوى وصلاح الظاهر والباطن.

زواجه.

تزوج في القاهرة وهو لا يزال طالباً للعلم، مع امرأة حبشية، قيل إنها من «دارفور»، وقد رافقته بعد رجوعه إلى الجزائر واستمرت في خدمته إلى أن ماتت رحمها الله ودُفنت بزاويته في آيت اسماعيل، ولم يُعقب منها، ولم يعد الزواج بعدها فلم يخلف من نسله أي ولد.

صفاته.

كان الشيخ ورعا زاهدا، متقشفا في معيشته، حسن السيرة، مشغلا بنفسه، وكان صالحا متنسكا ينحو منحى الصوفية في التقلل من الدنيا والإقبال على العبادة والأوراد والاعراض عما لا يعنيه، متأثرا في ذلك بشيوخه⁽¹⁾.

(1) انظر تاريخ الجزائر العام (268/4).

المطلب الثاني

حياة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن العلمية

تعلمه في الجزائر.

بدأ تعلمه منذ صغره في قريته، وكانت بدايته مع القرآن الكريم، فحفظه وتعلم المبادئ العلمية.

غير أن نفسه تاقَت للمزيد من التحصيل والاستفادة، فانتقل إلى قرية آيت ايراثن التي تبعد عن قريته بما يقارب أربعين كيلومترا، حيث وجد بغيته عند علامة زواوة في زمانه الشيخ أبي علي الحسين (الصدّيق) بن آعراب، الذي زار مصر وتلمذ عن الشيخ الخرشي المالكي وغيره وعاد إلى الجزائر بثقافة شرعية ولغوية واسعة⁽¹⁾.

تلقى عنه علوما كثيرة واستفاد منه استفادة كبيرة، وكان من جملة رفقاءه في التعلم الشيخ محمد بن بلقاسم التاجدوي.

ثم انتقل إلى مدينة الجزائر وأخذ عن أئمتها.

رحلته إلى المشرق العربي.

كان شيخه أبو علي الحسين (الصدّيق) بن آعراب، قد نصحه بأن يتوجه إلى بلاد المشرق العربي ليستفيد من مدارسها ويجالس علماءها، وتحقيقا لهذه النصيحة من شيخه، خرج الشيخ مُحَمَّد بن

(1) انظر فهرس الفهارس (1001/2)، وتاريخ الجزائر العام (268/4).

عبد الرحمن متوجها نحو المشرق سنة 1152هـ - 1740م وهو في ريعان شبابه⁽¹⁾، فقصده الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج وسنة العمرة، وبعدها عاد إلى مصر ونزل بمدينة القاهرة وحطّ رحاله بالأزهر الشريف مجاورا برواق المغاربة.

شيوخه بالأزهر.

أخذ في الأزهر الشريف عن جماعة من كبار العلماء في تلك الحقبة، ومن أشهر من تتلمذ عليهم نذكر منهم ما يأتي⁽²⁾.

1 - علي بن خضر بن أحمد العمروسي المالكي الأزهري⁽³⁾.

وهو من فقهاء المالكية، اختصر مختصر الشيخ خليل في نحو الربع، ثم شرحه في مجلدين، وله حاشية على إتحاف المريد شرح جوهره التوحيد، ورسالة في فضائل النصف من شعبان.

توفي رحمه الله سنة 1173هـ - 1760م.

2 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف بالمنور التلمساني، دفين مصر، العلامة الأديب المسند الرحالة⁽⁴⁾.

(1) ذكر العلامة عبد الرحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العام (268/4) أن الشيخ حين ذهب إلى الحج كان يبلغ من العمر تسع عشرة سنة، وما ذكره مبني على أنه وُلِدَ في سنة 1133هـ - 1721م.

(2) انظر تعريف الخلف برجال السلف (458/2)، وتاريخ الجزائر العام (268/4).

(3) له ترجمة في: تاريخ عجائب الآثار (301/1)، والأعلام (284/4 - 285)، ومعجم المؤلفين (86/7).

(4) له ترجمة في: فهرس الفهارس (570/2 - 571)، ومعجم المؤلفين (202/10).

أخذ عنه الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن وأجازه إجازة عامة بكل ما يرويه عن شيوخه⁽¹⁾.

توفي رحمه الله بمصر بعد رجوعه من الحج سنة 1173 هـ .
1760 م.

3 - الشيخ أبو المكارم شمس الدين محمد بن سالم بن أحمد الحفني أو الحفناوي الشافعي الخلوتي الأزهري⁽²⁾.

فقيه محدث فرضي، ونحوي بياني، وعالم في الرياضيات، ومن أقطاب الصوفية، تعلم في الأزهر الشريف وتولى التدريس فيه وولي مشيخته.

مصنفاته كثيرة ومتنوعة منها: الثمرة البهية في أسماء الصحابة البدرية، وحاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، وحاشية على شرح رسالة العضد للسعد، وحاشية على الجامع الصغير للسيوطي.

قال الكتاني⁽³⁾: «هذا الرجل وقع له من القبول في عصره في جميع

(1) انظر فهرس الفهارس (571/2).

(2) له ترجمة في: تاريخ عجائب الآثار (339/1 - 341)، وسلوك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (49/4 - 50)، وفهرس الفهارس (353/1 - 354)، والأعلام (6/134 - 285)، ومعجم المؤلفين (15/10 - 16).

(3) هو أبو الفيض محمد عبد الحَي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، الإمام العلامة الرحالة المحدث، الجامع لعلوم المنقول والمعقول، توفي رحمه الله سنة 1382 هـ - 1962 م.

له ترجمة في: مقدمة كتابه فهرس الفهارس (1/1 - 28)، والأعلام للزركلي (6/187 - 188)، ومعجم المؤلفين (10/185 - 186).

الأقطار الإسلامية ما لم يحصل لغيره»⁽¹⁾.

توفي رحمه الله في 17 ربيع الأول سنة 1181هـ. 1767م.

لازمه الشيخ مُحَمَّد، وتابع دروسه، وأخذ عنه الطريق، وتلقن منه الأسماء والذكر، وأجازه، وألبسه التاج الخلوتي.

4. الشيخ علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى المالكي الأزهرى⁽²⁾.

قال الجبرتي⁽³⁾: «الإمام الهمام، شيخ مشايخ الإسلام، عالم العلماء الأعلام، إمام المحققين، وعمدة المدققين»⁽⁴⁾.

كان رحمه الله يصدع بالحق، ويأمر بالمعروف وأقامة الشريعة، ويحب الاجتهاد في طلب العلم، ويكره سفاسف الأمور.

له مصنفات كثيرة منها حاشية على شرح الخرشي، وحاشية على

(1) انظر فهرس الفهارس (1/353 - 354).

(2) له ترجمة في: تاريخ عجائب الآثار (1/476 - 479)، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (3/206)، وفهرس الفهارس (2/712 - 713)، والأعلام (4/260)، ومعجم المؤلفين (7/29 - 30).

(3) هو عبد الرحمن بن الحسن بن ابراهيم بن حسن الجبرتي، ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله نابليون حين احتلاله مصر من كتبة الديوان، وولي افتاء الحنفية في عهد الخديوي محمد علي الكبير، ألف عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين، توفي رحمه الله سنة 1237هـ. 1822م.

له ترجمة في: الأعلام للزركلي (3/304)، معجم المؤلفين (5/133).

(4) تاريخ عجائب الآثار (1/476).

شرح العزية للزرقاني، وحاشية على شرح القاضي زكرياء على ألفية العراقي في المصطلح، وحاشية على شرح الجوهرة لعبد السلام.

ولد سنة 1112هـ - 1700م، وتوفي رحمه الله فجأة ليلة الأربعاء في 13 ربيع الأول سنة 1189هـ - 1775م.

5 - الشيخ شهاب الدين أبو البركات أحمد بن محمد بن أبي حامد المعروف بالذّردير، العدوي المالكي الأزهري الخلوتي⁽¹⁾.
وأحد المنسوب لهم التجديد على رأس المائة الثانية عشرة من المالكية.

تولى الافتاء المالكي بمصر ومشیخة الطريقة الخلوتية بعد موت الشيخ محمد بن سالم بن أحمد الحفناوي.

من مصنفاته أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، وشرح مختصر خليل، وتحفة الإخوان في علم البيان.

ولد سنة 1127هـ - 1715م، وتوفي رحمه الله بمدينة القاهرة في 6 ربيع الأول سنة 1201هـ - 1786م.

تلاميذه.

شهرة الشيخ وصلاحه وغازاة علمه كانت كافية لأن يقصده طلاب العلم وأهل الفضل من سائر الأنحاء ويتزاحموا عليه، لينهلوا

(1) له ترجمة في: تاريخ عجائب الآثار (32/2 - 35)، وسلك الدرر (206/3)، وفهرس الفهارس (393/1 - 394)، والأعلام (244/1)، ومعجم المؤلفين (67/2 - 68).

من فيض علمه، ويقتبسوا من أنوار سيره وأحواله، فعمت بركته عليهم، وفازوا منه بأوفر نصيب، وصاروا أئمة هدى يقتدى بهم، ومصابيح هداية تنير لهم دياجير الجهالات والأوهام، وانتشروا في البلاد دعاة ربانيين، ونشروا طريقته الإصلاحية بين الناس وأدبوهم بها أحسن تأديب، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ نذكر منهم ما يأتي:

1. علي بن عيسى المغربي.

2. الشيخ محمد العمالي الجزائري⁽¹⁾.

وهو والد حميدة العمالي مفتي مدينة الجزائر.

كان شيخا صالحا، ومن تلاميذ الشيخ القطب مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري، ومن خواص أصحابه المنتمين إليه، ومن مقاديمه المحبوبين الذين عمتهم بركته وشملتهم أنواره، وكان شديد المحبة له مجدا في خدمته.

ويكفيه أنه أحد النفر الأربعة الذين قيل عنهم أنهم حملوا جثمان الشيخ خفية من زاويته بآيت اسماعيل بعد أن دفن فيها إلى مدفنه بالجزائر.

3. الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي، المتوفى في حدود عام 1221هـ أو 1222هـ الموافق لعام 1806م أو 1807م⁽²⁾.

(1) له ترجمة في: تعريف الخلف (546/2).

(2) ستأتي ترجمته مفصلة.

4 - الشيخ أبو عبد الله محمد بن عزوز البرجي الشريف الحسني المالكي الرحمانى، من أهل طولقة ببسكرة، المتوفى رحمه الله سنة 1233هـ الموافق سنة 1818م⁽¹⁾.

ولد بالبرج من صحراء بسكرة في حدود سنة 1170هـ - 1756م. من تصانيفه منظومة في قواطع المريد في التصوف وشرحها، وشرح على التلخيص.

رحل إلى الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن في العاصمة وأخذ عنه الطريقة، وأدخله الخلوة ولكنه لم يتمها لاضطراره إلى الرجوع إلى بلده بعد أن سمع هاتف أمه يناديه، فآخبر الشيخ بذلك فأمره الرجوع لزيارة أمه وقال له: إن أدركتني المنيّة من بعدك فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمن باش تارزي، فكان الأمر كما ذكره، ولازم خدمة الشيخ باش تارزي إلى وفاته، فكان تمام سلوكه على يده⁽²⁾.

أنشأ زاوية في قرية البرج بالزاب للتعليم القرآني وتدريس العلوم الشرعية والعربية، وهو الذي نشر الطريقة الرحمانية في الصحراء.

5 - أبو عبد الله محمد السعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد عليّ بن سليمان ابن أبي داوود الزواوي، المتوفى سنة 1246هـ - 1830م⁽³⁾.

(1) له ترجمة في: تعريف الخلف (2/482 - 486)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 232)، ومعجم المؤلفين (10/291).

(2) تعريف الخلف برجال السلف (2/482).

(3) له ترجمة في: تعريف الخلف برجال السلف (2/451).

وهو صاحب زاوية أقبو من بلاد زاوية⁽¹⁾.

قال الكتاني: «وهي زاوية من أكبر زوايا القطر الجزائري، انتشر عنها العلم لا سيما الفقه المالكي، حتى قال بعضهم: هي أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة، ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زاوية وما والاها إلى قسنطينة شرقاً وإلى الأغواط جنوباً وإلى المدية غرباً»⁽²⁾، اهـ.

وقال الشيخ الحفناوي⁽³⁾: «وقد تواتر أن سيدي السعيد اجتمع بشيخ الطريقة الخلوتية قطب العارفين وسيد العلماء العاملين سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وطلب منه الورد الرحماني، فأشار عليه بالعلم، وتفل في فمه، ودعا له بالسر والبركة، ومن يومئذ جلب الله الخلق إلى الانتفاع بالعلوم واغترافها من بحر الشريعة والحقيقة في زاوية تاسلنت، أعني زاوية ابن أبي داود»⁽⁴⁾.

(1) في هذه الزاوية العامة درس الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي الرحماني المتوفى سنة 1315 هـ - 1897 م، على يد الشيخ أحمد حفيد الشيخ محمد السعيد، حتى برع في الفقه المالكي؛ انظر تعريف الخلف (348/2).

(2) فهرس الفهارس (1001/2).

(3) هو أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ أبي القاسم الديسي ابن إبراهيم الغول، الشيخ العالم المحقق الفهامة المدقق، كان ملماً باللغتين العربية والفرنسية، وعين مفتي المالكية بالجزائر في سنة 1925 م، توفي رحمه الله سنة 1360 م - 1942 م. له ترجمة في: تاريخ الجزائر العام (294/5 - 304)، ومعجم المؤلفين (135/11)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 121).

(4) تعريف الخلف برجال السلف (188/2).

5 - أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد ابن سالم التجاني الماضوي، الشريف الحسني. الشيخ الإمام العارف بالله، شيخ الطريقة التجانية، العالم الرباني والمربي الشهير. ولد بقرية عين ماضي 1150هـ - 1737م، وتوفي بمدينة فاس عام 1230هـ - 1815هـ ودفن بزاويته بفاس.

تنقل في ربوع الجزائر والمغرب وأخذ عن كبار المشايخ، ثم استقر في مدينة تلمسان يدرس ويربي، إلى غاية عام 1186هـ - 1773م، بعدها خرج متوجها إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وفي طريقه عرج على جرجرة لملافاة الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري، فاجتمع به وحضر مجلسه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية.

ثم أتم الرحلة ودخل تونس ومصر والحجاز، وعاد بعدها ليستقر بتلمسان، ومكث فيها أعواما، وزار خلالها عدة حواضر كتوات وموطنه عين ماضي ومدن أخرى في الجزائر والمغرب الأقصى، لتنتهي به الرحلة في الأخير إلى مدينة فاس حيث كانت وفاته رحمه الله⁽¹⁾.

(1) له ترجمة في تعريف الخلف برجال السلف (38/2 - 42)، وتاريخ الجزائر العام (273/4 - 277)، وشجرة النور الزكية (ص: 378)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 62).

المطلب الثالث

آثار الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن

كان معظم انشغال الشيخ بالتعليم وتربية المريدين وتوجيه المسترشدين وخدمة القاصدين لزاويته، كما كان في أكثر أوقاته مواظبا على إقامة الأذكار وقراءة الأوراد في العشي والإبكار، فلم يتفرغ للكتابة والتأليف إلا فيما تمس إليه الحاجة من النصح والإرشاد ومراسلة الإخوان وكتابة الإجازات لطلابه ومريديه.

وقد خلف بعده مجموعة من الرسائل العلمية في بيان الطريقة والتعريف بأركانها وشروطها وآدابها، كما ترك عددا من الرسائل الإخوانية التي كان يرسل بها إلى الشيوخ وأفاضل أصحابه.

ومما نأسف له أن هذه الرسائل لا تزال غير مطبوعة ولا متاحة لمن يريد الاستفادة منها أو الاطلاع عليها.

وعن ذلك يقول الشيخ الحفناوي: «وللشيخ رضي الله عنه رسائل كثيرة في تعليم الخلق وإرشادهم إلى طريق الخير، اعتنى بجمعها أكابر رجال طريقته، ولم تطبع، ولو طبعت لكانت مجلدا كبير الحجم كثير العلم»⁽¹⁾.

ومما وصلنا من مؤلفاته وذكرها أصحابه وتلاميذه نذكر ما يأتي:

(1) تعريف الخلف برجال السلف (460/2).

1. رسالة فتح الباب عني⁽¹⁾.
2. رسالة صفة فتح الباب وختم الكتاب⁽²⁾.
3. رسالة طي الأنفاس.
4. دفتر الدفاتر.
5. قيد الأزهرى على تأليف الشيخ عبد الله الريفاوى.
- وهو شرح لقصيدة «قوته قولى» لصاحبها عبد الله بن عبد الله بن محمد الريفاوى⁽³⁾.
6. زلزلة النفوس، وكان لا يفارقه لعزته عليه.
7. شرح لامية الزقاق⁽⁴⁾ في الأقضية، قال عنه: إنه ألفه بإذن شيخه الحفناوى.
8. مجموعة من الرسائل الإخوانية، ضَمَّنَهَا وصايا بليغة وإرشادات نافعة وآداب فاضلة.

(1) يوجد منها نسختان مخطوطتان بزاوية علي بن عمر بطولقة.

(2) توجد منها نسخة مخطوطة بزاوية علي بن عمر بطولقة.

(3) توجد منه نسخة مخطوطة بزاوية علي بن عمر بطولقة.

(4) هو أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد التجيبي الفاسي، المعروف بالزقاق، كان عارفاً بالفقه متقناً لمختصر خليل، مشاركاً في فنون من النحو والأصول والتفسير والحديث والتصوف، من مصنفاته المنهج المنتخب إلى أصول عزيت في المذهب، ونظم لامية في علم القضاء، توفي رحمه الله سنة 912هـ - 1506م.

له ترجمة في: نيل الابتهاج (ص: 343)، وكفاية المحتاج (ص: 263)، ودرة الحجال (ص: 407)، وشجرة النور الزكية (274/1).

9 . قصائد شعرية، منها قصيدة عصماء في الحنين إلى المدينة المنورة وزيارة ساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، عنوانها: «تحريك الساكن، وتهيج الشوق الكامن في زيارة طيبة ومن بها ساكن»، وقد ذكر العلامة المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي إلى أنها لم تُذكر في جملة مصنفاته ولم يُشر إليها من ترجم له، فأوردناها كاملة في تاريخه⁽¹⁾.

ونحن نوردها لتعميم الفائدة:

دعاني الهوى والشوق ألق ما بيا	وحادي الرّكاب حنّ بالعيش غاديا
فحرّك مني في حشاي سواكنا	إلى ساكن الحمى وهاج فؤاديا
وطار قلبي من شجوني شجونَه	وفاضت دموعي من عُيوني سواقيا
شُغِفْتُ بدارٍ لو يُساعدني الهوى	بزورتها أعطيت نفسي وماليا
وبعث العزيز في الأعزّ وإنه	أعزّ وأغلى من نفيس حياتيا
وما الحبّ حتى يُسلم العبد نفسه	ويُسمع من يفنى بما كان فانيا
ولو كانت الدنيا لديّ بأسرها	وأنفقتها فيكم لما كنت وافيا
ولو كان في طوقي لجئت دياركم	على حدق الأجفان والخذ ساعيا
ديار مغانٍ للحبيب وطالما	لشوق الديار بُت لي لي صاليا
أكابد نار الشوق في كبد الحشا	كأن بها لسع القلوب المكاويا

(1) تاريخ الجزائر العام (4/ 269 - 171).

وَأَشْكُو صَرِيحَ الْبَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَلَى شَوْقِكُمْ تَبَقَى الْحَيَاةُ وَمَنْ يَبِيعُ
وَحَيْثُ دَعَانِي الشَّوْقُ جِئْتُكَ سَيِّدِي
وَقُمْتُ عَلَى ضَعْفِي وَعَجْزِي وَفَاقَتِي
وَأَعْمَلْتُ نَصَّ الْعَيْشِ فِي السَّيْرِ وَالسَّرَى
وَشَمَّرْتُ أَذْيَالَ الْمَسِيرِ لَطِيئَةً
وَحَلَفْتُ أَوْطَانِي وَعِزَّ عَشِيرَتِي
وَحَلَفْتُ أَفْرَاحًا صِغَارًا وَصَبِيئَةً
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عِنْدِي وَعِنْدَهُمْ
فِمَالِي حَوْلٌ وَاعْتَصَامٌ وَقُوَّةٌ
عَلَيْهِ رَمِيتُ الْجَمَلَ وَالثَّقَلَ كُلَّهُ
فَإِنْ كَانَ غَيْرِي قَدْ تَقَوَّى بِمَالِهِ
وَمَا كَانَ مَالِي فَضْلَ زَادٍ كَسَبْتُهُ
فَمَا عِنْدَكُمْ يَفْنَى وَإِنْ طَالَ مُكُتُّهُ
وَيَأْتِي رَسُولُ اللَّهِ يُسَلِّمُ جَارَهُ
فَتُحَقُّ بَضْمَانِ اللَّهِ وَارْجُ وَلَا تَخَفْ
أَحْمَلُ زَادًا لِلْكَرَامِ وَإِنِّي
فَمَنْ زَارَ دَارَ الْفَضْلِ يَحْمِلُ زَادَهُ
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَلَيْتُ وَجْهَتِي

لَعَلَّ يَعُودُ الْبَيْنُ مَنِّي تَدَانِيَا
بِرُؤْيَيْتِكُمْ عُمْرًا فَمَا بَاعَ غَالِيَا
عَلَى بُعْدِ الدَّارِ وَاسْتَحْيَتْ الْمَنَادِيَا
وَلَبَّيْتُ دَاعِي الشَّوْقِ حِينَ دَعَانِيَا
وَوَجَّهْتُ وَجْهِي لِلرَّسُولِ أَمَامِيَا
وَحَلَفْتُ كُلَّ مَا سِوَاكَ وَرَائِيَا
وَأَبْدَلْتُ بِالْبُعْدِ الصَّدِيقَ الْمُدَانِيَا
سَيَكْفِيهِمُ اللَّهُ مَنْ قَدْ كَفَانِيَا
كَفَاهُ نَصِيرًا لِلْجَمِيعِ وَمَالِيَا
وَمَا لَهُمْ إِلَّا بِرِّيَّ اعْتَصَامِيَا
عَلَيْهِ اعْتِمَادِي لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
فَتَقَوَّى إِلَهُ خَيْرِ مَالِي وَزَادِيَا
وَلَكِنْ زَادِي فَضْلُ رَبِّي جَارِيَا
وَمَا عِنْدَ رَبِّي لَيْسَ يَنْفَدُ بَاقِيَا
وَمَنْ زَارَهُ أَوْ كَانَ بِالْقُضْدِ آتِيَا
وَأَيَقِنْ بِأَنَّ الْفَضْلَ قَدْ كَانَ كَافِيَا
لِدَارِ الرَّسُولِ قَدْ شَدَّدْتُ رِكَابِيَا
كَمَنْ زَارَ بِالْمَاءِ الْبَحُورَ الطَّوَامِيَا
وَبِاسْمِكَ أَدْعُو مُصْبِحًا وَمُمَاسِيَا

وباسمك حلي وارتحالي وغيبتي وفي سفري وحضري وباديا
فلا تسلمني في الفلاة فإتني إليك رسول الله جُبْتُ الفيايا
وخضتُ البحارَ والمَهَامَةَ قاطعا تُخومَ الحِجَازِ والجبالِ الرواسيا
وهانَ عليَّ في رضاكَ ولذَّتني بنفسي ومالي ما كُنْتُ لاقيا
وجئتُ خَمِيصَ البطنِ مِنْ عَمَلِ التُّقَى وَمِنْ عَمَلِ الْأَوْزَارِ مَلَانِ خَاطِيا
عُبَيْدٌ ضَعِيفٌ آسَرْتُهُ ذَنْبُهُ عَسَى وَلَعَلَّ أَنْ يُفَكَّ رِهَانِيا

المبحث الثاني

نشاطه التربوي

المطلب الأول

نشاطه خارج الجزائر

انتقل الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن من الجزائر إلى مصر بعد أن حفظ القرآن الكريم وأتقن مبادئ العلم في التوحيد والفقه واللغة وغيرها، ليجد نفسه في الأزهر الشريف بين أساطين علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد والعربية والتصوف، فأكب عليهم يغترف من بحارهم ويستنير بأنوارهم، حتى صار من خواصهم المقربين إليهم، فارتوى الشيخ من صافي العلم والأدب، واستكمل الغاية في علومه ومعارفه، وصار في سماء العلياء بدرا، وفي فناء السناء صدرا، فأجازه كبار الفقهاء بالفتوى والتدريس، وأذنوا له في التعليم، وندبوه لإرشاد الخلق وتربية المريدين.

رحلته إلى الهند.

كان من عادة الشيخ الحفناوي شيخ الطريقة الخَلَوَتِيَّة في مصر أن يرسل خواص أصحابه من طلبته وأتباعه إلى المدن المصرية والأقاليم الإسلامية لتعليم الناس وتلقينهم ضروريات الدين الإسلامي، وتربيتهم بالآداب الشرعية وتهذيبهم بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.

والشيخ مُحَمَّد واحد من الذين اختارهم شيخُه الحفناوي وأرسله لِبَثِّ ما وَعَاهُ صدرُهُ من علم القَوْم ونشر الطريقة ودعوة الناس إليها، فخرج سائحا في الأرض وطاف البلاد حتى وصل إلى الهند ومكث بها مدة، قائما بوظيفة التعليم، وعقد مجالس الأذكار بتلك البقاع.

دخوله إلى السودان.

لما قفل راجعا من الهند عرّج على بلاد السودان وأقام ستَّ سنوات في «دارفور» يُقرئُ السلطانَ ويدعو الخلق إلى الله تعالى ويعلمهم، فأقبل عليه الناس وانتفعوا به وصار له أتباع كثير⁽¹⁾.

وعن هذه الرحلة يقول في بعض رسائله: «ثم بعثني إلى بلاد السودان وبلاد الهند، لأقرئهم جميع الفنون وإعطاء الورد، فشرعت في تربية الإخوان».

عودته إلى مصر.

بعد تلك الرحلة التي جاب فيها الأقطار ودخل الأمصار، وتغرَّبَ زمانا، أمره شيخه الحفناوي بالرجوع إلى مصر، فرجع ودخل القاهرة وألبسه الخِزْقَةَ، ثم أمره بالرجوع إلى إلى وطنه⁽²⁾.

(1) بقي أهل السودان محافظين على عهدهم للشيخ، وإلى عهد قريب بعد استقلال الجزائر، كان من السودانيين من يأتي إلى الجزائر لزيارة ضريح الشيخ للسلام عليه والدعاء، ومعبرين عن إخلاصهم في حبهم له.

(2) انظر تعريف الخلف برجال السلف (459/2).

المطلب الثاني

نشاطه في الجزائر

بعد غياب طويل عن الأهل والوطن، توجه إليه أخوه الأكبر مُحَمَّد لزيارته ومعرفة أخباره، ومن محاسن الصدف وغرائب الاتفاق أن أخاه لما دخل القاهرة وتوجه للبحث عنه في ناحية الأزهر الشريف، كان أول إنسان يلتقي به أخوه سيدي مُحَمَّد، ولم يعرفه لطول غيبته، فقد خرج شابا حدث السن أمردا لم يتجاوز العشرين ليلقاه بعد سنين عديدة كهلا من الرجال وقد بلغ من العمر واحدا وخمسين عاما، فسأله عن أخيه ولم يدر أن المقصود هو المسؤول، فقال له: الشيخ: ادخل الجامع واسأل عنه الإمام، فإنه من خواصه، وكن في الصف الثاني، وبعد الصلاة تَقَدَّم واطلب منه ما تريد.

وكان سيدي مُحَمَّد قد أخبر شيخه بقدوم أخيه وما دار بينهما من حديث، فقال له الشيخ: سننظر أمره.

وبعد الصلاة وانصراف المصلين تقدم مُحَمَّد إلى الإمام الحفناوي وجعل يسأله عن أخيه، فرحب به الشيخ وأكرم وفادته وقال له: هذا أخوك، مشيرا إلى الشيخ سيدي مُحَمَّد، فكان لحظة اللقاء بعد طول الفراق وشدة الاشتياق، ودار الحديث بينهما عن الأهل وأحوالهم وعن الأصحاب وأوضاعهم⁽¹⁾.

(1) تعريف الخلف برجال السلف (2/457)، وتاريخ الجزائر العام (4/268).

وبعدها أمر الإمام الحفناويّ الشيخ مُحَمَّدًا بالرجوع إلى موطنه الجزائر لتعليم الناس وإرشادهم ونشر الطريقة بينهم؛ فرجع الشيخ سنة 1183 هـ - 1769م، ليستقر في بداية أمره بمسقط رأسه آيت اسماعيل، وأسس بها زاويته يُؤمُّ الناس في الصلوات ويعلمهم أمر دينهم ويربيهم، ويجمع شملهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويصلح ذات بينهم.

ولم يهنأ الشيخ طويلا ولم يلبث إلا قليلا حتى بدأت المشاكل تحيط به والمحن تحدق به، بعد أن حسده بعض أعيان المنطقة، مما دفعه إلى الانتقال إلى مدينة الجزائر ليستقر في ضاحيتها بالحامة، وقصده الناس من جهات عدة والتفوا حوله بعد أن اشتهر أمره وانتشر صيته في أنحاء البلاد.

وأهدى له بعض أتباعه قطعة أرض بنى عليها زاويته، لتكون مركزا رئيسيا للتعليم والتوجيه الديني، ومنطلقا لنشر الطريقة، ومقرا لاجتماع الإخوان والمريدين واستقبال الوفود والضيوف.

ولم تطل به المدة حتى عاودته المشاكل من جديد، وكل ذي نعمة محسود، واتهمه البعض بالزندقة، وعُقدت له جلسة للمحاكمة، فأنجاه الله سبحانه وبرأه مما قالوا، وأكرمه الداوي وقربه منه⁽¹⁾.

ورأى الشيخ ببصيرته أن يرجع إلى زاويته بآيت اسماعيل، ليتفرغ للتعليم والتربية والتوجيه ونشر الطريقة إلى أن وافته المنية رحمه الله.

(1) انظر تعريف الخلف برجال السلف (458/2 - 458).

يقول شيخنا العلامة عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله ملخصا مسيرة الشيخ بعد رجوعه من مصر: «فاستقر ببجاية مقتفيا في سلوكه طريق التصوف، فأقبل عليه الناس ما بين متبرك ومستفيد، وقد جَرَّ عليه نجاحه في اكتساب المريدين والإخوان حسد بعض المرابطين من أهل بلده، فهاجر إلى العاصمة فأقام بها مستقرا بربض الحامة، حيث ضريحه مشهور بها اليوم.

وقد أثار نشاطه بها معارضة بعض رجال العلم والفتوى من أهل السلك الديني، فاستدعي إلى المجلس العلمي برئاسة الشيخ علي بن عبد القادر بن الأمين المفتي المالكي، فبرّاه المجلس من تهمة الزندقة، وحمته السلطة التركية التي تأثرت بكثرة المريدين من أتباعه، واحتفى به والي الجزائر، فاستدعاه إلى قصره.

وانقطع الشيخ يومئذ للقيام بتلقين آداب الطريقة الخلوتية، ونشرها بين كافة الشعب، حتى عمت هذه الطريقة بلاد الجزائر والسودان، واشتهرت باسم الرحمانية نسبة إليه، وكَثُرَ أتباعه وأشياعه، فأسسوا لهم معاهد وزوايا للدرس والذكر، ولا تزال قائمة في مختلف بلاد الجزائر وغيرها، كما لا يزال أنصار طريقته يُلقَّبُونَ ويُدْعَوْنَ باسم الإخوان الرحمانيين»⁽¹⁾.

(1) تاريخ الجزائر العام (4/268 . 269).

الفصل الثاني

في التعريف بالشيخين

عبد الرحمن باش تارزي وابنه مصطفى

ويشتمل على مبحثين:

الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن باش تارزي

والثاني: التعريف بالشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي

المبحث الأول

التعريف بالشيخ عبد الرحمن باش تارزي

المطلب الأول

حياة الشيخ الخاصة

اسمه ونسبه.

هو عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي، الجزائري منشأ، القسنطيني دارا، الحنفي مذهباً، الرحماني طريقة⁽¹⁾.

1 - باش تارزي: لأنه من أصول تركية، ومن العائلات الشريفة التي استوطنت الجزائر واستقرت بها.

وباش وباشا في التركية بمعنى الرئيس، وجمعه باشات.

2 - الجزائري: لأنه نشأ بمدينة الجزائر وبها ترعرع.

3 - القسنطيني: لأنه سكن مدينة قسنطينة واستقر بها، وبها مات رحمه الله، وفيها قبره.

4 - الحنفي: لأنه كان على مذهب السادة الحنفية، بصيرا بالمذهب، عارفا بأصوله وفروعه.

(1) تعريف الخلف برجال السلف (205/2)، والأعلام (298/3).

5 . الرحماني: لأنه من أعمدة الطريقة الرحمانية وأقطابها، وله الفضل في نشرها في الشرق الجزائري وفي القطر التونسي.

نشأته.

نشأ الشيخ عبد الرحمن في بيت شريف من أهل الفضل والديانة، فدفعه أهله إلى طلب العلم، وحرصوا على تنشئته على الطاعة والعبادة منذ صغره، فكان لهم ما أرادوا، وحصل له ولهم الشرف أن يكون ممن عناهم سيد الخلق ﷺ بقوله: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ...»⁽¹⁾.

بدأ بحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ العلم، وتدرج في التحصيل، وجالس أهل العلم في مدينة الجزائر، حتى حصل له ما تمنى من بلوغ مراتب العلماء، وفتح الله عليه من الفهم ما لم يفتح على غيره، ورزق من أنوار الحكمة الإلهية، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي شيئا كثيرا.

ولما انتقل إلى زاوية الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن نال بغيته، واستكمل عنده علومه، وصحبه فعادت بركته عليه، واستفاد من دعائه له، وصار عالما زاهدا عابدا كشيخه، وجعل الله له في الناس القبول والمحبة.

(1) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

أولاده.

رزقه الله أولادا صالحين، كانوا من بعده دعاة مصلحين، من أولاده:

- الشيخ مصطفى الذي ستأتي ترجمته.

- والشيخ محمد، وصفه الحفناوي عند عرضه لسلسلة سند الرحمانية للشيخ محمد الصالح بن سالم الأعرج السوفي فقال: «... وهو أخذها عن كهف الأنام، وحجة الإسلام، ذي الحجج الباهرة والكرامات الظاهرة، وحيد الأولياء، ورئيس النبلاء، الورع العالم العامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن باش تارزي رضي الله عنه»⁽¹⁾.

- الشيخ محمود، جاء ذكره في خاتمة طبع المنظومة الرحمانية بقلم العلامة عبد الحميد بن باديس، لما ذكر نسب الشيخ مصطفى الذي طلب منه الإشراف على تصحيح المنظومة لإعادة طبعها⁽²⁾.

نشاطه التربوي.

كان للشيخ نشاط كبير في التربية والتعليم، فهو ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة وما حولها.

أقام زاويتين بقسنطينة⁽³⁾:

(1) تعريف الخلف برجال السلف (400/2).

(2) المنظومة الرحمانية (خاتمة الطبع بقلم العلامة ابن باديس) (ص: 38).

(3) أم الحواضر في الماضي والحاضر (ص: 256).

الأولى: بالدرب المقابل لرحبة الصوف من جهة الجنوب الشرقي.

والثانية: بحي الشارع، حيث يوجد فيها ضريحه رحمه الله.

وبهذين الزاويتين كانت تقام الصلوات الخمس، وتلقى الدروس العلمية والوعظية، وبهما كان المريدون يتلقون عن الشيخ أصول الطريقة، وفيهما كانت تقام حضرة الذكر.

لم يكن الشيخ رحمه الله ممن يتاجر بالدين، أو ممن يدعي الولاية من غير علم ولا برهان، ولا ممن تهمة الشهرة أو السمعة أو الرياسة، أو ممن يطمح إلى كسب الدنيا والمال، ولا هم له إلا الإصلاح ما استطاع.

وقد تفرس فيه شيخُ الطريقة وإمامُ الحقيقة سيدي امحمد بن عبد الرحمن إخلاصه وصدقته، وعرف منزلته ومكانته، فخصه بمزيد من الرعاية، وأوصاه بنشر الطريقة، وأوكل إليه الإشراف على تربية المريدين، وإرشاد الحائرين، ونصح المخالفين، وإحياء مجالس الذكر والقرآن، في قسنطينة وما حولها من المدن والقرى والمداشر.

ومما يدل على منزلة الشيخ رحمه الله عند الإمام القطب سيدي امحمد، ما أوصى به تلميذه الشيخ محمد بن عزوز البرجي الشريف المتوفى رحمه الله سنة 1233هـ الموافق سنة 1818م، لما قدم من موطنه بسكرة إلى الجزائر ولقيه فيها ولقنه وعلمه وبقي عنده مدة، ثم أدخله الخلوة، وكانت أمه قد اشتاقت إليه ورغبت في رؤيته ولقائه، إذ

طال بها العهد، وذهب بها الشوق كل مذهب، ولم تجد حيلة سوى الصعود إلى سطح دارها ونادته بثلاثة أصوات، فسمع نداءها وهو في خلوته، فأخبر شيخه بما سمع، فأمره بالرجوع إلى والدته، وقال له: إن أدركتني المنية من بعدك فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمن باش تارزي، فكان الأمر كما ذكره، ولازم خدمة الشيخ باش تارزي إلى وفاته، فكان تمام سلوكه على يده⁽¹⁾.

شهادة العلماء فيه.

وقال الحفناوي: «العلامة الفهامة، الوليُّ الهمام، الشيخ السيد الحاج»⁽²⁾.

وقال أيضاً: «كان وحيد دهره علماً وحكمة واثقناً وصلاً»⁽³⁾.

وقال عنه الشيخ سيدي محمد بن الحاج محمد الهاملي في كتابه الرّوض الباسم في ترجمة الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم ما نصه: «صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الفاخرة، والحقائق الباهرة، والعلوم اللّدية والمعاني النورانية، والفتح الموثق والكشف المشرق، والباع الطويل، والإيضاح عن حقائق الآيات، والنظر الخارق لعرائس المغيبات، والمجلس العالي في حضرة القدس، والمقر السامي في أرائك الأنس، والمنهاج الموطوء على متن الملكوت إلى ملك الجبروت، وله اليد البيضاء في معاني المشاهدات

(1) تعريف الخلف برجال السلف (482/2).

(2) تعريف الخلف (205/2).

(3) تعريف الخلف (205/2).

وعِلوم المنازلات، وهو أحد من أظهره الله إلى الوجود وصرّفه في الكون وخرق له العادات، وأجرى على لسانه الحكم، ومكنه من الأحوال في النهاية، وملكه أسرار الولاية، ونصبه حجة وقدوة، وهو أحد أركان هذا الشأن علماً وعملاً وزهداً وتحقيقاً ورئاسة وجلالة»⁽¹⁾. وقال عنه العلامة عبد الحميد بن باديس: «القطب الأكبر والغوث الأشهر»⁽²⁾.

وفاته.

توفي الشيخ سدي عبد الرحمان باش تارزي رحمه الله في حدود عام 1221هـ أو 1222هـ الموافق لعام 1806م أو 1807م، ودفن بزاويته بمدينة قسنطينة⁽³⁾.

(1) نقله الحفناوي في تعريف الخلف (205/2 - 206).

(2) المنظومة الرحمانية (خاتمة الطبع بقلم العلامة ابن باديس) (ص: 39).

(3) تعريف الخلف برجال السلف (206/2)، والأعلام (298/3).

المطلب الثاني

حياة الشيخ العلمية

تلاميذه.

بعدما أنهى الشيخ مرحلة الطلب، وأصبح علما من الأعلام البارزين، وجلس على كرسي التدريس، وتصدر للإفتاء، وعقد الجلسات للوعظ والإرشاد، قصده خلق كثير للأخذ عنه والاستفادة منه، فتخرج عنه تلاميذ كثير، ومن أبرزهم:

1. الشيخ محمد بن عزوز البرجي الشريف⁽¹⁾.

ولد بالبرج من صحراء بسكرة بالجنوب الشرقي الجزائري، في حدود سنة 1170هـ - 1757م.

تربي في حجر والده سيدي أحمد بن يوسف، وكان من الأولياء الصالحين، ومن العباد المنقطعين.

أتم حفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم عن علماء بسكرة فتم له ما أراد، ثم توجه نحو مدينة الجزائر ليأخذ عن الشيخ الأجل الإمام الزاهد سيدي امحمد بن عبد الرحمن الأزهري.

ثم لازم الشيخ عبد الرحمن باش تارزي إلى وفاته ملازمة خدمة وتعلم، وأتم سلوكه على يده.

(1) له ترجمة في: تعريف الخلف برجال السلف (2/206)، وهدية العارفين (2/359)، ومعجم المؤلفين (10/291)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 232).

وفي سنة 1232هـ - 1817م، خرج الشيخ محمد بن عزوز قاصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبعد رجوعه من الحج ووجد الوباء ضاربا أطنا به في الزيبان، فمات شهيدا به رحمه الله سنة 1233هـ - 1818م، ودفن بزاويته بالبرج، وقد بلغ ثلاثا وستين سنة.

2 - مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي، ابنه وخليفته من بعده، وستأتي ترجمته مفصلة في المبحث الثاني.

3 - محمد بن عبد الرحمن باش تارزي، من أبنائه البررة، ومن حملة علمه.

4 - أبو عبد الله محمد بن الحبيب القسنطيني⁽¹⁾.

الشيخ العلامة، كان لا يدرك له غبار في العلم، أخذ عن أجلة العلماء الأعيان، ولازم الشيخ القطب سيدي عبد الرحمن باش تارزي فغلب عليه الزهد والتصوف.

ولازم مدرسة سيدي الأخضر حتى وافته المنية رحمه الله سنة 1252هـ - 1836م.

إنتاجه العلمي.

1 - عمدة المريد.

وهو في بيان الطريقة الخلوتية الرحمانية.

قال الحفناوي: «لم ينسج ناسج على منوالها»⁽²⁾.

(1) له ترجمة في تعريف الخلف (268/2).

(2) تعريف الخلف (205/2).

2 . المنظومة الرّحمانية، التي شرحها ابنه الشيخ سيدي مصطفى رحمه الله، وهي موضوع تحقيقنا.

3 . غنية المريد في شرح نظم مسائل كلمتي التوحيد، وهي 45 مسألة⁽¹⁾.

قال الحفناوي: «وفي شرحها من التحقيق ما يدل على أن الشيخ يتكلّم عن بصيرة وعلم لدّني، وأحسن ما علق بذهني منه أن للهيللة ذكرين شرعي واصطلاحي، والشرعي له شروط عربية لغوية ونحوية وتجويدية، والاصطلاحي ليس له إلا شرط واحد قلبي، وهو استحضار المعنى عند ذكر الكلمة المشرّفة، سواء حصل الشرط العربي أو لم يحصل، وبهذا التقرير يرجع اللوم على من أبطل ذكر العوام أو الأمة»⁽²⁾.

4 . له بعض القصائد وموشحات غريبة⁽³⁾.

ويعد الشيخ رائدا من رواد الشعر الملحون، وله قدرة فائقة في ابتكار المعاني وتوظيف الكلمات المناسبة، كما أن شعره يمتاز بجرسه الموسيقي المؤثر، ومنظومته الرحمانية شاهد على ذلك.

ومن شعره الملحون قصيدة في مدح شيخه سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري منها قوله⁽⁴⁾:

(1) ذكره الشيخ مصطفى في المنح الربانية.

(2) تعريف الخلف برجال السلف (205/2).

(3) انظر تعريف الخلف برجال السلف (205/2).

(4) انظر موقع الطريقة الرحمانية بقسنطينة www.rahmaniaconstantine.dz

سَيْفِ الذَّاكِرِينَ مَحَلًّا ذَكَرَ اللَّهُ
حُبُّوْا مَا نَنْسَاهُ يَا سَعْدَ الْيَّ جَاهُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ نَدْخُلْ فِي حِمَاهُ
نَجْلِسْ فِي الْحَضْرَةِ وَانْزُورُوا جُزْجَرَةَ
كَيْفَ الْوَاضِلِينَ نَشْرَبْ مِنْ خَمْرَةِ
وَاطْرِيقِ الْأَسْيَادِ يَا رَبَّ الْعِبَادِ
بِحُبِّ الصَّالِحِينَ الْأَزْهَارِي الْوَكَّادِ
وَسُلُوكِ التَّحْقِيقِ شَيْخَكَ بَحْرَ اغْمِيقِ
خَمَرِ الشَّارِبِينَ تَدْخُلْ بِالتَّحْقِيقِ
وَطَرِيقِ الْأَبْرَارِ شَيْخَكَ بُوِ الْأَنْوَارِ
أَوْ شَرِّ الْحَاسِدِينَ نَفْسَكَ وَالْغَرَازِ
يَا فَاتِحِ الْأَبْوَابِ يَسِّرْ لِي الْأَسْبَابِ
رَاوِي الْعَاطِشِينَ الْأَزْهَارِي الْأَوَابِ
يَا قُرَّةَ الْأَعْيَانِ حُبِّ يَا لَأَخْوَانِ
مَنْ الشَّائِقِينَ الْأَزْهَارِي الْفَطَّانِ
شَيْخُ الْإِنْسِ وَالْجَانِ وَرَدَّ يَا لَأَخْوَانِ
ذُوكِ السَّامِرِينَ فِي جَنَّةِ رَضْوَانِ
عَلَامِ الْغُيُوبِ كَمَلْ لِي الْمَرْغُوبِ
مُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ غَفَّارِ الذُّنُوبِ

الْأَزْهَرِي رَحِمَهُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَزُوي الْعَاطِشِينَ الْأَزْهَارِي الْأَوَاهُ
فِي الشَّدَّةِ نَزَّجَاهُ نَطْلُبْ عَلَيَّ الْجَاهُ
بَيْنَ الذَّاكِرِينَ نَدْخُلْ فِي الزُّمَرِ
الْأَزْهَارِي الْمُبْرُورُ يَرْقِينِي نَبْرَا
بِكَاسِ الْعَاشِقِينَ نَدْخُلْ فِي الْأَوْرَادِ
إِلَهَ الْمَعْبُودِ كَمَلْ لِي الْمُرَادِ
إِمَامُ الْعَارِفِينَ يَا بَاغِي الطَّرِيقِ
الْأَزْهَارِي الْمَعْشُوقُ يَسْقِيكَ الرَّحِيقِ
بَيْنَ الذَّاكِرِينَ يَا عَاشِقُ الْأَذْكَارِ
الْأَزْهَارِي الْمُبْرُورُ يُنْجِيكَ مِنَ النَّارِ
ذُوكِ الظَّالِمِينَ رَبِّ يَا وَهَّابِ
وَالْعَلَمِ الْمُوهُوبِ عَنْ قُطْبِ الْأَقْطَابِ
تَاجِ النَّاسِكِينَ شَيْخِي يَا سُلْطَانَ
فِي قَلْبِي مَكْنُونُ خَلَانِي وَلَهَانَ
إِمَامُ الْعَابِدِينَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مَنْ حَمَظِ مَضْمُونٍ مِنْ صَهْدِ النَّيْرَانِ
مَنْ السَّاكِنِينَ يَا مُحْيِي الْقُلُوبِ
عَبِيدُكَ مُرِيبِ سَتَارِ الْعُيُوبِ

عَنِ الْعَاصِينَ نَخْتَمُ ذَا النِّظَامِ
بِالْحِلْمِ الْمَوْسُومِ سِرَاجُ الْأَحْكَامِ
نُورُ الْعَارِفِينَ نَبْغِي يَا رَحْمَانُ
بِاللَّفْظِ الْمَلْحُونِ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَانِ
بِأَزْكَى السَّلَامِ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ
سِرُّ الْعَالَمِينَ مِصْبَاحُ الضَّلَامِ
تَغْفُو عَنْ الْأَخْوَانَ وَنَاطِمِ الْأَوْزَانِ
مِنَ الْمُرِيدِينَ يَمْدَحُ فِي السُّلْطَانِ
قُطْبُ الصَّالِحِينَ تَمَّتْ وَبِالْخَيْرِ
عَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

المبحث الثاني

الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي

المطلب الأول

الحياة الخاصة للشيخ مصطفى باش تارزي

تصحيح خطأ.

وقع خطأ في طبعة كتاب تعريف الخلف برجال السلف حيث ترجم للشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي، وذكر شيئاً من أخباره وأوصافه، وأنه تولى الخطابة بجامع سوق الغزل، ثم بجامع القصبة، ثم بسيدي الكتاني، ثم جاء في آخر الترجمة توفي عام ثمانين وتسع مائة، انتهى من منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية للشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفكون القسنطيني»⁽¹⁾.

وظاهر هذا النقل أن هناك شيخ آخر يسمى بهذا الاسم كان موجوداً في القرن العاشر الهجري، وأن مصدر الترجمة هو منشور الهداية.

غير أننا برجعنا إلى كتاب منشور الهداية المذكور لم نجد فيه أي إشارة إلى هذا الشيخ.

(1) تعريف الخلف برجال السلف (580/2).

وقد وقع في الوهم الشيخ المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العام، فنقل فيه نفس الترجمة المذكورة عند شيخه الحفناوي بحروفها، وقال: «وهو غير شارح المنظومة الرحمانية ومتقدم عليه»⁽¹⁾.

وتبعه في ذلك عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر⁽²⁾.

والصحيح أنه هو نفسه مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي، وأما ما ذكره الحفناوي من تاريخ الوفاة يترجح عندي أنه ربما ذكر ترجمة أخرى فسقطت من الطبعة وبقي آخرها.

ومما يقوي ما ذكرناه من أن المقصود بمصطفى باش تارزي هو نفسه الشخصية التي نحن بصدد التعريف بها، أنه قال: «تولى الخطابة بجامع سوق الغزل، ثم بجامع القصبة، ثم بسيدي الكتاني»، فكيف يستقيم أن تكون وفاته في 980هـ وأنه خطب في جامع سوق الغزل، وهذا الجامع تم بناؤه بأمر من الباي حسين سنة 1132هـ، وكذلك الأمر بالنسبة لجامع سيدي الكتاني الذي أنشأه صالح باي بن مصطفى الذي تولى حكم قسنطينة من عام 1185هـ إلى عام 1207هـ.

اسمه ونسبه⁽³⁾.

هو مصطفى بن عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي القسنطيني الحنفي الرحماني.

(1) تاريخ الجزائر العام (111/3).

(2) معجم أعلام الجزائر (ص: 31).

(3) تعريف الخلف برجال السلف (580/2).

مولده.

اتفقت المصادر التي بين أيدينا على أن ولادة الشيخ مصطفى كانت بقسنطينة، ولكنها لم تذكر تاريخ مولده.

نشأته.

في أحضان البلد الطيب قسنطينة، وفي كنف الأسرة العريقة ذات الحسب والنسب والفضل والعلم، نشأ الولد مصطفى وترعرع.

فكان قرة عين أبيه، نشأ على يده، ورباه تربية طيبة، ولازمه ملازمه تامة، وحضر مجالسه، واستفاد منه وانتفع به.

ظهرت أمارات نبوغه منذ نعومة أظفاره، فحفظ القرآن وهو صغير، وأتقن مبادئ العلم، وأخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية عن أبيه وعن أفاضل أهل قسنطينة، فأتقن وأحسن، وبرع في العلوم اللغوية والشرعية، وتضلع في العلوم الفلكية، وألم بدقائق علوم الصوفية.

وكان سلوكه في طريق التصوف على يد والده الجليل.

وظائفه⁽¹⁾.

أولاً: التدريس: تولى تدريس العلوم المختلفة التي أتقنها وصار إماماً فيها، في زاوية أبيه وفي مساجد قسنطينة، وأخذ عنه الفضلاء، وتزاحم عليه الطلبة.

(1) انظر تعريف الخلف برجال السلف (580/2)، وتاريخ الجزائر العام (111/3).

ثانيا: الخطابة: فكان خطيبا بجامع سوق الغزل، ثم بجامع القصبة، ثم بسيدي الكتاني.

ثالثا: القضاء: شغل منصب قضاء الحنفية في قسنطينة، واشتغل بتحرير الرسوم الشرعية.

وله عدة رسوم تثبت أسلوبه القوي الواضح في معالجة المسائل، وتبين بوضوح مقدرته الفائقة في تحرير الرسوم الشرعية.

رابعا: الإفتاء: تولى منصب فتوى الحنفية في مدينة قسنطينة.

وشهرته في قسنطينة وخارجها جعلت الكثير من الخواص والعوام وخاصة من الأسر الحنفية يرجعون إليه لطرح انشغلاتهم واستفسراتهم، كما أنه كان يتلقى منهم العديد من الرسائل يسألونه فيها عن أمور دينهم وديناهم.

خامسا: ولاية الزاوية: بعد وفاة أبيه تولى مشيخة الزاوية الرحمانية بقسنطينة، فكان يعلم فيها، ويربي، ويوجه، ويستقبل الوفود، ويعقد مجالس الصلح.

شهادات العلماء فيه.

قال الحفناوي: «كان أعجوبة أوانه علما وحفظا، وورعا وديانة، حاملا لواء المذهب الحنفي، ممتلئا من علمي المعقول والمنقول، عارفا بالفلك لا يشاركه فيه غيره، شاعرا مجيدا»⁽¹⁾.

(1) تعريف الخلف برجال السلف (580/2).

وحلاه الشيخ ابن باديس بقوله: «العلامة الشيخ سيدي مصطفى»⁽¹⁾.

وفاته.

وتوفي الشيخ مصطفى رحمه الله بمدينة قسنطينة سنة 1252هـ الموافق 1836م، ودفن في الزاوية العليا أسكنهما الله فسيح جناته آمين.

(1) المنظومة الرحمانية (خاتمة الطبع بقلم العلامة ابن باديس) (ص: 39).

المطلب الثاني

الحياة العلمية للشيخ مصطفى باش تارزي

تلاميذه.

1 - الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي القسنطيني⁽¹⁾.

كان علامة في المنقول والمعقول، حاد الفكر قوي العارضة، وله قوة ذكاء مفرط.

تتلمذ على الشيخ الأجل مصطفى باش تارزي، والشيخ العباسي.

وتولى القضاء، ثم أسندت إليه نظارة المدرسة الكتانية.

له أشعار رقيقة، ساجل بها الأمير عبد القادر الجزائري لما اجتمع به أثناء نفيه في فرنسا.

توفي رحمه الله في حدود سنة 1280 هـ - م، ودفن بداخل المدرسة الكتانية.

2 - الشيخ محمد بن محمود بن عبد الرحمن باش تارزي.

وهو ابن أخيه.

جاء ذكره في إجازة حفيده مصطفى بن محمود بن محمد بن محمود بن عبد الرحمن باش تارزي⁽²⁾.

(1) له ترجمة في: تعريف الخلف برجال السلف (2/394).

(2) انظر المنظومة الرحمانية (خاتمة الطبع بقلم العلامة ابن باديس) (ص: 39).

مؤلفاته.

للعلامة سيدي مصطفى باش تارزي عدة تأليف منها ما هو مطبوع و منها ما هو مخطوط، و من أشهرها:

1 . كتاب المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، فرغ من تأليفه سنة 1287هـ. 1870م⁽¹⁾.

2 . رسالة تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين.

وهي رسالة مخطوطة، جاء في أولها: «حمدا لمن أحكم الدين بأهل التمكين، وأظهر الحق المبين بفضله ولو بعد حين، وكشف عن غوامض الأحكام ظلمة الوهم والرين، وصلاة وسلاما على أكمل المرسلين، القائل: «من يريد الله به خيرا يفقهه في الدين»، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فيقول تراب أقدام العلماء العاملين، قليل البضاعة بين العاملين، مصطفى بن عبد الرحمن الخلوتي الحنفي، عاملهما الله بالغفران واللفظ الخفي، هذه كلمات قاطعة بحجتها أوهاام بعض الناظرين من الفضلاء المعاصرين، معتمدين على مجرد عبارة رواها مسطرة لبعض المتأخرين، لغير جميل غرض ثابت بيقين، وسيعلمون نبأ ذلك بعد حين، جمعتها من تصانيف المتقدمين والمتأخرين،

(1) معجم المؤلفين (259/12).

لتكون عوناً على القضاء بالحق المبين، وصدا للمعتمدين على أوقاف المسلمين، وسميتها تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين، ورتبتها على خاتمة ولمعتين، فقلت بعد ما استخرت راجياً من الله تعالى الحفظ على الخطأ و الزلل، في القول والنية والعمل، الخ».

وجاء في آخرها ولنمسك عنان القلم على المزيد، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، حامداً ومصلياً مسلماً على النبي المجيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم»، أه⁽¹⁾.

3. رسالة تحرير المقال في مسألة الانتقال⁽²⁾.

هذه الرسالة مخطوطة كذلك: جاء في أولها: «حمداً لمن تنزه عن التبديل والتغيير والانتقال، وشكراً لمن أزال الشبهة عن وجه السؤال، وصلاة وسلاماً على النبي المرشد إلى السداد والكمال، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى واختلافهم رحمة للعباد في كثير من الأعمال.

وبعد: فلما كثر السؤال عن حكم من انتقل إلى غير المذهب الذي كان مقلداً له وإليه ينسب، سألتني من لا يسعني مخالفته أن أجمع له نبذة مختصرة في ذلك مما حرره الفحول من فروع وأصول،

(1) انظر موقع الطريقة الرحمانية بقسنطينة www.rahmaniaconstantine.dz

(2) تعريف الخلف برجال السلف (581/2).

فاستخرت الله تعالى وامثلت، و به لا بغير استعنت، و سميتها تحرير المقال في مسألة الانتقال، و رتبها على مباحث ثلاثة وخاتمة... الخ»⁽¹⁾.

4. رسالة جواب عن سؤال.

هذه الرسالة مخطوطة أيضا، في أولها: «الحمد لله، إذا قال الواقف من مات منهم، أي من أولاد الواقف، عن غير عقب رجع نصيبه لأقرب قريب إليه، فمات أحدهم من غير عقب وله إخوة أشقاء وإخوة لأب، هل يدخلون في نصيبه جميعا أو يختص به الأشقاء.

الحمد لله بعد أن تصفحت المقصود من السؤال وما أجاب به بعض أولى الألباب، قلت وبالله اعتصمت، ... الخ».

5 . الدّر المنتظم في فوائد قوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاءَةَ فَلْيُضْمَّ»⁽²⁾.

6 . شرح منظومة الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن الأخضرى⁽³⁾ في الحساب.

(1) انظر موقع الطريقة الرحمانية بقسنطينة www.rahmaniaconstantine.dz

(2) ذكره في كتابه المنح الربانية.

(3) هو أو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرى البسكري الجزائري، إمام مشارك في الفقه واللغة والمنطق والتصوف، توفي رحمه الله 983هـ - 1575م، ودفن في زاوية بنطيوس من قرى بسكرة.

له ترجمة في: تعريف الخلف (1/67)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 14)، والأعلام للزركلي (3/331)، ومعجم المؤلفين (5/187).

قال الحفناوي: «مقتصرا على العمل دون التبيين لكلامه»⁽¹⁾.

7 - انتاجه الشعري، ترك الشيخ عدة قصائد ومنظومات دينية، منها قصيدة في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي⁽²⁾ رحمه الله دفين مدينة الجزائر.

ومنظومة، شرحها العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي⁽³⁾ وسماها «مواهب الكبير المتعال»، وكان تمام الشرح حسب ما جاء في هذا الكتاب في الثالث عشر من ذي الحجة الحرام 1301هـ⁽⁴⁾.

(1) تعريف الخلف برجال السلف (581/2).

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجعفري الثعالبي الجزائري، نسبة إلى موطن الثعالبية، الإمام العابد الزاهد، برع في علوم القرآن والحديث والفقه والتصوف، وغيرها، وله فيها مؤلفات كثيرة تزيد عن التسعين، منها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وشرح جامع الأمهات لابن الحاجب، توفي رحمه الله بالجزائر سنة 875هـ - 1470م.

له ترجمة في: الضوء اللامع (4/152)، ونيل الابتهاج (ص: 257 - 261)، كفاية المحتاج (ص: 189 - 192)، توشيح الديباج (ص: 120).

(3) هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي، ولد بتلمسان وتعلم بها، ثم انتقل إلى فاس وأتم دراسته بجامعة القرويين، عاد إلى الجزائر وعيّن مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة، ثم ولي التدريس بالمدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، وتخرج على يديه العديد من الأئمة والمدرسين والقضاة، وترك مصنفات كثيرة منها شرح الجمل النحوية، والاقتصاد السياسي، وشرح على آداب المريدين في التصوف، وغيرها، توفي رحمه الله بقسنطينة سنة 1332هـ - 1913م.

له ترجمة في: تعريف الخلف (2/456)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 286).

(4) موقع الطريقة الرحمانية بقسنطينة www.rahmaniaconstantine.dz

الفصل الثالث

في التعريف بالمنظومة الرحمانية وشرحها المنح الربانية

ويشتمل على مبحثين:

الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن باش تارزي.

والثاني: التعريف بالشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي

المبحث الأول

التعريف بالمنظومة الرحمانية

المطلب الأول

اسم المنظومة ونسبتها إلى الشيخ وتاريخ نشرها

اسم المنظومة.

عنوان المنظومة كما اشتهرت عند الإخوان الرحمانيين، وكما جاء مثبتاً في طبعتها الأولى بقسنطينة هو «المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية».

نسبتها إلى الشيخ.

المنظومة مشهورة بين الإخوان الرحمانيين، ومتداولة كثيرة الاستعمال بينهم، لا يختلف اثنان في نسبتها إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن باش تارزي.

شرحها ابنه مصطفى ونسبها إليه، وهو أعلم بتراث أبيه.

وحدث عليها الشيخ محمد بن عزوز البرجي رحمه الله وندب إلى الاهتمام بها حيث قال عنها: «وعليكم بالرحمانية، فإنّ فيها كيفية الطريق وعلاماتها وغير ذلك...»⁽¹⁾.

(1) تعطير الأكوان للشيخ محمد الصغير المختاري (ص: 124).

ونسبها إليه الحفناوي في تعريف الخلف⁽¹⁾.

نشر المنظومة.

قام بنشرها شيخ الطريقة الخلوتية ووارث المعارف والأسرار الرحمانية بقسنطينة في وقته، الإمام مصطفى بن محمود بن محمد بن محمود بن عبد الرحمن باش تارزي.

وتم طبعها في مطبعة النجاح بقسنطينة، لصاحبها مامي إسماعيل ابن عبيدي وعبد الحفيظ بن الهاشمي، سنة 1341هـ - 1923م.

وقد طلب الشيخ مصطفى من فضيلة الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس أن يتولى تصحيح المنظومة، فلبى طلبه وأجاب، وقام بتصحيحها ومراجعتها.

قال العلامة ابن باديس في خاتمة طبع المنظومة: «ندبني الشيخ المذكور إلى إعانته على نشر المنظومة الرحمانية بالوقوف على تصحيحها فلبيت طلبه، راجيا من وراء ذلك أن يتذكر الإخوان ما عليهم في هذا الطريق الشرعي من الأدب العملي والعلمي، ويعلموا أنهم لا يكفيهم في ترقية نفوسهم مجرد الانتساب الإسمي، فيدعوهم ذلك إلى العلم والتعلم اللذين لا سعادة في الدارين بدونهما ولا تقدم، فيفقهوا حينئذ حقيقة الدين ويتنفعوا بنصائح المرشدين، ويكونوا يوم ذاك إن شاء الله تعالى من المهتدين، والله المسؤول أن يهب التوفيق والنفع والثواب لكل ساع في خير المسلمين آمين، وسلام

(1) تعريف الخلف برجال السلف (205/2).

على المرسلين والحمد لله رب العالمين؛ تحريراً بقسنطينة (الجزائر)
عشية الأربعاء 14 شوال عام 1341هـ، عبد الحميد بن باديس»⁽¹⁾.

إقبال الناس على اقتنائها.

رغبة الناس في اقتناء المنظومة والحصول على نسخة منها
لمطالعتها والاستفادة من مباحثها، جعلت طبعتها الأولى تنفذ في وقت
سريع، مما استدعى الأمر على طبعها طبعة ثانية.

وكان الأمر كذلك، فجاءت الطبعة الثانية أصح من الأولى وأدق
وأحسن، وكيف لا تكون كذلك وقد خطت حروفها أنامل الشيخ ابن
باديس وسهرت عيناه في ضبط كلماتها وتقليب صفحاتها.

يقول العلامة ابن باديس: «فقد تم طبع المنظومة الرحمانية، ذات
الأسرار الربانية، الجامعة لأصول الطريقة الخلوتية وآداب التربية
الشرعية، الدالة على علم ناظمها وبركته بما نفع الله بها من أتباعه
وتلامذته، حتى نفدت طبعتها الأولى مع شرحها، فكثرت الرغبات
وتوالى الطلبات في إعادة طبعها لتعميم نفعها»⁽²⁾.

(1) المنظومة الرحمانية (خاتمة الطبع بقلم العلامة ابن باديس) (ص: 40).

(2) المنظومة الرحمانية (خاتمة الطبع بقلم العلامة ابن باديس) (ص: 38).

المطلب الثاني

محتويات المنظومة ولغتها وأسلوبها

قسم الشيخ منظومته إلى مقدمة دعا فيها إلى الدخول في الطريقة الخلوتية وخدمتها.

ثم ذكر سلسلة السند للطريقة منه إلى منهاه، وحث ورغب في الانتظام في سلوك الطريقة الخلوتية، لأنها أسهل الطرق وأيسرها، وبها يكون التَّرقِّي إلى الحقيقة العرفانية.

ثم بين مراتب السلوك الثلاثة، وهي الإسلام والإيمان والإحسان، فالإسلام أوّل مراتب الدّين لعامة المؤمنين، والإيمان أوّل مدارج القلب لخاصّة المؤمنين، والإحسان أوّل معارج الرّوح لخاصّة المقربين.

ثم ذكر الكيفية التي يتم بها تلقين الشيخ للمريد كلمة التوحيد لا إله إلا الله، مبيّناً أصل سند القوم في هذا التلقين، وفوائد التلقين، وآدابه، والصفة التي يكون عليها المريد، وأوقات الذكر وأعداده وطريقته.

ولمّا فرغ من بيان آداب المريد، شرع في بيان أركان طريق القوم التي لا وصول للسلالك بدونها، وهي مخالفة النّفس الأمّارة بالسّوء، ومعاداة الشيطان ومخالفته، وبذلك يكون الوصول إلى الحضرة القدسية، ويستعين في ذلك بأركان ثمانية وهي: قلة الطعام، وقلة

النوم، وقلة الكلام، والعزلة، وكثرة الذكر، وتفريغ الفكر، والمداومة على طهارة البدن، و ربط القلب بالشيخ.

ولمّا فرغ من الكلام على أركان الطريق الموصّل إلى مرضاة الله تعالى، ذكر شروط الورد، وهي تسع شروط معلومة عند الأساتذة أرباب التربية.

ولمّا فرغ من الكلام على شروط الورد، بين أصول الطريق، وأنها ثلاثة عشرة أصلاً، وهي: التوبة، وجهاد النفس، والحزن، والدعاء، والخوف، والرجاء، والورع، والتقوى، والزهد، والصبر، والشكر، والقناعة، والتوكل.

وبعد أن أتم الكلام على أصول الطريق، عقد باباً في في الحثّ على ملازمة حلق الذكر صباحاً ومساءً، وذكر بعض ثمراتها، وبين كيف تكون حلقة الذكر الجماعي، وكيفية الاهتزاز حالة الذكر.

ثم بين آداب الذكر، وعبر عنها بالشروط، وعدّها منها عشرين أدباً، وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

- خمسة آداب واجبة قبل الشروع في الذكر.

- واثنان عشر أدباً واجبة في أثناء الذكر.

- وثلاثة آداب واجبة عند الفراغ من الذكر.

ولما أتمّ الكلام على آداب الذكر، عقد باباً لآداب المريد في نفسه ومع شيخه وإخوانه.

وبعدها عقد بابا ذكر فيه آداب الخلوة، قدمه بذكر بعض محاسنها وثمراتها ترغيبا فيها، وذكر مدتها، وشروطها.

ثم عقد بابا في تدريج الأسماء، مبينا مقامات النفوس السبعة وهي: وهي: الأمانة بالسوء، واللّوامة، والمُلْهَمَة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة.

ولمّا فرغ من الكلام على كيفية تدريج الأسماء، ختمه رحمه الله باب في آداب التّقباء الأربة، وهم نقيب النعال، ونقيب ساقى الماء، ونقيب السماط، ونقيب الحضرة وهو أرفع التّقباء منزلة.

وختم الكتاب بالحمد والثناء والدعاء والصلاة والسلام على النبي ﷺ لتحصيل بركاتها في النّهاية كما هي في البداية.

لغة المنظومة وأسلوبها.

المنظومة من الزجل العامي أو ما نسميه بالشعر الملحون، وهي تمتاز بالوضوح وتماسك العبارات ومتانة القافية وصنوف الجناس المعنوي.

وإن حاجة الناس إلى معرفة ما يتعلق بشروط المريد وآداب الطريق إلى الله جعلت الشيخ ينظم كل ذلك ليسهل عليهم حفظها ويتيسر عليهم معرفتها واستيعابها، والناس أميل إلى كل ما هو موزون.

وقد اتبع الشيخ في منظومته منهجا دقيقا، إذ قد جمع فيها كلّ ما يتعلق بالطريقة الخلوتية من شروط وآداب وأوراد، ورسم فيها للمريد

ما لابد منه في التدرج في مقامات اليقين حتى يبلغ أعلى درجات العارفين.

واعتمد الشيخ لتحقيق مبتغاه والوصول إلى أهدافه على حسن الترتيب بين الموضوعات، وتجلية الغامض، وتيسير العسير، وتقريب البعيد، وجمع المتفرّق، في إيجاز محكم، يغني عن كثير من المطولات، ويكون شافيا وكافيا للأساتذة والطلاب.

واستطاع بحسن اختياره للمفردات الرشيقة من غير تكلف ولا تَصْنُوعٍ، وصياغة الجمل صياغة فنية متناسبة مع الوزن والقافية، أن يمنحها جرسا موسيقيا بديعا وإيقاعا رشيقا.

المبحث الثاني

التعريف بكتاب المنح الربانية

المطلب الأول

اسم الكتاب ونسبته للمؤلف وتاريخ تأليفه

اسم الكتاب.

عنوان الكتاب هو: المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، نص عليه المؤلف في مقدمته للكتاب بقوله: «وسميته بالمنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية». وذكره أيضا المترجمون له.

نسبة الكتاب إلى المؤلف.

لكتاب المنح الربانية شهرة كبيرة عند أتباع الطريقة الرحمانية، وهو عندهم ككتاب المدونة عند المالكية وكتاب سيبويه عند النحاة، ولا يختلف اثنان منهم في نسبته إلى الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي.

كما أن جميع نسخ الكتاب المخطوطة تنسب الكتاب إليه.

تاريخ تأليفه.

انتهى الشيخ من تأليف الكتاب في يوم الاثنين 17 ربيع الثاني 1251هـ الموافق 1836م، سنة قبل وفاته رحمه الله.

وقد سجل في آخر الكتاب تاريخ الانتهاء من تأليفه فقال: «وهذا آخر ما يَسّر الله تعالى جمعه في شرح هذه الأرجوزة المنوّرة، المفيدة المختصرة، القليلة الجرم، الغزيرة العلم، وكان الفراغ من تجريده صبيحة يوم الاثنين لسبع بَقَيْنَ من ثاني الرّبيعين من عام واحد وخمسين وألف ومائتين».

سبب تأليفه.

بيّن الشيخ في مقدمته سبب تأليفه للكتاب فقال: «فلما لم ينفعني التعلّل بلعلّ وعسى، عن اقتراح بعض الإخوان في كلّ صباح ومساء، أن أكتب فوائد لائقة بمطالعة المنظومة الرّحمانية، التي وضعها الشيخ والدي رحمه الله تعالى في الآداب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتيّة، تحفظها من الضّياع، وتخرجها إلى حيّز الانتفاع، لما أنّ كثيرا من المجموعات لا سيّما المنظومات، إذا لم تُقيّد شواردها بقيود الشّروح، تظلّ فوائدها في زوايا الإهمال ولو كان نشر التحقيق منها يفوح، مع إغراضي عن ذلك برهة من الزمان، لعلمي أنّي لست من أهل هذا الشأن، وفقد مادّة نستند إليها في علم المتقاصي، وعدم قريحة وقادة نعتمد عليها في فهم المتعاصي، وبُعْدُ عهدي بما تلقّيته في عهد عُنفوان الشّباب عن الأستاذ والدي رحمه الله تعالى في هذا الباب، حتّى نسج عناكب النّسيان على ما مرّ على ذهني أو لمحتّه عيني في مطالعة رسالة أو كتاب، عدت إلى مقتضى اقتراحهم، عسى أن يكون بارق إلهام أو مَضْ بَرْقُهُ من جانب سريرتهم، ورجاء أن يكون سعيّا مشكورا، وعملا خالصا مبرورا، فشرعت مع قلة البضاعة، وعدم

التَّمَرُّنُ فِي الصَّنَاعَةِ، فِي تَقْيِيدِ شَرْحِ يَسْتَسْهَلُهُ الدَّخِيلُ، وَيَسْتَحْسِنُهُ
النَّبِيلُ، وَإِنْ كَانَ لَوْضُوحُ الْأَصْلِ لَوْلَا مَا قِيلَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَالٍ وَقِيلَ،
مُسْتَعِينًا بِالْمَنْفَرْدِ فِي مُلْكِهِ بِالتَّدْبِيرِ وَالْإِبْدَاعِ، عَنْ مِشَارِكٍ لَهُ فِي الْإِيجَادِ
وَالْإِخْتِرَاعِ، وَسَمِيَتْهُ بِالْمَنْحِ الرَّبَانِيَةِ فِي بَيَانِ الْمَنْظُومَةِ الرَّحْمَانِيَةِ، مَتِيْمًا
بِاسْمِهِ تَعَالَى الْكَرِيمِ فِي افْتِتَاحِهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وختلاصة كلامه:

- 1 - إلحاح الإخوان عليه لشرح منظومة والده.
- 2 - حفظ المنظومة من الضياع أو النسيان.
- 3 - اغتنام الأجر في إفادة الناس وتعليمهم الآداب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية.

المطلب الثاني

فائدة الكتاب ومصادره ومنهج المؤلف فيه والمآخذ عليه

فائدة الكتاب.

يعد الكتاب أهم ما أُلِفَ في الطريقة الرحمانية، بحيث لا يستغني عنه أحد في معرفة أصول الطريقة وآدابها، والنظام الأساسي الذي تقوم عليه، والعلاقة التي تربط بين الشيخ والمريد.

وللكتاب قيمة تاريخية بالغة الأهمية، لأن الناظم ممن تتلمذ عن شيخ الطريقة وأخذ عنه علم الحقيقة أخذ معاناة ومشافهة، وشارحه هو ابن الناظم ووارث علمه وخليفة حلقاته.

مصادر الكتاب.

اعتمد الشيخ مصطفى على مصادر كثيرة في علم التصوف واللغة، بعضها مطبوع متداول، والبعض الآخر نادر التطاول، وبعضها لا يزال مخطوطاً، ومما صرح به في شرحه ما يأتي:

1. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني المتوفى سنة 336هـ - 947م⁽¹⁾.

(1) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الشافعي، الإمام الحافظ الثقة، له مصنفات عدة منها حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، ومعرفة الصحابة، والمستخرج على البخاري ومسلم، وغيرها، توفي سنة 336هـ - 947م. له ترجمة في: تذكرة الحفاظ للذهبي (3/1092)، وشذرات الذهب (3/245)، وطبقات الشافعية للأسنوي (2/264).

2. الحكم العطائية، لتاج الدين ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ. 1309م⁽¹⁾.

3. مفتاح الفلاح، لابن عطاء الله السكندري.

4. إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة 505هـ. 1111م⁽²⁾.

5. مفردات القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني المتوفى سنة 502هـ. 1108م⁽³⁾.

(1) هو أبو العباس وأبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الإسكندري الشاذلي، الإمام صاحب الحكم المشهورة، أعجوبة زمانه في كلام التصوف، من مصنفاته التنوير في إسقاط التدبير، توفي رحمه الله بالقاهرة في جمادى الأولى سنة 709هـ. 1309م. له ترجمة في: الديباج (ص: 131)، والدرر الكامنة (1/273)، وشذرات الذهب (19/6)، وشجرة النور (1/204).

(2) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي، من أعلام الشافعية وأعيان الصوفية، كان بحرا في الفقه والأصولين، وإماما قدوة في علم التزكية والتربية، ترك مصنفات كثيرة النفع في غاية الإتقان، منها إحياء علوم الدين، والمستصفى في أصول الفقه، والمنقذ من الضلال، توفي رحمه الله سنة 505هـ. 1111م. له ترجمة في: تبیین كذب المفتری (ص: 291 - 306)، سير أعلام النبلاء (19/322 - 346)، وطبقات الأسنوي (2/242 - 245)، ووفيات الأعيان (4/216 - 219).

(3) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، العلامة الماهر المحقق الباهر، توفي رحمه الله سنة 502هـ. 1108م. له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (18/120)، وبغية الوعاة (2/297)، ومعجم الأدباء (3/1156)، والوفاء بالوفيات (13/29).

6 . البردة، للإمام شرف الدين أبي عبد الله البوصيري المتوفى سنة 694هـ - 1294م⁽¹⁾.

7 . العهود والمواثيق، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة 973هـ - 1565م⁽²⁾.

8 . مدارج السالكين، للإمام الشعراني.

9 . الدُرُّ الفائق في فضل الصَّلَاة على النبي ﷺ، لأبي زيد عبد الرَّحْمَنِ الثعالبي المتوفى سنة 875هـ - 1470م.

10 . المنهل العذب الشيخ الحفناوي.

11 . الوصية للشيخ الحفناوي.

12 . الألفية للشيخ الحفناوي.

(1) هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي الدلاصي البوصيري، أصله من قلعة حَمَّاد بالمسيلة، وهو صاحب قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة، توفي رحمه الله بالاسكندرية سنة 694هـ - 1294م.

له ترجمة في: فوات الوفيات (362/3 - 369)، الوافي بالوفيات (88/3 - 94)، والأعلام (139/6).

(2) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد الشعراني الشاذلي الشافعي، الإمام الفقيه الأصولي المحدث، الصوفي العارف، تأليفه تزيد على ثلاثمائة كتاب في علوم الشريعة وآلاتها، منها لوائح الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بطبقات الشعراني الكبرى، توفي رحمه الله سنة 973هـ - 1565م.

له ترجمة في: ديوان الإسلام لابن الغزي (167/3 - 168)، وفهرس الفهارس (1079/2 - 1082)، والأعلام للزركلي (204/6)، معجم المؤلفين (218/6).

- 13 . القاموس المحيط، للفيروز آبادي⁽¹⁾.
14 . الصحاح، للجوهري⁽²⁾.
15 . شرح الجامع الصغير، للمُنَاوِي⁽³⁾.
16 . شرح صحيح البخاري، للقُسْطَلَانِي⁽⁴⁾.

-
- (1) هو أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي، إمام عصره في اللغة، توفي رحمه الله سنة 817هـ . 1415م .
له ترجمة في: الضوء اللامع (10/79 . 86)، وبغية الوعاة (1/273 . 275)، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (4/63 . 66)، والبدر الطالع (2/280 . 284).
(2) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، أحد أئمة اللغة والأدب المشهورين، صنف كتابا في العروض ومقدمة في النحو والصحاح في اللغة وهو أشهر كتبه، توفي رحمه الله سنة 393 هـ . 1003م، وقيل في حدود عام 400 هـ . 1010م .
انظر له ترجمة في سير أعلام النبلاء (17/80)، وشذرات الذهب (3/142 . 143)، وبغية الوعاة (1/466)، ومعجم الأدباء للحموي (2/205 . 211).
(3) هو زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء في عصره، له نحو ثمانين مصنفا، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة 973 هـ . 1622م .
له ترجمة في: شذرات الذهب (8/372)، وفهرس الفهارس (2/560 . 562)، والأعلام للزركلي (4/180 . 181)، معجم المؤلفين (10/166).
(4) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك الخطيب القُسْطَلَانِي القتيبي المصري، والقسطلاني نسبة إلى قُسْطَيْلَةَ بضم القاف بلدة بتونس، وكان بارعا في من علم الحديث، له إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، والمواهب اللدنية في المنح المحمدية في السيرة النبوية، ولطائف الإشارات في علم القراءات، توفي رحمه الله في القاهرة سنة 923 هـ . 1417م .
له ترجمة في: البدر الطالع (1/102 . 103)، والضوء اللامع (2/103 . 104)، وهدية العارفين (1/139)، والأعلام (1/232).

17. المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي⁽¹⁾.

منهجه.

1. شرح المفردات الغريبة معتمداً في ذلك على كتب المعاجم كالقاموس المحيط والصحاح للجوهري.
2. شرح المصطلحات الصوفية وبيان معانيها.
3. تدعيم الشرح بالنقول والاقتباس من الآخرين.
4. الأمانة في نقل الأقوال والنصوص، فهو لا ينسب آراء غيره لنفسه، بل يذكر صاحب القول، أو يشير إلى الكتاب المنقول منه.
5. كثرة الاستدلال بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار وأقوال أهل العلم.
6. الاستشهاد بالأبيات الشعرية، وفي الغالب لا ينسب البيت إلى صاحبه، وإنما يكتفي بقوله: قال الشاعر، ونحوه.
7. التزامه في ترتيب الكتاب على ما جاء في المنظومة من غير تأخير ولا تقديم.
8. يبدأ الشرح غالباً بشرح معاني المفردات، ثم بعد ذلك يشرع في توضيح المعنى.

(1) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي المقرئ، الشيخ الإمام العلامة، كان فاضلاً عارفاً باللغة والفقه، توفي رحمه الله نحو سنة 770هـ - 1368م. له ترجمة في: الدرر الكامنة (1/372)، بغية الوعاة (1/389)، والأعلام (1/224).

مآخذ على الكتاب.

مما يؤخذ عليه الشيخ في شرحه ما يأتي:

1 - أنه لم يبين في مقدمته المنهج الذي اتبعه في شرح الكتاب، وإنما اكتفى بذكر هدفه من تأليف الكتاب فقط.

2 - الاستشهاد بالأحاديث الموضوعة والضعيفة.

3 - ترك الإحالة إلى الكتب التي أخذ منها في ذكر بعض الأقوال.

خاتمة.

بعد هذا العرض الموجز في التعريف بالشيخين وكتايبهما، آمل أن أكون قد أفدت القارئ بهذا البحث المتواضع، مع اعترافي بالعجز وقلة البضاعة، وحسبي أنني قد بذلت جهدي، فما كان من توفيق وسداد فمن الله وحده، وما كان من نقص وزلل فمن نفسي والشيطان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله

وصحبه.

وصف نسخ الكتاب المعتمدة في التحقيق

اعتمدت على ثلاث نسخ خطية، كما استعنت بالنسخة المطبوعة.

1 - النسخة الأولى: نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، ورمزت لها بحرف (ج).

عدد ألواحها: 145 لوحة، وعدد أسطرها 21 سطرا، وعدد كلماتها ما يقرب من 9 كلمات في كل سطر.

وهي نسخة جيدة، كاملة، قليلة الأخطاء، وفي هامشها بعض التعليقات الخفيفة، وكتبت فيها أبيات المنظومة بخط أحمر.

لم يرد فيها اسم ناسخها، إلا أنها منسوخة في حياة المؤلف وعن أصله، بعد شهر من تبيضها من طرف مؤلفها، وكان الفراغ منها في يوم الأربعاء 9 جمادى الأولى سنة 1251هـ.

كُتِبَ في آخرها: «كان الفراغ من تبيضه ونقله من مسودته بخط شارحه، كان الله في عونيه بمنه وكرمه، ومنحنا صالح دعائه وحسن اتباعه، ورزقنا شديد محبته والسلوك على يده، بجاء سيدنا محمد وآله، صلى الله عليه وسلم تسليما، كان الفراغ منه صبيحة يوم الأربعاء لتسع مضي من جمادى الأولى من عام واحد وخمسين ومائتين وألف».

2 - النسخة الثانية: نسخة معهد الإطارات الدينية سيدي عبد الرحمن الإيلولي بتيزي وزو، ورمزت لها بحرف (ع).

عدد ألواحها: 46 لوحة من الحجم الكبير، وعدد أسطرها 25 سطرا، وعدد كلماتها ما يقرب من 14 كلمة في كل سطر.

وهي نسخة ناقصة تبدأ من أول المخطوط وتنتهي عند البيت 196، كتبت فيها أبيات المنظومة بخط أحمر.

3 . النسخة الثالثة: نسخة زاوية الهامل ببوسعادة، ورمزت لها بحرف (ه).

وهي نسخة ناقصة، تشتمل على نصف الثاني من الكتاب، إذ قد قسمت نصفين، فأخذ أحدهم النصف الأول وترك النصف الباقي، يبدأ من البيت 189 إلى آخر المنظومة، وفيها سقط كثير، وأخطاء .

عدد ألواحها: 130 لوحة، وعدد أسطرها 17 سطرا، وعدد كلماتها ما يقرب من 10 كلمات في كل سطر.

وهي منسوخة إما عن النسخة الأولى الموجودة في المكتبة الوطنية، أو عن نسخة أخرى كُتِبَتْ في نفس الوقت وانتهى منها صاحبها في نفس اليوم الذي انتهى فيه ناسخ الأولى، إذا جاء في آخرها: «كان الفراغ من تبييضه ونقله من مسودته بخط شارحه، كان الله في عونته بمنه وكرمه، ومنحنا صالح دعائه وحسن اتباعه، ورزقنا شديد محبته والسلوك على يده، بجاه سيدنا محمد وآله، صلى الله عليه وسلم تسليما، صبيحة يوم الأربعاء لتسع مضيّن من جمادى الأولى من عام واحد وخمسين ومائتين وألف؛ عرفنا الله خيرته وخير ما بعده، ووقانا شره وشر ما بعده، آمين، اه».

وناسخها هو محمد بن قارة علي القسنطيني، كان الفراغ منها يوم الجمعة من شهر جمادى الثانية سنة 1280هـ

كتب في آخرها: «وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة بعد صلاة العصر لخمس عشرة يوماً مضت من شهر الله جمادى الثانية سادس شهور عام 1280 ثمانين ومائتين وألف، على يد الفقير إلى الله الغني به عن كل ما سواه، عبده محمد بن قارة علي القسنطيني منشأ ودارا، الحنفي مذهبا، الأشعري اعتقادا، كان الله له، وغفر زلته، وستر عيوبه، وختم بما يرضيه عمله، بمنه وكرمه آمين آمين؛ انتهى».

4 - النسخة المطبوعة: وهي نسخة مطبوعة بالمطبعة الرسمية التونسية، سنة 1307هـ، ورمزت لها بحرف (ط).

وهي طبعة حجرية جيدة ومصححة قليلة الأخطاء، تقع في 263 صفحة، قال مصححها: «فقد نجز بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب على غاية من التصحيح بقدر الاستطاعة، لقلّة وجود نسخ منه، مع ما عسى أن يقع من السهو الذي لا ينزه البشر عنه».

صور من نُسخ المخطوطات

اللوحة الأولى من النسخة (ع)

والله تعالى لا يموت من انما بالانفس كما **يوصف بالاوليا** اي بوجود واجب الوجود الخالق
وامدادنا .. وباعلامه العجيب **معايشنا ومعادنا** **فانه** لا يعلم الغيب من الله كصديق الخائفين
وبه وجدت الحروف فان : **فقد** عند حيا اسمه **تدعى** من الله برك ومن السبر سرك ومن
العجيب منته **جميعهم** **سرو** **ميرزا** **سرو** **وسرو** **عرو** **افرو** **دعته** **عليهم** **جميعهم** **لا**
وكان **اربع** **عشر** **الحبة** **الطاهرة** **لما** **كانت** **الاسماء** **الالهية** **سبعا** **وجود** **العلم** **المعجزة** **له** **كانت**
البسطة **انفردوا** **كل** **امر** **وبعضهم** **حديث** **البسطة** **مكتبة** **كل** **كتاب** **وجده** **كل** **امر** **في**
بال **الخ** **وغير** **التشكيك** **بده** **سبب** **ان** **السيرة** **الامتداد** **بالبسطة** **الامتداد** **ان** **الامتداد**
بالسيرة **كل** **وجود** **وامداد** **الوجود** **انما** **الامتداد** **كلها** **من** **حده** **الاول** **لانه** **شبه** **الاول**
بفضاية **حواء** **من** **ادم** **عليهما** **السلام** **ومنها** **تولد** **سائر** **الحوادث** **كانت** **من** **حوادث** **ادم**
من **ادم** **وزوجه** **فصل** **الاحل** **زوج** **الاحل** **والنورية** **فروع** **منها** **والالف** **بشير**
للوحدانية **ومنه** **عقلى** **شبه** **الله** **انه** **لا** **الله** **الاهو** **والالف** **بشير** **للتبوية** **ومنه** **عقلى** **الظهور**
والامداد **ومراتب** **الامتداد** **اولا** **ما** **حكم** **القل** **بسبح** **الله** **الاله** **الاله** **الاله** **انما** **من** **استسلم**
الفكا **ي** **وصبر** **على** **الله** **وشكر** **لنعمائه** **وكنيته** **من** **اولياء** **ومن** **لم** **يستسلم** **لنعمائه** **ولم**
بصبر **على** **الله** **ولم** **يشكر** **لنعمائه** **بل** **خرج** **من** **قيد** **سماوي** **ووجد** **درا** **سوا** **الام** **باسم**
مكة **نجد** **افدع** **عليه** **لا** **مادة** **الاختصاص** **مع** **الاختصاص** **وجوده** **يا** **غير** **يا** **حرف** **فان** **الله**
الله **على** **عدوه** **وصدوه** **عليه** **والعدو** **راش** **من** **النفس** **والهواء** **والنفس** **فانها** **الفكا**
العلم **والاعانت** **عليها** **بما** **العلم** **وعدم** **سلوك** **ببيلتها** **وتجمل** **انه** **اراد** **يا** **غير** **عليها**
ذلك **وما** **كنتك** **وهو** **يا** **من** **ان** **تغنى** **من** **النفس** **لا** **تارة** **والهوامة** **ان** **ليس** **لعدوه** **بما** **اراده**
والاعانت **عليها** **به** **وكان** **على** **السبيل** **ويعق** **العلم** **عن** **على** **كرك** **وشكر** **ومسعود** **عليها**
اراد **بما** **اراد** **وقال** **على** **الله** **عليه** **وسبح** **الله** **عن** **لان** **عليه** **ومنه** **والعلم** **على** **الامير**
الحالة **من** **الله** **الزينة** **ومنا** **العلم** **ومنه** **العلم** **استعجاب** **اراد** **عن** **الحب** **سرو** **هوى**
لم **موضع** **العلم** **تم** **علق** **لغرض** **عليها** **لغرض** **معنى** **النزول** **وقد** **احسن** **من** **عشر** **شكر**
بل **استنزل** **الزينة** **فان** **جعل** **حالة** **العلم** **عليه** **على** **الله** **عليه** **وسبحة** **لغرض** **والعلم** **على**
جه **لغرض** **على** **الله** **عليه** **ان** **العلم** **بشفا** **عنه** **واغري** **من** **منزلة** **من** **يعنى** **القيمة** **اكثر** **حالة** **على**
ع **الدين** **فان** **بعض** **العلم** **بشفا** **عنه** **واغري** **من** **منزلة** **من** **يعنى** **القيمة** **اكثر** **حالة** **على**
ع **الدين** **فان** **بعض** **العلم** **بشفا** **عنه** **واغري** **من** **منزلة** **من** **يعنى** **القيمة** **اكثر** **حالة** **على**

[illegible]

الاصوات بحرفة واحدة موزنة **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الذين جلسوا متحلفين
 بسكنية ووقلا وخشوع وذكرا بصوت منسكب وعليق مراعة الوتران والحقن علوا
 وحفلا وخشيع قراءة العودان **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان
 الانكاس والحبك بالحكمة واليدى والاركان **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع
 الله من بعد الحزن بل يجمعون فيه كما يراهم الله تعالى ويقون حاكم على كل شيء
 وحرفة مستقيمة وليس لاحد من يغير الحرفة من احد الا من تيسر او نفسه حتى يسم
 الشيخ او الصفي علىهم **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان
 يكون عليه **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان **وهذه الحرفة**
 على من يغير من ذلك فهو المعهود عندهم والمؤيد يشهد في امر ما يكره عليه ذكر الله تعالى
 احقر اعدو الله يشهد عليه جماعة واحقر اعدو الله يشهد عليه جماعة واحقر اعدو الله
 واذا من الجماعة زاد الثواب **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان
 مؤيد واحد ومؤيد غير جماعة **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان
 مؤيد واحد وكذا يكون جماعة على قلب واحد **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع
 مؤيد واحد **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان **وهذه الحرفة**
 فانما في الجموع الخاصة ما لا يتجاوز حلقه الذي والجهي به المسجد وغيره مستقيم
 او مقدر **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان **وهذه الحرفة**
 الجهي بالحق ووجدت احاديث معروفة بالاجتماع الناس وحلقهم للذي المسجد وغيره
وهذه الحرفة اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان **وهذه الحرفة**
 وانما في المعنوية جلا ان عند كل واحد وانما في المعنوية جلا ان عند كل واحد
 في كل من ذكره في كل واحد **وهذه الحرفة** اذا ارادوا اجتماع الناس والاركان
 مسعود رضي الله عنه ان الجليل في اسم الله جل جلاله في المعنوية ان الله جل جلاله
 استبشنته وعند سعيد مولانا عباس رضي الله عنه ان الله جل جلاله في المعنوية
 بالذي حين يصدر الناس من المعنوية في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس
 امره اذا ملكا تداوت في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس
 ما يكره على عبيد ويقول ان في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس
 ان اسم الله جل جلاله في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس
 في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس في كل واحد من الناس

على اجتماع الناس
 في كل واحد من الناس

على اجتماع الناس
 في كل واحد من الناس

اللوحة 1 من النسخة (هـ)

تعالى وكما عند مجموع النسخ بدل ما عاجلا واجلا على سبيل التشبيه البليغ
 وأشار بقوله كلام الله العزيز حيث انتهى الآية الأخرى التي قوله تعالى وانما كرام اسم ربحا
 بكثرة واصيلا وقوله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
 والعشي اي يذكرون ولا يمشي فليصم شغل عنه في الغد والاصلا وقوله في
 معكوف على كلام الشيخ في العالمين وقوله حيث عنهما اي عليهما جعرا يعني على
 فيما احضه على الامر حضا اخذته عليه من باب قتل والمعنى حيث كلام الله تعالى
 وكلام النبي صلى الله عليه وسلم مر على الجمع في جماعة ثم فقد يذكرون الله تعالى حتى
 تطلع الشمس ثم حل في ركعتين كان له كاجر حجة وعرة تامة قال الترمذي
 حديث حسن واخرج البيهقي وابن ابي الدنيا والاصمعي عن اسير رضي الله
 تعالى عنه **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجلس مع قوم يذكرون الله
 تعالى من بعد صلاة الصبح الى ان تطلع الشمس احب الي مما طلعت عليه الشمس
 وكان اجلس مع قوم يذكرون الله تعالى من بعد صلاة العصر الى ان تغيب الشمس
 احب الي من الدنيا وما فيها والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة شبيهة **ثم**
 امر بالادوام عليه والملازمة لما ذكره في خواصه وقال **كان موصلا**
يا اخوان تبغوا بها الرضوان **تمتعكم الغفران** **تفيكم البلائ**
 اي لا تتلقوا عنما معرضين عن ذكر الله فان الاعراض عن ذكر الله تعالى
 يوصل الى سخطه وخصوصا وقت تعاقب الملائكة فيكم بل ان كان مقوما

من مدح كائنات الخواص التي توحه ان عالم الغيب ولا يمكنه التوجه الى
العاليم مدح حال بدانيه قوله الخبيثة فليسا يدور حول الشمس
اللوحة السابعة العاشرة والطبيعة عند اهل الله قبل ان يخلقوا
من فية الذين تلوح البعب لا تستعمل العباد كمنوع للاخلاق والبر
بها هذا الذم ان انسانية الحيوانات وفي النفس البشرية ويعبر
عن اياها بغير وجهه تعالى القلب وهي في الحقيقة نزل الراء الى
رثة فية من النفس من انسانية لها وجهه ومناخية للقلب بوجهه وهي
الوجه كالمصدر والقلب في القلب وحل في النفس الطائفة لها
الحوار في قلبه كل الحواس من انفسها لمخلها فوله **توجه نفس**
ملهمه استمر اهل الفقه في الدنيا والقيامة ما كان في الاية في انوارها
المريد السالك طريق اهل التجريد انما اشكرت من عكس الجبال على
حساب ما مر وزفت بالرياضة والمجاهدة على الفنون الشرعية
يجب مقام الانوار وهي كما مر عشرة اذ في مجامع نوريات
تصلح نسخمة في سائر فروع العلوم الملهمه وهو النوع الثالث
من انواع النجوم كما اوردته فوله توجه بفسط ملهمه يقض ان النفس
كتم ملهمه ومقامها يسمى مقام الاسرار ومخلها الروح
واراد هذا العروة وحالها الفسق وسيرها التي اليه يعني

المسألة في هذا العلم لا يقع بغير خبرته لا علم الله تعالى انفسا
ماسوي الله في شعوره وعلمها عالم الارواح وانما كان عالمها
عالم الارواح لتوحد النفس في هذا المقام وتعلقها بالروحانيات
للمناسبة المذكورة ومما يضاف على عالم الشهادة وصفا هذا السعي
والفطنة والعلم والتواضع والبر والتعلم وفعل الكائنات والعبود
من التام وحملهم على الصالح وقبول غيرهم وشهود الله تعالى
واختصاصه كإدابة بل بوله اغتراف على مخلوقه ومن
صفا هذا الشوق والتهيأ واليكاف والفتوى الاستقبال الخلق
والتلويح وتعاقب القلب والبسطة والخوف والرجاء والاعوان
الخشعة وزجاجة الهيكل سئل عما وجب التفكير وباشارة
الوجه والفرح بالله والمعارف والاشادة وسميت ملهمه
لان الله تعالى الهام بغير حمار فقهه فوله استمر اهل العمى
التي يقض ان اصناف انفسها ملهمه واخيرات مجامع الانوار عندها
وقزت الغنى العمى وانكرت الاسرار الربانية وتحت لك
المعارف والالهيّة وحصلت لها المشاهدة في العاجلة والاجلة
ولم تابدأ والاب واللام في الاية العبد والمعتود فوله تعالى
من كان في هذه العروة العبد يعوب في البرة العبد فالعلاءه البصائر

اللوحة الأخيرة من النسخة (هـ)

ووضع فيه ملائكة كعاشرة اوراقه ونحوها وفي العود والقي
 الصبر على الله عليه وسلم وما به وما في علمه اياه ام لا وقوله
 الاشيا بقى للصلاة وهو مع ختم بالتمديد لا تم انتم اختيار
 لقوله علم الله عليه وسلم اعلم انكم بايعتم اقتديتم استديتم
 وقوله انتم علموا علم صابرة وراجه شيخنا سيده محمد بن عبد
 الرحمن ونسبه الى الجامع الارني بالمخار وقوله هذه الانوار بقى
 له واراد بالانوار معارفه الربانية وعلومه اللدنية وقوله جميع
 الارباب اعطى على سابعة والعرض على خاتم التعميم وفي الحديث
 اجابتم على جميعوا وكان التعميم في الدعاء معذوبا وهذا
 واخر ما في الله تعالى جمعه في شرح هذه الانوار حوزة المنورة المقدسة
 المحمدية الغلية الحرم العربي والعلم وكان البراع من تجريد
 حجة يوم الاثنين السبع بقى في ذلك اتم بحرين علم واحد
 وخمير واثني واب والجرم الذي بعد ان العذر وانما لنفسي
 لو كان بعد ان الله والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الامين
 وعلى اله واصحابه وفي الفضل الجلاء نفسه سبحانه ان يقع
 لنزول الدنيا والموتى وان يوفى له ما يوعده ويرزاه ويجول
 واخر كلامنا ان الله الامام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعلى اله

وعلى اله ونحوه وسلم تسليما سبحان ربنا رب العرش العظيم
 يصعق وسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين ام كان
 البراع من تبيينه ونقله في مسودة تبه بحد شارحه كان الله
 في عونه بانه وامنه ومنهنا عالم دعا به وحسب اقتباسه
 وزنا فزيد بن جبره والصلوة على سيدنا محمد
 واله صلى الله عليه وسلم تسليما صبيحة يوم الاربعه تسع
 بغير من شعر عبادي الا الذي علم واحد وخمير وما بقي
 والاعرف ما الله خير وخير ما بعد وفانا شيء وشي ما بعد
 وايضا ام وكان البراع من نسخته يوم الجمعة بعد صلاة
 العشر خمسة عشر يوما مضى في شعر الله جهادي المأثرة
 سادس مسموع المائتي وما بيني والى على يد العظمي
 الى الله العظيم به على كمال سواه بعدة محمد بن قاري على
 الفضل بن فضال دار الخفيفي بعد هذا الا شعر اعتقاد
 كان الله له ونعم زليته وستي عيوبه وختم بلير حبيب
 محمد بنه وحمد وايضا امين الله

قسم التحقيق

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

[مقدمة الشارح]

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.
قال الشَّيْخ الإمام، العالم العلّامة، الحَبْرُ البحر الفهّامة، رحلة
الطّالِبين، وعمدة العلماء الرّاسخين، مُرَبِّي المريدين، وقدوة السّالِكين،
الفقيه الصّوفي، الشَّيْخ مصطفى بن عبد الرحمن
باش تارزي القسطنطينيّ، فسح الله له في قبره آمين: نحمد مَنْ وهب من
نوره القدسي، وأبرز من إشراق الضياء الحسي، وأودع مصباح اللطيفة
السرية، في مشكاة القوة النظرية، وجعلها كالكوكب الدُرِّي مُتَوَقِّدَةً من
شجرة مباركة عَلَوِيَّة، لا شرقية ولا غربيّة.

ونصلّي ونسلم على أشرف قائم بدعوة الهداية، وأفضل من أنقذ
الأمّة من الضلالة والغواية، وعلى آله الطّاهرين، وأصحابه وأتباعه
أجمعين.

وبعد: فلمّا لم ينفعني التّعَلُّل بلَعَلَّ وعسى، عن اقتراح بعض
الإخوان في كُلِّ صباح ومساءً، أن أكتب فوائد لا تُفقد
بمطالعة المنظومة الرّحمانيّة، التي وضعها الشَّيْخ والدي رحمه الله
تعالى في الآداب الشرعية المتعلقة بالطّريقة الخلوتيّة، تحفظها من
الضياع، وتخرجها إلى حيّز الانتفاع، لِمَا أنّ كثيرا من المجموعات لا

سَيِّمًا المنظومات⁽¹⁾، إذا لم تُقَيَّد شواردها بقيود الشُّروح، تظلّ فوائدها في زوايا الإهمال ولو كان نشر التَّحقيق منها⁽²⁾ يفوح، مع إعراضي عن ذلك برهة من الزمان، لعلمي أنّي لست من أهل هذا⁽³⁾ الشَّأن، وفَقْدَ مادّة نستند إليها في علم المتقاصي، وعدم قريحة وَقَّادَةٍ نَعتمد عليها في فهم المتعاصي⁽⁴⁾، وبُعْدُ عهدي بما تلقَّيته في عهد عُنفوانِ الشَّباب عن الأستاذ والدي رحمه الله تعالى في هذا الباب، حتّى نسج عناكب التَّسيان على ما مرَّ على ذهني أو لمحتته عيني في مطالعة رسالة أو كتاب، عدت إلى مقتضى اقتراحهم، عسى أن يكون بَارِقُ إلهام أَوْمَضَ بَرْقُهُ⁽⁵⁾ من جانب سريرتهم، ورجاء أن يكون سعيًا مشكورًا، وعملاً خالصًا مبرورًا، فشرعت مع قَلَّةِ البضاعة، وعدم التَّمَرُّن في الصَّناعة، في تقييد شرح يستسهله الدَّخِيلُ، ويستحسنه النَّبِيلُ، وإن كان لوضوح الأصل لولا ما قيل لا يحتاج إلى قال وقيل، مستعينا بالمنفرد في ملكه بالتدبير والإبداع، عن مشارِكٍ له في الإيجاد والاختراع، وسميته بالمنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، متيمِّناً باسمه تعالى الكريم في افتتاحه بيسم الله الرَّحمن الرَّحيم.

(1) في ج [لا سيما في المنظومات].

(2) [منها] ساقط من ج.

(3) نهاية الورقة (1/و).

(4) الْمُتَعَاصِي: أي العويص، وهو الأمر الصعب، وَعَوِصَ الْكَلَامُ يَعْوِصُ، أي صَعَبَ.

(5) أَوْمَضَ برقه: أي لَمَعَ لَمَعًا خَفِيًّا وَلَمْ يَغْتَرِضْ فِي نَوَاحِي الْغَيْمِ، والتعبير هنا مجازي.

قال الشيخ الإمام سيدي ووالدي وأستاذي، وعُدّتي في كلّ أموري وملاذي:

1 - بِاسْمِكَ نَبْدَأُ يَا مُعِينُ وَالصَّلَاةُ عَلَى الْأَمِينِ

2 - مَنْ أَتَانَا بِالتَّلْقِينِ فِي طَرِيقِ الْأُولِيَا

أي بجلود واجب الوجود إيجادنا وإمدادنا، وبإنعامه العميم معاشنا ومعادنا.

قال الإمام القشيري⁽¹⁾: «بالله ظهرت الحادثات⁽²⁾، وبه وُجِدَتْ المخلوقات، فقوم⁽³⁾ عند ذكر اسمه يتذكّرون من الباء بِرُّهُ، ومن السّين سِرُّهُ، ومن الميم مِتُّهُ، فيعلمون أنّهم ببرّه ميّزوا سرّه، وبسرّه⁽⁴⁾ عرفوا قدره، وبمِتُّه عليهم حفظوا أمره».

(1) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري الخراساني النيسابوري، الإمام الزاهد القدوة، والفقير الشافعي الحافظ المفسر، من أقطاب التصوفية، جمع بين الشريعة والحقيقة، توفي رحمه الله سنة 465هـ - 1074م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (83/11)، وتبيين كذب المفتري (ص: 271 - 276)، وسير أعلام النبلاء (227/18 - 233)، ووفيات الأعيان (205/3 - 208).

(2) الحَادِثَاتُ: جمع حَادِثٍ، أي خُلِقَ وَوُجِدَ بعد أن لم يكن.

(3) قصد بالقوم أهل المعرفة بالله تعالى، الذين عرفوا الحق فاتبعوه، وزجروا الهوى عنهم وردعوه.

(4) نهاية الورقة (1/ظ).

وقال ابن عربي محيي الدين الحاتمي⁽¹⁾: «لَمَّا كَانَتِ الْأَسْمَاءُ
الْإِلَهِيَّةُ سَبَبَ وجود العالم المؤثرة له، كانت البسملة ابتداء كل أمر.
ويعضده حديث: «الْبَسْمَلَةُ مِفْتَاحُ كُلِّ كِتَابٍ»⁽²⁾، وحديث: «كُلُّ
أَمْرٍ ذِي بَالٍ»⁽³⁾، إلخ.

(1) هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الطائي
الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف
وغيره، ولد ونشأ وتعلم بالأندلس، ثم رحل إلى بغداد ومكة ودمشق وبلاد الروم،
من تصانيفه كثيرة منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكيم، توفي رحمه الله
بدمشق سنة 638هـ. 1240م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (310/16)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص:
469)، والوفاي بالوفيات (124/4 - 127)، وفوات الوفيات (435/3 - 440).

(2) أخرجه الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع
(264/1) عن أبي جعفر محمد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِفْتَاحُ كُلِّ كِتَابٍ»، وإسناده ليس بمتصل، أبو جعفر محمد بن علي
بن الحسين بن علي رضي الله عنهم لم يصرح ممن سمعه.

(3) أخرجه أحمد (359/2 رقم: 8697)، وأبو داود (261/4 رقم: 4840)، والنسائي في
الكبرى (127/6 رقم: 10328)، وابن ماجه (610/1 رقم: 1894)، وابن حبان
(173/1 رقم: 1)، والدارقطني (235/1 رقم: 872)، وابن أبي شيبة (339/5 رقم:
26683)، والبيهقي (208/3 رقم: 5559)، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ، فَهُوَ أَقْطَعُ»، وحسنه
النووي في شرح صحيح مسلم (43/1)، وابن الملقن في البدر المنير (528/7).

والرواية التي أشار إليها الشارح هي ما رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق
الراوي وآداب السامع (69/2 رقم: 1210) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ»،
وهذه الرواية أشار الحافظ في فتح الباري (220/8) إلى ضعفها.

وذكر الشَّطِيبِيُّ⁽¹⁾ في تفسيره أَنَّ السِّرَّ في الابتداء بالبسملة إشارة إلى أَنَّ معناها بسم الله كُلِّ موجود، وإمداد الموجودات الحادثة كُلِّها من حرف الباء، لأنَّه شَفَّع الألف بمثابة حواء من آدم عليهما السَّلام، ومنها تولَّدت سائر الحروف كما تولَّدت بنو آدم من آدم وزوجه، فأدم الأصل وزوجه الفصل والذَّريَّة فروع منهما، فالألف يشير للوحدانيَّة، وفيه معنى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁽²⁾، والباء يشير لِلثَّنَوِيَّة، وفيه معنى الظُّهور والإمداد ومراتب الإعداد.

أَوَّل ما خطَّ القلم «بِاسْمِ اللَّهِ، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مَنْ اسْتَسَلَّمَ لِقَضَائِي، وَصَبَرَ لِبَلَائِي، وَشَكَرَ لِنِعْمَائِي، كَتَبْتُهُ مِنْ أَوْلِيَائِي، وَمَنْ لَمْ يَسْتَسَلِّمْ لِقَضَائِي، وَمَنْ⁽³⁾ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَائِي، فَلْيُخْرِجْ مِنْ تَحْتِ سَمَائِي وَيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَائِي»⁽⁴⁾، اهـ.

وقوله: (بِاسْمِكَ) صلة (نَبْدًا)، قُدِّم عليه لإفادة الاختصاص مع الاهتمام.

وقوله: (يَا مُعِينُ)، أي يا ناصر، يقال: أعانته الله على عدوِّه، نصره عليه.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن الزروالي نسبة إلى قبيلة بني زروال، المعروف بالحاج الشطبي، صنف الجمان في مختصر أخبار الزمان، والإشارات السنينة في شرح أرجوزة أحمد بن محمد بن البناء في التصوف، توفي رحمه الله سنة 963هـ - 1556م.

له ترجمة في: الأعلام (292/6)، ومعجم المؤلفين (295/10).

(2) سورة آل عمران: 18.

(3) [ومن] ساقط من (ع).

(4) ذكره الإمام القرطبي في تفسيره (298/19) منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنه.

ولا عدوّ أشدّ من النَّفس والهوى والشَّيطان، فإنَّها القاطع العامّ، والإعانة عليها بمخالفتها وعدم سلوك سبيلها.

ويُحتمل أنّه أراد يا معين على عبادتك وطاعتك، وهو يلائم مَنْ ارتقى⁽¹⁾ من النَّفس اللّوامة والأمارّة، إذ ليس له عدوّ حينئذٍ⁽²⁾ يعارضه ولا ظلمة تجاذبه.

وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»⁽³⁾، رواه أبو داود⁽⁴⁾.

(1) نهاية الورقة (2/و).

(2) [حينئذ] ساقط من ج.

(3) أخرجه أحمد (429/36 رقم: 22119)، وأبو داود (86/2 رقم: 1522)، والنسائي (53/3 رقم: 1303)، وابن خزيمة (369/1 رقم: 751)، وابن حبان (364/5 رقم: 2020)، والحاكم (407/1 رقم: 1010) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في بلوغ المرام (85/1): «بسنَد قوي»، وقال النووي في الأذكار (ص: 154): «بإسناده صحيح». ونصه كما في أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». واللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد (360/13 رقم: 7982)، والحاكم (677/1 رقم: 1838) وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

(4) هو الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، من أئمة الحديث وأحد أصحاب السنن الأربعة، رحل في طلب العلم رحلة كبيرة، أخذ عن أعلام الحديث كأحمد بن حنبل وابن معين وابن أبي شيبه وغيرهم، من مؤلفاته السنن، والمراسيل، والبعث، توفي رحمه الله بالبصرة سنة 275 هـ - 888 م. له ترجمة في: الجرح والتعديل (4/101 - 102)، وتاريخ بغداد (9/55 - 59)، وسير أعلام النبلاء (13/203 - 221)، وتذكرة الحفاظ (2/591 - 593).

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي وَلَا تُعِن عَلَيَّ»⁽¹⁾.

وقوله: (وَالصَّلَاةُ عَلَى الْأَمِينِ)، الصَّلَاةُ من الله تعالى الرَّحمة، ومِنَّا الدَّعاء، ومن الملائكة استغفار، كذا أثر عن ابن عباس⁽²⁾، وهو أعرف بوضع اللُّغة، ثم تعلق لفظ «عَلَى» بها لتضمن معنى التَّزول.

وقد أحسن مَنْ عَبَّرَ عنها باستئزال الرَّحمة، لأنَّه تعالى جعل صلاة الخلق عليه ﷺ وسيلة لقربه ودليلا على حبه، لقوله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَاكُمْ بِشَفَاعَتِي وَأَقْرَبَكُمْ مَنْزِلَةً مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ صَلَاةً عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا»⁽³⁾.

(1) رواه أحمد (452/3 رقم: 1979)، والبخاري في الأدب (ص: 231 رقم: 664)، وأبو داود (83/2 رقم: 1510)، والترمذي (554/5 رقم: 3551) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (1259/2 رقم: 3830).

ولفظه كما في الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِن عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَرًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَاعًا، لَكَ مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوَاهَا مُنِيًّا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَتَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاشْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي».

(2) هو الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، حبر الأمة و ترجمان القرآن وأحد الستة المكثرين من الرواية، دعا له النبي ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»، وكان عطاء اذا حدث عنه قال: حدثني البحر، وقال ابن عمر: «نِعَمَ ترجمان القرآن ابن عباس»، توفي رضي الله عنه بالطائف سنة 68 هـ - 688 م.

له ترجمة في: الاستيعاب (933/3 - 939)، وأسد الغابة (186/3 - 190)، والإصابة (141/4 - 152)، والرياض المستطابة (ص: 198 - 199).

(3) كذا أورده المصنف بهذا اللفظ، ولم أعثر عليه، وأقرب لفظ إليه ما رواه الترمذي (354/2 رقم: 484) وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان (192/3 رقم: 911)، والبخاري (278/4 رقم: 1446)، وأبو يعلى (13/9 رقم: 5080) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَاكُمْ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً».

قال بعض العارفين: «لَمَّا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لِلأُمَّةِ عِنْدَهُ ﷺ به خدمة كما له عليهم بالشَّفاعة به نعمة، أمرهم بالصَّلَاة عليه ثم كافأهم بما لديه، كما أخبر ﷺ مشيرا إليه: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»⁽¹⁾.

قال المحقق علي بن سلطان القاري⁽²⁾ في تفسيره: «وفي هذا إشارة إلى أَنَّ العبد لا يستغني في وقت من الأوقات عن الزيادة في الخير، إذ لا رتبة فوق رتبة الرّسول ﷺ وقد احتاج إلى صلوات الأُمَّة»، اهـ كلامه.

وقيل عليه: إِنَّ النبي ﷺ غنيّ برّبّه وبما وعده به، فلا حاجة له إلى صلاة المصلّين، وإنّما المقصود حصول الثواب لمن صَلَّى عليه

(1) رواه أحمد (444/14 رقم: 8854)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 224 رقم: 645)، ومسلم (306/1 رقم: 408)، وأبو داود (88/2 رقم: 1530)، والترمذي (355/2 رقم: 485)، والنسائي (50/3 رقم: 1296)، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

(2) هو المُلّا نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي، كان إماما متفنا، جامعا للعلوم النقلية والعقلية ومتضلعا من السنة النبويّة، وصنف كتبا كثيرة منها تفسير القرآن، والأثمار الجنية في أسماء الحنفية، وشرح مشكاة المصابيح، وسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني، والزبدة في شرح البردة، ورسالة في الرد علي ابن عربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد، توفي رحمه الله بمكة سنة 1014هـ . 1606م.

له ترجمة في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (185/3 . 186)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (445/1)، والأعلام (12/5 . 13).

تفضلاً من الله تعالى على⁽¹⁾ أمته بوعده الثواب لمن صلى على نبيه وصفيه⁽²⁾، فتعبد المؤمنون بذلك، حتى إن من لم يصل عليه كان جافياً وبخيلاً، وحينئذ فالصلاة الصادرة من زيادة في ثواب المصلي وعمله الصالح، وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى ويُنال بها شفاعة النبي ﷺ، لأنه ورد أنها مقبولة على أي حال صدرت، وغيرها من القربات شرط قبولها سلامتها من الرياء والبدعة، فقبولها مطلقاً خصوصية للصلاة عليه ﷺ.

وما قيل إنه لا حاجة له ﷺ إلى صلاة المصلين لا يلائمه ما أخرجه أبو داود في سننه عن عمر بن الخطاب⁽³⁾ رضي الله عنه: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذَنَ لِي، وَقَالَ⁽⁴⁾: «لَا تَنْسِنِي يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، فَقَالَ لِي كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا»⁽⁵⁾، اهـ.

(1) نهاية الورقة (2/ظ).

(2) في (ع) صفوته.

(3) هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي المدني، ولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وشهد المشاهد، وشهد له النبي ﷺ بدخول الجنة، وكان من أعظم الصحابة فضلاً وعلماً، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 23 هـ - 644 م.

له ترجمة في: الاستيعاب (1144/3 - 1159)، وأسد الغابة (642/3 - 678)، والإصابة (588/4 - 591).

(4) في (ع) قال لي.

(5) رواه أحمد (1/325 رقم: 195)، وأبو داود (2/80 رقم: 1498)، والترمذي (5/559 رقم: 3562) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (2/966 رقم: 2894).

وَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَى لَا غَنَى عَنْهُ، وَقِصَّةُ أَيُّوبَ⁽¹⁾ شَاهِدٌ صَدَقَ عَلَى ذَلِكَ فَتَأَمَّلْ.

وقوله: (الْأَمِينُ)، هو من أسمائه ﷺ، عُرِفَ وتميَّزَ به قبل النبوة وبعدها، وكانت قریش تسميه ﷺ قبل البعثة محمد الأمين.

وفي الحديث: «إِنِّي لَأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ»⁽²⁾.

وقد سمَّاهُ اللهُ تَعَالَى به فقال: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾⁽³⁾، على رأي مَنْ قال بذلك من المفسِّرين لا جبريل عليه السَّلام⁽⁴⁾.

وهو ﷺ⁽⁵⁾ أَحَقُّ بهذا الاسم، لَأَنَّهُ آمِينَ اللهُ عَلَى وَحْيِهِ وَدِينِهِ.

(1) أراد بقصة أيوب عليه السلام ما رواه البخاري في صحيحه (72/1 رقم: 279) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ غُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَعْتَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعَزَّيْتُكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه (10/8 رقم: 14091) عن زيد بن أسلم مرسلا، ورواه الروياني في مسنده (462/1 رقم: 695)، والبزار (315/9 رقم: 3863)، والطبراني في الكبير (331/1 رقم: 989)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (126/4): «وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف»، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (444/1): «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف».

(3) سورة التكوين: 21.

(4) جاء عن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك وميمون بن مهران وأبي صالح أن المقصود بقوله تعالى: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾، هو جبريل عليه السلام، أي تطيعه الملائكة في السموات، وأمين على وحي الله ورسالاته.

(5) [صلى الله عليه وسلم] ساقط من ج.

و في الدَّر المنظم: «الأمين الذي يُلقى إليه بمقاليد المعاني ثقةً بقيامه عليها وحفظها، فالأمين الحافظ ما أُوحِيَ إليه وما كُلفَ بعلمه وتبليغه⁽¹⁾، وكان عَلَيْهِ السَّلَام يُسَمَّى في الجاهلية به لثقتَه ونزاهته عن الخيانة».

وقال غيره: الأمين في نفسه من عقاب ربّه، أخذًا من قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁽²⁾، فَسُمِّيَ بما ناسب قدره. وقيل: معناه الأمين فيما جاء به عن ربّه من أمره ونهيهِ ووعدهِ ووعيدهِ، بدليل الهجرة.

وقوله: (مَنْ أَتَانَا بِالتَّائِقِينَ) إلخ، الموصول صفة للأمين. و (التَّائِقِينَ): مصدر لَقَنَهُ الشَّيْءُ . المضعف . فَتَلَقَّنَهُ، إذا أخذه مشافهة⁽³⁾.

قال الفارابي⁽⁴⁾: «تَلَقَّنَ الكلام أخذه وتمكَّن منه».

(1) نهاية الورقة (3/و).

(2) سورة الفتح: 2.

(3) انظر مادة: لقن، في القاموس المحيط (ص: 1231)، والمصباح المنير (2/558).

(4) في جميع النسخ الفراوي، والصحيح الفارابي، كذا في المصباح المنير.

وهو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي اللغوي، خال أبي نصر الجوهري، وهو غير الفارابي الفيلسوف، صنف ديوان الأدب، توفي رحمه الله سنة 350 هـ 961م.

له ترجمة في: بغية الوعاة (1/437.438).

وقال ابن فارس⁽¹⁾: «لَقِنَ الشَّيْءَ لَقْنًا مِنْ بَابِ تَعَبَ، فَهُوَ لَقِنٌ، فَهَمْهُ وَتَلَقَّنَهُ»⁽²⁾.

كذلك فالتلقين يصدق على الأخذ مشافهة وغيره، وقد لقن النبي ﷺ سيدنا⁽³⁾ علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة التوحيد مشافهة كما سيجيء بيانه إن شاء الله تعالى.

وقوله: (فِي طَرِيقِ الْأُولِيَا) يتعلّق بمحذوف تقديره المروي.

(1) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، من أكابر أئمة اللغة، صنف التصانيف الكثيرة المفيدة منها كتاب المجمل، وفقه اللغة، وغريب إعراب القرآن، والصاحبي، توفي رحمه الله سنة 395 هـ - 1004 م.

له ترجمة في وفيات الأعيان (1/118 . 120)، وسير أعلام النبلاء (12/538 . 540)، والوافي بالوفيات (7/181 . 183).

(2) انظر مادة: لقن، في مجمل اللغة لابن فارس (1/811)، ومعجم مقاييس اللغة (5/260).

(3) [سيدنا] ساقط من (ج).

[طريق الخلوتية]

[الدعوة إلى الدخول في طريق الصوفية]

قوله:

3 - يَا مَنْ تُرِيدُ الشِّفَا وَاتِّبَاعَ الْمُضْطَفَى

4 - أَدْخُلْ طَرِيقَ الْوَفَا طَرِيقَ الْخُلُوتِيَا

أي من عيوب النَّفس وأمراض القلوب، كتوهم النِّجاة بالأخذ في الأذكار والطَّاعات مع أنَّها سقيمة بعيبها مصرَّة على ذنبها⁽¹⁾، لأنَّ ذلك من الجهل بأصول الدِّين وأسباب الفتح والتمكين، ودواء هذه العلَّة حفظها من المخالفات في الحركات والسَّكنات.

وعيوب النَّفوس⁽²⁾ خصوصا الأمانة كثيرة، شفانا الله تعالى منها، وقد أُفردَ الكلام عليها بالتَّأليف.

وبشفاء النَّفس من عيوبها تتحقَّق تزكيتها المشار لها بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾⁽³⁾، ففي كلامه تحريض على السَّعي في تحصيل أسباب الشِّفاء⁽⁴⁾.

(1) في (ع) ذنوبها.

(2) في (ع) النفس.

(3) سورة الشمس: 9.

(4) نهاية الورقة (3/ظ).

ومن أعظم الأسباب الْمُفْتَضِيَّةَ لَهُ إِتِّبَاعُ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ كما أشار إليه بقوله: (وَإِتِّبَاعُ الْمُصْطَفَى) ﷺ، فَإِنَّهُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾⁽¹⁾ أي في طريق المحبة وتحقيق الطاعة، فاتباعه سبب اكتساب محبة الله تعالى، وبمحبة تتحقق محبة الرب تعالى، إذ لولا أنه أحبه ما أحبه، فمحبة سابقة ولاحقة، فالمرتبة الحبسية وهي الجامعة بين المحبة والمحبة خالصة له ﷺ أصالة، ولأتباعه على قدر اتباعهم تبعية.

وقوله: (أَدْخُلْ طَرِيقَ الْوَفَا)، فيه حذف مضاف، أي طريق أهل الوفاء، بما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بوحدانيته، وهم القائمون بشروط العبودية، من اجتناب المناهي واتباع الأوامر الشرعية.

قال ابن عطاء الله: «أهل الوفاء الذين لم ينتقضوا الميثاق الأول الذي أخذ عليهم يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾»، في قولهم: ﴿بَلَى﴾⁽²⁾، أنهم لا رب لهم غيره تعالى، فلا يخشون غيره، ولا يرجون سواه، ولا يسكنون إلا إليه، ولا يعتمدون إلا عليه».

(1) سورة آل عمران: 31.

(2) أشير إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: 172 - 173].

وقوله: (طَرِيقَ الْخُلُوتِيَا) بدل منه، وهي الطريقة المشهورة،
المؤسسة على الكتاب والسنة الماثورة.

أخرج البخاري⁽¹⁾ من حديث عائشة⁽²⁾ رضي الله تعالى عنها «أنه
ﷺ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ⁽³⁾، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ،
فَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ»، الحديث⁽⁴⁾.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، أمير المؤمنين في الحديث،
مناقبه أكثر من أن تحصى وفضائله أكثر من أن تستقصى، من أهم ما صنفه الجامع
الصحيح، والأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والأوسط، والصغير، توفي رحمه الله
سنة 256هـ . 870م.

له ترجمة في: الجرح والتعديل (1/191)، وسير أعلام النبلاء (12/391 - 471)،
وتذكرة الحفاظ (2/555 - 557)، وتهذيب التهذيب (3/508 - 511).

(2) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، بنى بها النبي ﷺ
بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة، وهي من المكثرات في الرواية
والمبرزات في الفقه والفتوى، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل
علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا
عندها منه علما، توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة سنة 57هـ . 677م، وقيل
سنة 58هـ . 678م، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ودفنت بالبقيع.

لها ترجمة في: الاستيعاب (4/1881 - 1885)، وأسد الغابة (6/188 - 192)،
والإصابة (8/16 - 21)، والرياض المستطابة (ص: 310 - 311).

(3) قال القاضي عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/158): «قوله في
الرُّؤْيَا «مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» بَفَتْحِ اللَّامِ، يَغْنِي انشِقَاقَهُ وَيَبَانُهُ وَخُرُوجَهُ مِنَ الظَّلَامِ،
شَبَّهَهَا بِهِ لِبَيَانِهِ فِي إِنْارَتِهِ وَضَوْئِهِ وَصَحَّتْهُ، وَيُقَالُ: فَرَقَ الصُّبْحُ أَيْضًا بِالرَّاءِ».

(4) الحديث متفق عليه، رواه البخاري (1/9/3)، ومسلم (1/139/1) رقم: 252.

قال القُشْطَلَانِيُّ: «الْخَلَاءُ بِالْمَدِّ بمعنى الخلوة، أي الاختلاء، وإنَّما حُبِّبَ إليه الخلوة لأنَّ معها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق، كما قيل⁽¹⁾:

فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا⁽²⁾

وفيه تنبيه على فضيلتها وسُنِّيَّتِهَا، لأنَّها تريح القلب من أشغال الدُّنيا وتفرغه لله تعالى، فتتفجَّر منه ينابيع الحكمة، وعند ذلك يصير حقيقة بأن يكون مَقَرَّ الواردات⁽³⁾ والعلوم اللَّدْنِيَّة، فهي من شعائر الدِّين وسنن الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ الآية⁽⁴⁾.

ولها شروط مذكورة في كتب القوم، وسيأتي الكلام عليها في مَحَلِّهَا إن شاء الله تعالى.

[الحث على خدمة طريق الصوفية]

قوله:

5- يَا مَنْ تُرِيدُ التَّوْفِيقَ وَسَلُّوكَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ

(1) نهاية الورقة (4/و).

(2) البيت من البحر الطويل، نسبه الجاحظ في الحيوان (111/1) لمجنون بني عامر،

ونسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء (55/2) ليزيد بن الطثرية.

وتمامه: أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهُوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

(3) في (ع) مقرا للواردات.

(4) سورة الأعراف: 142.

6 - اخذُمْ هَذِهِ الطَّرِيقُ طَرِيقَةُ الصُّوفِيَا

(التَّوْفِيقُ): خلق قدرة الطَّاعة.

وقيل: جعل الأسباب متوافقة، أي ما يكون موافقا لإصابة الحق، وسلوك صَوْبِ صَوَابِ الصَّدَق، ولعزته لم يُذَكَّر في القرآن غير مرّة⁽¹⁾.

وقيل: التَّوْفِيق ما يتفق به الشَّيء، ومنه ما يتفق به الطَّاعة من توفير الدَّواعي»، اهـ.

وفنون التَّنبِها تَعُدُّ من جملة التَّوْفِيق على التَّوَسُّع، وهو بالله ومن الله.

وقوله: (وَسُلُوكُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ)، عطف على (التَّوْفِيقِ) ومضاف لمحدوف، أي وسلوك طريق أهل التحقيق.

و (السُّلُوكُ) مصدر سَلَكَ من باب قَعَدَ، بمعنى ذَهَبَ، يتعدَّى بنفسه وب (في) والباء⁽²⁾.

و(التَّحْقِيقُ) عند أرباب القلوب انفعال القوى النَّفسانيَّة من معاني الأسماء الإلهيَّة، وذلك بتخليص ما للحق من العلم، ولا يرى الصِّفات من شوق ما لك، فلا ترى العلم والإرادة والقدرة التي تظهر في مظهرك وسائر المظاهر إلَّا له، ولا ترى شهودك هذا المعني إلَّا

(1) جاء ذلك في قول شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: 88].

(2) انظر المصباح المنير (286/1) مادة سلك.

شهوده، ولا ترى حقيقة شيء سواه بلا شوب للحدوث بالقدم ولا شوب للوجود⁽¹⁾ بالعدم.

وصورته في البدايات كون الحول والقوة لله، وفي العقائد تحقق كون الفعل أو التأثير لله، وفي المعاملات تحقق كون الأمر بيد الله، وفي الأصول كون الجذب والسير والفضل بالله والله.

وقوله: (اخْذُم هَذِهِ الطَّرِيقَ)، ترغيب في الاجتهاد والجد في الانتظام في سلك أصحاب الطريقة الخلوتية، لأن التعريف في (الطريق) للعهد الذكري⁽²⁾.

وأراد بخدمتها القيام بقوانينها، والاعتناء بتحصيل أصولها وفصولها، ونصح لعباد الله، لما روي «أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحْبَبُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (4/ظ).

(2) أي ذكرهما من قبل في الكلام.

(3) الحديث مروي عن أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

أما حديث أنس رضي الله عنه فرواه رواه أبو يعلى (6/65 رقم: 3315)، والبخاري (13/332 رقم: 6947)، والقضاعي في الشهاب (2/255 رقم: 1306)، والبيهقي في الشعب (9/521 رقم: 7045، 7046، 7048) وقال: «إسناد ضعيف»، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (5/522): «مدار إسناد حديث أنس هذا على يوسف بن عطية الصفار، وهو مجمع على ضعفه»، وقال ابن حجر في المطالب العالية (5/700): «تفرد به يوسف، وهو ضعيف جدا».

وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فرواه الشاشي في مسنده (1/419 رقم: 435)، والطبراني في الأوسط (5/356 رقم: 5541)، وفي الكبير (10/86 رقم: 10033)، والبيهقي في الشعب (9/523 رقم: 7048)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (2/102)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/191): «وفيه عمير، وهو أبو هارون القرشي، متروك».

[معنى الصوفية]

قوله: (طَرِيقَةُ الصُّوفِيَا) بدل من سابقه، وهو لقب أيضا للطريق الخلوتية، فهو من باب تعدد الاسم واتحاد المسمى، لا من باب اختلاف الاسم والمسمى.

وإطلاق لفظ الصوفية على المتشبهين بأهل الصفة رضي الله عنهم⁽¹⁾ شائع في عرف القوم⁽²⁾.

(1) روى ابن سعد في الطبقات الكبرى (196/1) عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: «كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا مَنَازِلَ لَهُمْ، فَكَانُوا يَنَامُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَيُظَلُّونَ فِيهِ مَا لَهُمْ مَأْوَى غَيْرُهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ بِاللَّيْلِ إِذَا تَعَشَّى فَيُفَرِّقُهُمْ عَلَى أَصْحَابِهِ وَتَتَعَشَّى طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْغَنَى».

(2) ذكر الإمام القشيري في رسالته (440/2) معنى الصوفية فقال: «هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال: رجل صوفي، وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف، وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والاشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، وتَصَوَّفَ إذا لبس الصوف، كما يقال: تَقَمَّصَ إذا لبس القميص، فذلك وجه، لكن الْقَوْمَ لَمْ يَخْتَصُوا بلبس الصوف.

ومن قال: إنهم منسوبون إلى صفة مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي.

ومن قال: إنه من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة. وقول من قال: إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف، ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق.

وتكلم الناس في التصوف ما معناه؟ وفي الصوفي من هو؟ فكل عبر بما وقع له».

وهم جماعة من الصحابة كانوا في غاية الزهد في الدنيا، لا يملكون شيئاً ولا يستعملون الأسباب، ولا لهم أهل ولا منزل، حتى كان بعضهم قد يُعشى عليه وهو في الصلاة من شدة الجوع. وكان مأواهم مسجد الرسول ﷺ⁽¹⁾.

مدحهم الله تعالى في كتابه⁽²⁾، وحازوا مراتب الكمال في جنات ذات عيون وظلال، وآثروا أخراهم على دنياهم، فاصطفاهم الله تعالى وارفضاهم، ومن بحر اليقين سقاهاهم. ومراتبهم لا تنال إلا بصوم النهار وسهر الليالي.

(1) قال الحاكم في المستدرک على الصحيحين (18/3): «تَأَمَّلْتُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَوَجَدْتُهُمْ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَعَا وَتَوَكَّلَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُلَازِمَةً لِعُدْمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مَا اخْتَارَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ وَالتَّضَرُّعِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْكِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمُتَنَمِّيَةُ إِلَيْهِمُ الصُّوفِيَّةُ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، فَمَنْ جَرَى عَلَى سُنَّتِهِمْ وَصَبَّرَهُمْ عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا وَالْأَنْسِ بِالْفَقْرِ وَتَرْكِ التَّعَرُّضِ لِلسُّؤَالِ، فَهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ مُقْتَدُونَ، وَعَلَى خَالِقِهِمْ مُتَوَكِّلُونَ».

(2) مما نزل في شأنهم قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: 28].

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 273].

وكانوا نحو الأربعين رجلا، وقد بلغوا المائة، ثم صاروا نحو الأربعمئة⁽¹⁾.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽²⁾ لا يفارقهم ويكثر الجلوس معهم إلا لضرورة، لا سيما من حين ما نزل في قصة ابن أم مكتوم⁽³⁾ أحد مؤذني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾⁽⁴⁾ (الآيات⁽⁵⁾).

فقد روي «أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ⁽⁶⁾، وَلَمْ يَعْلَمْ تَشَاغُلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَوْمِ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْمَى،

(1) روى البخاري (109/1 رقم: 442) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رِبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ».

(2) نهاية الورقة (5/و).

(3) هو الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري، واسم أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة المخزومية، واختلفوا في اسم أبيه، فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة، وأما أهل العراق: فسموه عمرو، من السابقين المهاجرين، وكان ضريرا، مؤذنا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع بلال، شهد القادسية ثم رجع إلى المدينة ومات رضي الله عنه سنة 23 هـ. 624م. له ترجمة في: الاستيعاب (3/997)، وأسد الغابة (3/720)، وسير أعلام النبلاء (1/360 - 365)، والطبقات الكبرى لابن سعد (4/154 - 161).

(4) [أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى] ساقط من (ج) و (هـ) و (ط).

(5) سورة عبس.

(6) [ذلك] ساقط من (ع).

فَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ⁽¹⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطْعَهُ لِكَلَامِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَزَلَّتْ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ⁽²⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْرِمُهُ وَيَقُولُ إِذَا رَأَهُ: مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي» اهـ.

وأمر الله تعالى نبيه ⁽³⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالجلوس معهم بقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ ⁽⁴⁾.

وكان ⁽⁵⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ يواسيهم ويحث على مواساتهم، ويأكل معهم، وإذا صافحوه لا ينزع يده من أيديهم.

ولما توفّي رسول الله ⁽⁶⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وانقرضت النبوة والرسالة، اختلفت الآراء وقلّت التقوى، واضطربت عزائم الزاهدين،

(1) [رسول الله] ساقط من (ع).

(2) هذا الحديث مما اتفقت كتب التفسير على إيرادها في سبب نزول سورة عبس، ولم يذكروا له سنداً، وقد ونسبه السيوطي في الدر المنثور (643/2) لابن المنذر من قول قتادة. ورواه ابن سعد في طبقاته (157/4) من طريقين مرسلين، أحدهما عن عروة بن الزبير والثاني عن الضحاك.

والذي رواه أصحاب السنن في ذلك ما أسنده الترمذي (432/5 رقم: 3331)، وابن حبان (293/2 رقم: 535)، والحاكم (558/2 رقم: 3896) وصححه ووافقه الذهبي، وأبو يعلى (261/8 رقم: 4848)، والطبري في التفسير (217/24)، عن عائشة رضي الله عنها قال: «أُنْزِلَ: ﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۖ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ⁽⁷⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ⁽⁸⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ⁽⁹⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَيَقُولُ: أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَبِي هَذَا أُنْزِلَ».

(3) سورة الكهف: 28.

(4) [رسول الله] ساقط من (ج) و (هـ) و (ط).

وعَمَّت الجَهالات وكثرت العادات، أقبل النَّاس كلَّهم على الدُّنيا وتعاطي متعلقاتها، وانفردت طائفة منهم للأعمال المرضية والأحوال السَّنية، فلُقِّبوا بالصَّوفية.

قال في المناهج السَّنية: «واسم الصَّوفي حدث قبل المائتين من الهجرة بعد أسم تابع التَّابعين، ولذلك قيل: التصوف هو الخلْق الذي صار به الصوفي صوفيا⁽¹⁾.

وهو جماع⁽²⁾ الأخلاق الحميدة كالتقوى، ومن ثَمَّ قيل في تعريفه كما في العوارف: «الخُرُوجُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ⁽³⁾ دَنِيٍّ، والدُّخُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَنِيٍّ⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

وقال الغزالي رحمه الله: «هُوَ تَجْرِيدُ الْقَلْبِ لِلَّهِ، وَتَرْكُ اخْتِيَارِ مَا سِوَاهُ».

وقيل: هُوَ سَلَامَةُ الصُّدُورِ، وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ.

(1) أنشد القرطبي في تفسيره (70/10) عن بعض أشياخه بالبيت المقدس قال:

تَشَاجَرَ النَّاسُ فِي الصُّوفِيِّ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ وَظَنُّوه مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ

وَلَسْتُ أَنْجِلَ هَذَا الْإِسْمَ غَيْرَ فَتَى صَافِي فَصُوفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي

(2) نهاية الورقة (4/ظ).

(3) في (ع) اجتماع.

(4) السَّنيُّ: بفتح السين، الرفيع.

(5) انظر الرسالة القشيرية (441/2).

وعن الجنيد: «هُوَ ذِكْرٌ مَعَ اجْتِمَاعٍ، وَوَجْدٌ مَعَ اسْتِمَاعٍ، وَعَمَلٌ مَعَ اتِّبَاعٍ»⁽¹⁾.

وعن معروف الكرخي: «هُوَ الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ، وَالْإِيَّاسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ»⁽²⁾.

وقيل: «الصُّوفِيُّ مَنْ إِذَا تَكَدَّرَتْ رَوْقَكَ مِنْ صَفَائِهِ»⁽³⁾، لَا مَنْ لَبَسَ الصُّوفَ وَادَّعَى، وَلِحُثُوقِ الشَّرِيعَةِ مَا رَعَى.

وعن الشَّيْبَلِيِّ⁽⁴⁾: «هُوَ مَنْ اتَّصَفَ بِمُرَاقَبَةِ الْحَقِّ، وَانْقَطَعَ أَمْلُهُ مِنَ الْخَلْقِ».

وللعارفين في حذّه أكثر من ألف قول.

قال الجنيد: «الصُّوفِيُّ كَالْأَرْضِ، يُطْرَحُ عَلَيْهَا كُلُّ قَيْحٍ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا كُلُّ مَلِيحٍ»⁽⁵⁾.

(1) انظر الرسالة القشيرية (442/2) .

(2) انظر الرسالة القشيرية (441/2) .

(3) في (ع) بصفائه.

(4) هو أبو بكر دلف بن جحدر، وقيل: جعفر، وقيل: جعفر بن يونس، الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ، المعروف بالشبلي، أحد شيوخ الصوفية المعدودين وزهادهم الموصوفين، صحب الجنيد والمشايخ وصار أواحد وقته حالا وعلماء، وكان عالما فقيها على مذهب مالك، توفي رحمه الله سنة 334 هـ . 946 م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (391/14 - 398)، وتاريخ دمشق (50/66 - 78)، وطبقات الصوفية للسلمي (257/1 - 265)، وفيات الأعيان (273/2 - 276).

(5) انظر الرسالة القشيرية (442/2).

ولأهله طريقان، طريق موهوبة وطريق كسب، فأهل الطريق الأول مُرادون، وأهل الثاني مُريدون، وشتان ما بينهما.

[دعوة إلى الدخول في الطريقة الرحمانية]

وقوله:

7- يَا مَنْ تُرِيدُ الْأَوْرَادَ وَبُلُوغَ مَا يُرَادُ

8- أَدْخُلْ طَرِيقَ الْإِسْنَادِ طَرِيقًا أَزْهَرِيَا

منتظم في سلك ما قبله مبالغة في التّغيب والاعتناء بالأوراد. و (الأَوْرَادُ): جمع وَرْدٍ كَحِمْلٍ وَأَحْمَالٍ، وهو الوظيفة من ذكر أو قراءة أو نحو ذلك، كما في المصباح⁽¹⁾.

والمراد به هنا الذِّكْر الذي يلقّنه الشَّيْخ للمريد، بمعنى مورود. قال سيّدي أبو الحسن الحارثي⁽²⁾: «وَرُودُ الْمَاءِ بِالشُّرْبِ، وَوَرُودُ الذِّكْرِ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ».

وقوله: (وَبُلُوغَ مَا يُرَاد) عطف على (الأَوْرَاد).

و (المُرَادُ) عند أرباب القلوب هو السَّعي في تحصيل السَّرّ المكنون بالفناء عن الكون، ومراقبة مَنْ يقول للشيء كُنْ فيكون، والدّخول في زمرة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³⁾، وتحصيل تجارة لن تبور وعين لن تغور.

(1) المصباح المنير (655/2).

(2) لم اهتم لترجمته.

(3) سورة يونس: 62.

وأشار بقوله: (أَدْخُلْ طَرِيقَ الْإِسْنَادِ) إلى أَنَّ هذه الطَّرِيقَةَ مروية عن النبي ﷺ بالسند⁽¹⁾ الذي هو من الفوائد المهمة وخصائص هذه الأمة.

و (الْإِسْنَادُ) مصدر أَسْنَدْتُ الحديث، إذا رفعته إلى قائله⁽²⁾.

وفي اصطلاح الْمُحَدِّثِينَ: رفع الحديث إلى النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ⁽³⁾.

وقال ابن عبد البر⁽⁴⁾: «الْمُسْنَدُ ما رُفِعَ إلى النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً، مُتَّصِلًا أو مُنْقَطِعًا»⁽⁵⁾.

وقيل: الْمُسْنَدُ الذي يَتَّصِلُ إِسْنَادُهُ من رَاوِيهِ إلى مُتَنَهَاهُ⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (6/و).

(2) تقول: أَسْنَدْتُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى فَلَانٍ أَسْنَدَهُ إِسْنَادًا، إِذَا رَفَعْتَهُ إِلَيْهِ بِذِكْرِ نَاقِلِهِ.

انظر الصحاح للجوهري (2/489)، والمصباح المنير (1/291) مادة: سند.

(3) انظر علوم الحديث لابن الصلاح (ص: 42)، وتدريب الراوي (1/61).

(4) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، الإمام الحافظ، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها، جمع بين الفقه والحديث، وبرع في الأصول والعربية والأنساب، صنف كتبًا كثيرة منها التمهيد، والاستذكار، والكافي، والاستيعاب، توفي رحمه الله بشاطبة سنة 463هـ - 1071م.

له ترجمة في: ترتيب المدارك (2/808 - 810)، وتذكرة الحفاظ (3/1128 - 1132)،

وسير أعلام النبلاء (15/498 - 499)، والديباج (ص: 440 - 442).

(5) انظر التمهيد (1/21).

(6) هذا التعريف للإمام الخطيب البغدادي، انظر علوم الحديث لابن الصلاح (ص:

42)، وتدريب الراوي (1/199).

ويشمل هذا التعريف المرفوع والموقوف والمقطوع.

قال ابن الصلاح: «وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِيمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دُونَ مَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ».

وقوله: (طَرِيقًا أَزْهَرِيَا) أي مستنيرا مضيئا، فقلوله: (أَزْهَرِيَا) نعت لطريق، من زَهَرَ الشيءُ يُزْهِرُ، إذا صفا وأضاء، وقد يستعمل في اللون الأبيض خاصة كما في المصباح⁽¹⁾.

يعني أنّ هذه الطّريقة مؤسّسة على الحنيفة السّمحة، وأنّها طريقة غزّاء، مستنيرة زهراء.

أخرج الإمام ابن ماجه⁽²⁾ في سننه من حديث أبي الدرداء⁽³⁾ رضي الله تعالى⁽⁴⁾ عنه قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوُّهُ، فَقَالَ: أَلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبِّنَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا⁽⁵⁾، وَإِنَّمِ اللَّهُ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»⁽⁶⁾.

(1) المصباح المنير (257/1).

(2) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني، الإمام الحافظ المشهور، كان إماما في الحديث عارفا بعلومه، ثقة متفقا عليه، وصنف كتابه السنن في الحديث، وله تفسير القرآن الكريم، توفي رحمه الله سنة 273هـ - 887م؛ له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (13/ 277 - 281)، وتهذيب التهذيب (3/ 737 - 738)، ووفيات الأعيان (4/ 279).

(3) هو الصحابي أبو الدرداء عويمر وقيل: عامر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم، وسيد القراء بدمشق، توفي رضي الله عنه بالشام سنة 32هـ - 652م. له ترجمة في: الاستيعاب (3/ 1227 - 1230)، وأسد الغابة (4/ 18 - 19). سير أعلام النبلاء (2/ 335 - 355).

(4) [تعالى] ساقط من (ع).

(5) في سنن ابن ماجه زيادة: «حَتَّى لَا يُزَيِّغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاعَةً إِلَّا هِيَةً»، وقوله: «هِيَةً» هي ضمير الدنيا، والهاء في آخره للسكت، أي لا يُمِيلُ قلب أحدكم إلا الدنيا.

(6) سنن ابن ماجه (4/1 رقم: 5).

قوله:

- 9 - جَاءَ بِهَا الْأَزْهَرِي مِنْ حَفْنَاوِي كَالْبَذْرِ
- 10 - عَنْ مُصْطَفَاهُ الْبَكْرِي عَبْدُ اللَّطِيفِ حَلَبِيَا
- 11 - مِنْ أُنْدَاوِي مُصْطَفَى قَازَ بَاشَا عَلِي وَفَا
- 12 - إِسْمَاعِيلَ الْجَزْمِي صَفَا مُحْيِي الدِّينِ قُسْطُونِيَا
- 13 - عَنْ شُعْبَانَ الْقُسْطُونِي ثَوْقَادِي خَيْرِ الدِّينِ
- 14 - عَنْ حَلْبِي سُلْطَانِي ابْنِ بَهَاءِ الدِّينِ يَا
- 15 - يَحْيَى الْبَاكُوبِي الْغَنِي صَدْرِ الدِّينِ الْجِيَانِي
- 16 - عَنِ الْحَاجِّ عَزِّ الدِّينِ اِمْبِرَامَ خَلَوْتِيَا
- 17 - عَنْ عُمَرَ الْخَلَوْتِي مِنْ مُحَمَّدٍ خَلَوْتِي
- 18 - إِبْرَاهِيمَ الزَّاهِدِ أَتَى جَمَالَ الدِّينِ تَبْرِيزِيَا
- 19 - شِيرَازِي شَهَابِ الدِّينِ عَنْ أَبْنَهَارِ رُكْنِ الدِّينِ
- 20 - مِنْ أَبْنَهَارِ قُطْبِ الدِّينِ شَهْرُوزْدِي الصُّوفِيَا
- 21 - عُمَرَ الْبَكْرِي الرُّضِي وَجِيهِ الدِّينِ الْقَاضِي
- 22 - مُحَمَّدٍ بَكْرِي مُضِي مَمَشَادِ الدِّينَوْرِيَا
- 23 - أَبِي الْقَاسِمِ جُنَيْدِي سَرِّي سَقَطِي سَنَدِي

- 24 - مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ خَازِي⁽¹⁾ عَنْ دَاوُدَ الطَّائِيَّ
- 25 - عَنْ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ حَسَنِ الْبُضْرِيِّ السَّامِيِّ
- 26 - عَنْ عَلِيِّ الْهَاشِمِيِّ مِنْ قُذُوءِ الْأَنْبِيَا
- 27 - أَخَذَ طَهَ الْأَمِينُ عَنْ جَبْرَائِيلَ الْمَكِينِ
- 28 - مِنْ إِلَهِ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ مَوْلَايَا

[أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الأزهري]

أي أنّ هذه الطريقة الخلوتية لم يكن لها ذكر بالأرض المغربية، وإنما أتى بها الشيخ الإمام خاتمة المرّبين، وواسطة عقد الأئمة العارفين، أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الأزهري مجاورة حين رحل من وطنه إلى مصر قاصداً تحصيل علم الشريعة والحقيقة، فجاور الجامع الأزهر مُسْتَقَرّاً برواق المغاربة

[أبو عبد الله محمد بن سالم الحفناوي⁽²⁾]

فلازم علامة زمانه وفريد عصره وأوانه، صاحب التصانيف البديعة والتقارير الدقيقة الرفيعة، أبا عبد الله سيدي محمد بن سالم الحفناوي.

(1) نهاية الورقة (6/ظ).

(2) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن أحمد الحفناوي أو الحفني الشافعي الخلوتي الأزهري، الشيخ العالم المحقق المدقق العارف بالله تعالى، وقع له من القبول في عصره في جميع الأقطار الإسلامية، ألف التأليف النافعة منها: حاشية على الجامع الصغير، وشرح الهمزية لابن حجر، والثمره البهية في أسماء الصحابة البدريّة، توفي رحمه الله سنة 1181هـ. 1767م.

له ترجمة في: عجائب الآثار للجبرتي (1/339 - 347)، وفهرس الفهارس (1/373 - 355)، وسلك الدرر (4/49 - 50)، والأعلام (6/135)، ومعجم المؤلفين (9/265).

فلَقَّنه الأسماء السبعة وسلك على يده، ثمَّ وجهه إلى ناحية السودان لنشر الأوراد ونَفَعَ العباد، وبعد مدَّة أمره بالرجوع إلى مصر، فرجع وألبسه الخرقة، وأمره أن يرجع إلى وطنه فامتثل وذهب إلى وطنه، واستقرَّ بجبل جرجرة، جبل بناحية الجزائر بينه وبينها مسافة يومين، في وطن يسمَّى قجطولة من أرض زواوة، وأذن له في التَّربية وتعليم خلق الله بما هم مُطالِبُونَ به من أمور الدِّين، فأخذ عنه جَمٌّ غفير، وسلك على يده خَلْقٌ كثير.

ونشر في تلك الأفاق الأوراد، وألقى الله مَحَبَّتَهُ في قلوب العباد، واشتهر في الأقطار ذكره، وكثُر أتباعه، وعَظُمَ حِزْبُهُ، وحبَّبه الله للمؤمنين، وَرَغِبَ فيه الذاكرين، وتلك كرامة أكرمها ربُّ العالمين.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة⁽¹⁾ رضي الله تعالى⁽²⁾ عنه عن النبي⁽³⁾ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدَهُ»⁽⁴⁾ دَعَا جِبْرِيلَ

(1) هو الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، قدم المدينة سنة سبع، وأسلم وشهد خيبر مع النبي ﷺ، كان حريصا على العلم والحديث، دعا له النبي ﷺ فكان أحفظ الصحابة، روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 57هـ - 677م، وهو ابن ثمان وسبعين عاما.

له ترجمة في: الاستيعاب (4/ 1768 - 1772)، وأسد الغابة (5/ 318 - 321)، والإصابة (7/ 425 - 444)، والرياض المستطابة (ص: 270 - 271).

(2) [تعالى] ساقط من (ج) و (ط).

(3) نهاية الورقة (7/و).

(4) في (ع) عبدا.

فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ، فَيَحِبُّهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جَبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ»⁽¹⁾، اهـ.

وقوله: (مِنْ حَفَنَاوِي) صلة لمحذوف، تقديره متلقيًا الطريقة المذكورة من الشيخ الإمام نبراس العارفين، ونخبة العلماء الصالحين، سيدي محمد بن سالم الحفناوي، ذي المعارف الربانيّة، والعلوم اللدنيّة المشرقة كالبدّر.

[مصطفى بن كمال الدين بن عليّ البكريّ الصديقيّ⁽²⁾]

وقوله: (عَنْ مُضْطَفَّاهُ الْبَكْرِيِّ)، يعني أنّ سيدي محمّد الحفناوي أخذ الطريقة الخلوتيّة عن صاحب العلوم اللدنيّة والأسرار القدسيّة، شيخ الطريقة الخلوتيّة بالديار الشاميّة

(1) متفق عليه. رواه البخاري (470/3 رقم: 7485)، ومسلم (2030/4 رقم: 2637).

(2) هو أبو الإرشاد وأبو المواهب مصطفى بن كمال الدين بن عليّ البكريّ الصديقي الخلوتي طريقة، الحنفي مذهباً، من خيرة العلماء، قال عنه صاحب سلك الدرر: «كان المترجم رحمه الله من أفراد العالم علماً وعملاً وزهداً وورعاً وولايّة»، وهو كثير التصانيف والرحلات والنظم، ولد في دمشق، ورحل إلى القدس سنة 1022هـ - 1613م، وزار حلب والقسطنطينية والحجاز، توفي رحمه الله بمصر سنة 1162هـ - 1749م.

له ترجمة في: عجائب الآثار للجبرتي (1/246 - 247)، وفهرس الفهارس (1/223 - 224)، وسلك الدرر (4/190 - 200)، والأعلام (7/239)، ومعجم المؤلفين (9/265).

في عصره، سيدي مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي، المتصل نسبه بسيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الحنفي مذهباً، الخلوتي مشرباً.

من تصانيفه: الوصية الجليلة لسالك⁽¹⁾ الطريقة الخلوتية، أنشأها في السنة الثانية⁽²⁾ والعشرين من القرن الثاني عشر.

ومنها: كتاب السير والسلوك إلى ملك الملوك.
ومنها: بغيّة المريد.

ومنها: الألفية الكافية الوافية طلاب السادات الصوفية.

ومنها: تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة.

ومنها: الأربعون حديثاً⁽³⁾ النبوية، المورثة للانتباه الجامعة لما يقال عند التّوم والانتباه.

وله الأوراد البديعة، ورّد السحر، وغيره.

[عبد اللطيف الحلبي]

عن صاحب الأحوال والكرّمات، والجّد والاجتهاد في العبادات⁽⁴⁾، السالك المسلم المربي سيدي عبد اللطيف الحلبي.

(1) في (ع) للسالكين.

(2) [الثانية] ساقط من (ع).

(3) [حديثاً] ساقط من (ج) و (ط).

(4) في (ع) العبادة.

[مصطفى الأندائوي]

عن العارف العابد⁽¹⁾، الورع الزاهد، سيدي مصطفى الأندائوي.

[علي قارباشا]

عن شيخ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، سيدي علي قارباشا، شارح الفصوص للشيخ الأكبر.

وقوله: (وَفَا) أَضْلُهُ وَافَى، مِنْ وَافَيْتُهُ مَوَافَاً، أَتَيْتُهُ، نَعْتُ لـ (عَلِيٍّ)، خُفِّفَ بِحَذْفِ الْأَلْفِ لِلْوِزْنِ.

[إسماعيل الجرمي]

يعني أن سيدي علي أتى قُطْبَ دائرة المحققين، وصفوة صدور المقرّبين، سيدي إسماعيل الجرمي وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، وَوَرِثَ مِنْهُ الْمَعَارِفَ الرِّبَانِيَّةَ.

وَالْجَرْمِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى جَرْمٍ، بَطْنٌ مِنْ قُضَاعَةَ⁽²⁾.

وقوله: (صَفَاً)، تَتِمِيمٌ لِلْيَتِّ، صَلْتُهُ مَحْذُوفَةٌ، أَيْ⁽³⁾ مِنْ كَدَرِ رَعُونَاتِ النَّفْسِ وَمِلَاحِظَةِ الْأَغْيَارِ⁽⁴⁾، مِنْ الصَّفْوَةِ نَقِيضُ الْكَدَرِ.

(1) نهاية الورقة (7/ظ).

(2) في (ج) بضاعة، والجزمي: بفتح الجيم وسكون الراء المهملة، نسبة إلى جزم، وهي قبيلة من اليمن، وهو جرم بن ربان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.
انظر الأنساب للسمعاني (251/3).

(3) [أي] ساقطة من (ج).

(4) الأغيار: من الغيرة. بالفتح، وهي الحمية والأئفة، وغارَ الرجل على أهله يغار غيَرًا وغيَرَةً و غارًا، ورجل غيور و غيْرانُ، وامرأة غيورٌ و غَيْرَى، والجمع أغيار.
انظر مادة: غير، في لسان العرب (34/5)، والمصباح المنير (ص: 272).

وقبره مشهور يُزار، بالقرب من تربة سيدي بلال الحبشي⁽¹⁾ بالشّام.

[محيي الدين القسطنويّ]

وقوله: (مُحْيِي الدِّين)، أي عن سلطان العارفين، وبرهان
الواصلين، وارث مقامات الأنبياء والمرسلين، سيّدي محيي
الدّين القُسْطُونِيّ، نسبة إلى قُسْطُون⁽²⁾. بالضمّ - حصن من عمل حلب.

[شعبان القسطنويّ]

عن مفتاح أنوار الحقائق، ومصباح رموز الدّقائق، صاحب
الكشف والتّحقيق، المرشد بتسليكه إلى أَقْوَم طريق، سيّدي
شعبان القُسْطُونِيّ، الذي أخذ العهد والميثاق عن عظماء الجنّ أن لا
يؤذي مردتهم مختلين.

[خير الدين التّوقاديّ]

عن مُنَوَّر أنوار الطّريقة، ومُظهر أسرار الحقيقة، مرشد السّالّكين،
سيّدي خير الدّين التّوقاديّ.

[جمال الدين الخلوتيّ]

عن خلاصة أهل العرفان، المتحقّق بمقام الإحسان، سيّدي
سلطان الشّهير بجمال الدّين الخلوتيّ.

(1) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله بلال بن رباح الحبشي المؤذن، أول من أسلم من
العبيد، وكان مؤذنا لرسول الله ﷺ، شهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد مع رسول
الله ﷺ، توفي رضي الله عنه بالشّام سنة 20هـ - 641م وهو ابن ثلاث وستين سنة.
له ترجمة في: الاستيعاب (1/ 178 - 182)، وأسد الغابة (1/ 243 - 245)، والإصابة (1/ 326).
(2) في (ع) القسطنوني نسبة إلى قسطنون.

[محمد بن بهاء الدين الشيرازي]

عن قدوة الأولياء الواصلين، وعمدة الصلحاء السالكين، سيدي
محمد بن بهاء الدين الشيرازي.

[يحيى الباكوبي الحلبي]

عن صاحب الكشف والتحقيق، والعرفان والتدقيق، سيدي
يحيى الباكوبي⁽¹⁾، الغني بفضل ربه الحلبي.

[صدر الدين الجياني]

عن كنز الهداية واليقين، بقيّة السلف الصالحين، سيدي صدر
الدين الجياني.

نسبة إلى جيّان كشدّاد، بلد بالأندلس، منها ابن مالك⁽²⁾ وأبو
حيّان⁽³⁾ إماما العربيّة.

(1) نهاية الورقة (8/و).

(2) هو أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي
الجياني، أوجد عصره في علم النحو والعربية، من أشهر كتبه الألفية في النحو،
ولامية الأفعال، وشواهد التوضيح، وغيرها، ولد في جيان بالأندلس وانتقل إلى
دمشق فتوفي فيها رحمه الله سنة 672هـ - 1274م.

له ترجمة في: تاريخ الإسلام (50/109 - 111)، وبغية الوعاة (1/130 - 137)،
وطبقات الشافعية الكبرى (8/67 - 68)، ونفح الطيب (2/222 - 226).

(3) هو شيخ الثّحاة والمحدثين، أثير الدّين أبو حيّان مُحمّد بن يُوسُف بن حيّان الأثري
النفزي الجياني الغرناطي نزيل القاهرة، مصنفاته كثيرة منها البحر المحيط في التفسير،
والتذيل والتكميل في شرح التسهيل، توفي رحمه الله سنة 745هـ - 1344م.

له ترجمة في: بغية الوعاة (1/280 - 285)، وغاية النهاية في طبقات القراء
(2/285)، والوافي بالوفيات (5/175 - 186)، وفوات الوفيات (4/71 - 79).

[الحاج عز الدين]

عن مرشد الزاهدين، وسند المتقين، شيخ الإسلام والمسلمين،
سيدي الحاج عز الدين.

[محمد امبرام]

عن ملاذ السالكين الكرام⁽¹⁾، وملجأ المريدين الخاص والعام،
ونعمة الله سبحانه على الأنام، الخلوتي سيدي محمد امبرام.

[سيدي عمر]

عن القطب الأشهر، صاحب الكشف الأنور، الخلوتي سيدي عمر.

[محمد الخلوتي]

عن تاج الأتقياء، سراج الأولياء، سيدي محمد الخلوتي.

[إبراهيم الزاهد]

عن صاحب السرّ التأفد، وملجأ الصّادر والوارد، سيدي إبراهيم الزاهد.

[جمال الدين التبريزي⁽²⁾]

عن مربّي المريدين، ومرشد السالكين، سيدي التبريزي جمال
الدين، نسبة إلى تبريز، قاعدة أذربيجان⁽³⁾.

(1) [الكرام] ساقط من (ع).

(2) هو جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد التبريزي الحراني الدمشقي الشافعي،
الإمام القاضي الخطيب، توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة 740 هـ. 1339 م.
له ترجمة في: فوات الوفيات (2/367 - 369)، وأعيان العصر وأعوان النصر
(3/124 - 129)، والوافي بالوفيات (19/37 - 40).

(3) انظر معجم البلدان (2/13).

[شهاب الدين محمد الشيرازي]

عن قدوة السالكين، وفخر الورعين، سيدي محمد الملقّب
بشهاب الدين الشيرازي، نسبة إلى شيراز بلد بفارس⁽¹⁾.

[ركن الدين محمد النجاشي]

عن قدوة برهان الواصلين، قطب دائرة المحققين، سيدي محمد
الملقّب بركن الدين النجاشي.

[قطب الدين الأبهري⁽²⁾]

عن حجة العارفين، وعمدة الزاهدين، سيدي قطب
الدين الأبهري، بفتح الهمزة والموحدة وسكون الهاء.

نسبة إلى قبيلة يقال لها أبهر، وغلط من جعله بسكون
الموحدة⁽³⁾.

(1) انظر معجم البلدان (380/3).

(2) هو أبو الرشيد أحمد بن محمد بن أبي القاسم الخفيفي الأبهري الصوفي نزيل
بغداد، صحب أبا النجيب السهروردي، وكان من أعيان أصحابه، وتفقه ثم أقبل
على المجاهدة والخلوة وتكلم على لسان القوم، سمع أبا بكر القاضي وإسماعيل
السمرقندي، سمع منه عمر القرشي. وحدثنا عنه عمر بن محمد الدينوري، ولد
بعد سنة خمسمائة وتوفي في جمادى الآخرة سنة 577 هـ. 1181 م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (119/15)، والوافي بالوفيات (54/8).

(3) قال الحموي في معجم البلدان (82/1): «مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان
وهذان من نواحي الجبل، والعجم يسمونها أهر».

[عبد القاهر بن عبد الله بن محمد الشُّهُرُورْدِيّ⁽¹⁾]

عن أبي النجيب، سيدي عبد القاهر⁽²⁾ بن عبد الله بن محمد الشُّهُرُورْدِيّ، بضمّ السّين المهملة والراء، نسبة إلى بلد بقرب زنجان.

يتّصل نسبه بسيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله تعالى عنه، من كبار الشّافعيّة وأعظم مشايخ الصّوفيّة.

وُلد سنة تسعين وأربعمائة، كان يتطيلس⁽³⁾ ويلبس لباس العلماء ويركب البغلة⁽⁴⁾، وتُرفع الناشية بين يديه.

انعقد عليه اجماع المشايخ والعلماء بالاحترام، وأوقع الله عزّ وجلّ له القبول التّامّ.

(1) هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد الشُّهُرُورْدِيّ، بضمّ السّين المهملة والراء، نسبة إلى بلد بقرب زنجان، يتّصل نسبه بسيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله تعالى عنه، من كبار الشّافعيّة وأعظم مشايخ الصّوفيّة، توفّي ببغداد سنة 563هـ - 1168م، ودُفن بمدرسته على شاطئ دجلة، وقبره يُزار وعليه مهابة وأنوار.
له ترجمة في: تاريخ ابن عساكر (412/36 - 415)، وسير أعلام النبلاء (475/20 - 478)، ووفيات الأعيان (204/3 - 205)، والطبقات الكبرى للسبكي (173/7 - 175)، والوافي بالوفيات (33/19).

(2) في النسخ عبد القادر، والصحيح ما أثبتناه.

(3) أي يلبس الطيلسان بفتح اللام، واحد الطيلسة، وهو من لباس العجم، وهو كالوشاح يوضع على الكتف تجملاً، وهو غير مخيط.

(4) نهاية الورقة (8/ظ).

وكان يحفظ الوسيط للواحد⁽¹⁾، وكان غاية في التواضع.

سافر إلى الشام فبعث له بعض الملوك طعاما على رؤوس الأسارى من النصارى وهم في القيود، فلما مدت السفرة أقعدهم مع الفقراء وقعد معهم.

وأخذ عنه الأكابر كابن السمعاني⁽²⁾، وابن عساكر⁽³⁾ وابن أخيه الشهاب السهروردي⁽⁴⁾، والشيخ عبد الله بن مسعود الرّومي، وخلق كثير.

(1) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي النيسابوري، كان إمام عصره في النحو والتفسير، صنف ثلاثة كتب في التفسير هي: البسيط، والوسيط، والوجيز، وله أسباب النزول، والتحبير في شرح أسماء الله الحسنى، وشرح ديوان المتنبى، وغيرها، توفي رحمه الله بنيسابور سنة 468هـ 1076م. له ترجمة في: وفيات الأعيان (303/3 - 304)، وسير أعلام النبلاء (339/18 - 342)، والطبقات الكبرى للسبكي (240/5)، ومعجم الأدباء (1659/4 - 1664).

(2) هو أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، نسبته إلى سمعان بطن من تميم، الإمام الحافظ الكبير، محدث خراسان، توفي رحمه الله سنة 562هـ 1167م؛ له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (456/20 - 465)، والطبقات الكبرى للسبكي (180/7 - 185)، والوافي بالوفيات (60/19 - 63).

(3) هو ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، المعروف بابن عساكر، صاحب تاريخ دمشق، الإمام العلامة، الحافظ الكبير، محدث الشام، توفي رحمه الله سنة 571هـ 1176م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (554/20 - 571)، والطبقات الكبرى للسبكي (215/7 - 223)، والوافي بالوفيات (216/20 - 222).

(4) هو شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السهروردي ثم البغدادي، الشيخ الإمام المحدث، العالم القدوة الصوفي، الزاهد العارف، شيخ الإسلام، توفي رحمه الله ببغداد سنة 632هـ 1234م. له ترجمة في: وفيات الأعيان (446/3 - 448)، وسير أعلام النبلاء (373/22 - 378)، والطبقات الكبرى للسبكي (338/8 - 341).

وكان يقول: «أَوَّلُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ، وَوَسْطُهُ عَمَلٌ، وَآخِرُهُ مَوْهَبَةٌ».

وقال: «أَعْلَى الْمَقَامَاتِ عَدُّ الْأَنْفَاسِ حَتَّى لَا يَقَعَ لِلْمُرِيدِ نَفْسٌ وَاحِدٌ فِي غَفْلَةٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى».

توفي ببغداد سنة ثلاث وستين وخمسماية، ودُفن بمدرسته على شاطئ دجلة، وقبره يُزار وعليه مهابة وأنوار.

وقوله: (الصُّوفِيَا) مضاف لمحدوف تقديره شيخ الصُّوفِيَّة، نعت له.

[عمر البكري]

عن قطب دائرة الهلالات البكريّة، واسطة عقد السّلالة الصّديقيّة والسّادات الصّوفيّة، سيدي عمر البكريّ.

وقوله: (الرّضي) نعت لعمر.

[القاضي وجيه الدين]

عن محبّ الفقراء والمساكين، كهف المريدين والسّالكين، القاضي سيدي وجيه الدين.

[محمد البكري]

عن الكوكب الدّرّي، سيدي محمد البكريّ، المضيء نوره كالفجر.

[مِمَشَادُ الدِّينَوَرِيِّ⁽¹⁾]

عن طراز العصابة الصّوفيّة، وخلاصة السّلسلة الخلوتية، سيّدي مِمَشَادُ الدِّينَوَرِيِّ، نسبة إلى دينور بكسر الدّال كما في القاموس، البلد المشهور.

كان رأساً في الزّهد والديانة، والورع والرياضة والصّيانة.

كان يقول: «الهِمَّةُ مُقَدِّمَةُ الْأَشْيَاءِ، فَمَنْ صَلَحَتْ⁽²⁾ هِمَّتُهُ وَصَدَقَ فِيهَا صَلَحَ لَهُ مَا وَرَاءَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ».

وقال: «أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا، مَنْ أَسْقَطَ عَنْ نَفْسِهِ⁽³⁾ رُؤْيَا الْخَلْقِ».

وقال: «أَدَبُ الْمُرِيدِ فِي التَّزَامِ حُرُمَاتِ اللَّهِ، وَطَاعَةُ الْمَشَايخِ، وَخِدْمَةُ الْإِخْوَانِ، وَالْخُرُوجُ عَنِ الْأَسْبَابِ، وَحِفْظُ آدَابِ الشَّرْعِ عَلَى نَفْسِهِ».

(1) مِمَشَادُ الدِّينَوَرِيِّ، نسبة إلى دينور البلد المشهور، قال ابن حجر: «اسمه محمد بن الحسن يكنى أبا علي»، الإمام الزّاهد، أحد مَشَايخِ الصّوفيّة، صحب يحيى بن الجلاء، وكان رأساً في الزّهد والديانة، والورع والرياضة والصّيانة، من كراماته أنه خرج يوماً من بابه فنبح كلب فقال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَاتَ الْكَلْبُ مَكَانَهُ، توفّي رحمه الله سنة 299هـ - 911م.

له ترجمة في طبقات الصوفية للسلمي (ص: 242 - 245)، وتاريخ الإسلام للذهبي (312/22 - 313)، والطبقات الكبرى للشعراني (87/1 - 88)، الوافي بالوفيات (42/26)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص: 289 - 190)، ونزهة الألباب في الألقاب (198/2).

(2) نهاية الورقة (9/و).

(3) [نفسه] ساقط من (ع).

وقال: «صُحْبَةُ أَهْلِ الصَّلَاحِ تُثْمِرُ فِي الْقَلْبِ الْفَلَاحَ، وَصُحْبَةُ أَهْلِ
الْفَسَادِ تُثْمِرُ الْفَسَادَ وَعَدَمَ السَّدَادِ».

وقال: «مَا دَخَلْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ شُيُوخِي إِلَّا وَأَنَا خَالٍ مِنْ جَمِيعِ
مَا لِي، أَنْتَظِرُ مَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْ رُؤْيَيْهِ وَمُجَالَسَتِهِ⁽¹⁾ وَكَلَامِهِ، فَإِنْ مَنَ دَخَلَ
عَلَيَّ شَيْخِهِ بِحَظِّهِ انْقَطَعَ مِنْ بَرَكَاتِ رُؤْيَيْهِ وَمُجَالَسَتِهِ وَكَلَامِهِ».

وقال: «مَا أَفْبَحَ الْعُقْلَةِ عَنْ طَاعَةِ مَنْ لَا يَعْمَلُ عَنْ بَرِّكَ»، اهـ.
مات سنة تسع ومائتين.

[أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري⁽²⁾]

عن صاحب المقامات الفاخرة، والكرامات الظاهرة، رئيس
الطريقة، وينبوع مورد الحقيقة، سيدي أبي القاسم الجنيد بن
محمد القواريري، سيّد الطائفة البغدادية.

(1) [ومجالسته] ساقط من (ج) و (ط).

(2) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز القواريري البغداذي، كان أبوه يبيع
الزجاج فلذلك كان يقال له القواريري، وكان هو خزازاً، أصله من نهاوند، ومولده
ومنشؤه ببغداد، كان فقيهاً على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقاته، وأخذ عن
خاله السري السقطي والحارث المحاسبي، وغيرهما، وصار شيخ وقته وفريد
عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية وطريقة الوعظ، وهو مقبول
على جميع الألسنة، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة، توفي رحمه الله ببغداد
يوم السبت سنة 297هـ - 910م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (7/ 249 - 256)، وحلية الأولياء (10/ 255 - 287)،
والطبقات الكبرى للسبكي (2/ 260 - 275)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص: 129 -
135)، وفيات الأعيان (1/ 373 - 375)، وسير أعلام النبلاء (14/ 66 - 70).

أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق.

كان فقيها يبنّي على مذهب أبي ثور⁽¹⁾ صاحب الإمام الشافعي⁽²⁾ ويروي مذهبه القديم.

أخذ عن خاله السريّ السقطي وغيره.

وكان يقول: «مُكَابِدَةُ الْعُرْلَةِ أَيْسَرُ مِنْ مَرَارَةِ الْخُلْطَةِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ لَهُ دِينُهُ وَيَسْتَرِيحَ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ فَلَا يَلْقَى النَّاسَ، فَإِنَّ هَذَا زَمَانٌ وَحْشَةٌ، فَالْعَاقِلُ مَنْ اخْتَارَ الْوَحْدَةَ».

وقال: «الشُّكْرُ فِيهِ عِلَّةٌ، لِأَنَّ الشَّاكِرَ طَالِبٌ لِنَفْسِهِ بِهِ الْمَزِيدَ، فَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ حَظِّ نَفْسِهِ».

وقال: «الْمُرِيدُ الصَّادِقُ غَنِيٌّ عَنْ عِلْمِ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا مَنْ عَلَيْهِ بِصُحْبَةِ الصُّوفِيَّةِ⁽³⁾ وَمَنْعَهُ صُحْبَةَ الْقُرَاءِ».

(1) هو أبو عبد الله إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، وأبو ثور لقبه، كان فقيها ورعا خيرا، قال فيه الحاكم: «كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم في عصره، وأحد أعيان المُحَدِّثِينَ المتقنين بها»، توفي رحمه الله سنة 240 هـ . 854 م. له ترجمة في: طبقات الشافعية (74/2)، وتهذيب التهذيب (64/1 - 65)، وشذرات الذهب (93/2).

(2) هو الإمام الشهير أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المكي نزيل مصر، صاحب المذهب، توفي رحمه الله سنة 204 هـ . 819 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (63/9 - 161)، وطبقات الفقهاء للشيرازي (ص: 71 - 75)، وسير أعلام النبلاء (5/10 - 99)، وترتيب المدارك (382/2 - 396).

(3) نهاية الورقة (9/ظ).

مات رحمه الله تعالى يوم السبت سنة سبع وتسعين⁽¹⁾ ومائتين،
وقبره ببغداد معلوم يزوره الخواص والعوام.

[أبو الحسن السريّ بن مفلس السقّطي⁽²⁾]

عن خاله أبي الحسن السريّ بن مفلس السقّطي.

كان رحمه الله تعالى⁽³⁾ أَوْحَدَ أهل زمانه في الورع والأحوال
السّنيّة، وعلم التّوحيد، وهو أوّل مَنْ تكلم فيه ببغداد، وإليه ينتمي أكثر
المشايع.

ومن كلامه: «مَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَبِ نَفْسِهِ كَانَ عَنْ أَدَبِ غَيْرِهِ
أَعْجَزُ».

مات سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وقبره بالشّوفيّة ظاهر
يُزار.

(1) في (ع) وستين.

(2) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقّطي البغدادي، خال أبي القاسم الجنيد
وأستاذه، صاحب معروف الكرخي وهو أجل أصحابه، أحد رجال الطريقة وأرباب
الحقيقة، وإمام البغداديين وشيخهم في وقته، كان من العباد المجتهدين، وأوحد
زمانه في الورع وعلوم التوحيد، توفي رحمه الله بمدينة بغداد سنة 253هـ - 867م.
له ترجمة في: تاريخ بغداد (9/ 186 - 191)، وتاريخ ابن عساكر (20/ 165 - 199)،
وطبقات الصوفية للسلمي (ص: 52 - 58)، وفيات الأعيان (2/ 357 - 359)، وسير
أعلام النبلاء (12/ 185 - 187).

(3) [تعالى] ساقط من (ج) و (ط).

[أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي⁽¹⁾]

عن أبي محفوظ سيدي معروف الكرخي بن فيروز، من المشهورين في الزهد والورع والفتوة، مجاب الدعوة، يُستشفى بقبره.

يقول البغداديون: «قبرُ معروف تريقا مجرب».

وهو من موالي علي بن موسى الرضّى⁽²⁾.

(1) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، نسبة إلى الكرخ، وهو اسم موضع بغداد، من جلة المشايخ الكبار، ومن المشهورين في الزهد والمذكورين بالورع والفتوة، وكان مجاب الدعوة، قال الإمام أحمد: «معروف من الأبدال، وهو مجاب الدعوة»، وذكر في مجلس أحمد فقال بعض من حضره: هو قصير العلم، فقال أحمد: «أمسك عافاك الله، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف»، مات رحمه الله ببغداد، سنة 200 هـ - 815 م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (201/13 - 209)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (381/1 - 389)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص: 80 - 86)، وسير أعلام النبلاء (339/9 - 345)، وبحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (153/1)، ووفيات الأعيان (231/5 - 233)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص: 280 - 285)، والطبقات الكبرى للشعراني (61/1 - 62).

(2) هو أبو الحسن علي الرضّى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين، الهاشمي العلوي المدني، الإمام السيد، كان من العلم والدين والسؤدد بمكان، وهو ثامن الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، توفي رحمه الله سنة 203 هـ - 818 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (387/9 - 393)، ووفيات الأعيان (269/3 - 271)، وتهذيب التهذيب (387/7 - 389).

كان يقول: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ».

ورُئي في النوم بعد موته ف قيل له: «ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل له: بزهذك وورعك؟ قال: لا، بل بقبولي موعظة ابن السماك⁽¹⁾ ومحبة الفقراء».

وموعظة ابن السَّمَاك ما قال معروف: «وقفت بالكوفة على رجل يقال له ابن السَّمَاك، فقال في خلال كلامه وهو يعظ الناس: «مَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِكَلْبِيَّةٍ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمَلَتِهِ، وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ أَقْبَلَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ بِجَمِيعِ وَجْهِهِ الْخَلْقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللَّهُ يَرْحُمُهُ وَقَتًا مَّا»، فوقع كلامه على قلبي وأقبلت على الله وتركت جميع ما كنت عليه إِلَّا خَدْمَةَ مُوَلَّائِي عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضِيِّ»⁽²⁾.

مات سنة مائتين، وقبره ببغداد ظاهر يُزار، عليه رونق وأنوار.

(1) هو أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك العجلي الكوفي، الإمام الزاهد القدوة، كان رأساً في الوعظ، وعظ الرشيد مرة فغشى عليه، سمع الأعمش وهشام بن عروة، توفي رحمه الله سنة 183هـ - 799م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (203/8 - 217)، وتاريخ بغداد (97/2 - 98)، وسير أعلام النبلاء (328/8 - 330).

(2) انظر القصة في مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (354/1)، ووفيات الأعيان (232/5).

[أبو سليمان داود بن نصير الطائي⁽¹⁾]

عن أبي سليمان سيدي داود بن نصير⁽²⁾ الطائي، أخذ الحديث عن هشام بن عروة⁽³⁾، والأعمش⁽⁴⁾، وعبد الملك ابن عمير⁽⁵⁾، وغيرهم.

(1) أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي من أتباع التابعين، الإمام الزاهد، كان ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره، قال الذهبي: «من كبار الزهاد، وهو ثقة بلا نزاع»، توفي رحمه الله بالكوفة سنة 165هـ - 781م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (347/8 - 355)، وحلية الأولياء (335/7 - 367)، وسير أعلام النبلاء (422/7 - 425)، وميزان الاعتدال (21/2)، ووفيات الأعيان (259/2 - 263)، وتهذيب الكمال (455/8 - 461).

(2) نهاية الورقة (10/و).

(3) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، أحد تابعي المدينة المشهورين، ومن أكابر العلماء المكثرين في الحديث، وأحد رجال الصحيحين، توفي رحمه الله ببغداد في سنة 146هـ - 763م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (47/14)، وسير أعلام النبلاء (34/6 - 47)، وتهذيب التهذيب (275/4 - 276)، ووفيات الأعيان (80/6 - 82).

(4) هو أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي الأعمش الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي، من التابعين المشهورين، الإمام الحافظ، شيخ المقرئين والمحدثين، توفي رحمه الله بالكوفة سنة 148هـ - 765م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (46/5 - 60)، وتاريخ بغداد (4/9 - 14)، وسير أعلام النبلاء (226/6 - 248)، ووفيات الأعيان (400/2 - 403).

(5) هو أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي التابعي، حدث عن خلق من الصحابة وكبار التابعين، وعمر دهرا طويلا، وصار مسند أهل الكوفة، توفي رحمه الله سنة 136هـ - 753م، وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (438/5 - 441)، وتهذيب الكمال (370/18 - 376)، ووفيات الأعيان (164/3 - 165).

وعنه أبو نعيم، وابن علية⁽¹⁾، وجماعة.

قيل: سبب زهده أنه كان يُجالس أبا حنيفة⁽²⁾ رحمه الله تعالى، فقال له يوماً: يا أبا سليمان، أما الآداب فقد أحكمناها، فقال له: فما بقي؟ قال: العمل بما علمناه، فاعتزل وتزهّد، وانقطع وتعبّد، حتّى صار رأساً في المجاهدة.

وكان إذا خرج مشى في الطريق المهجورة البعيدة، فيقال له: الطريق من هنا أقرب، فيقول: «فِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ». ومكث وحده أكثر من ستين سنة، فقليل له: أما تستوحش؟ فقال: «حَالَتْ وَخَشَةُ الْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ وَخَشَةِ الدُّنْيَا».

ومن كلامه: «عَلَامَةُ كَمَالِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا تَرْكُ مُجَالَسَةِ أَهْلِهَا». وقال له رجل: أوصني، قال له: «أَقْلِلْ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ».

(1) هو أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي البصري المعروف بابن علية، الإمام الحافظ الثقة، ربحانة الفقهاء وسيد المحدثين، توفي رحمه الله سنة 193هـ - 809م.

له ترجمة في: تهذيب الكمال (3/ 23 - 33)، وسير أعلام النبلاء (9/ 107 - 120). وتهذيب التهذيب (1/ 275 - 279).

(2) هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التميمي الكوفي صاحب المذهب، عالم العراق وفقهها، من مصنفاته الفقه الأكبر في علم الكلام، والمسند في الحديث، والرد على القدريّة، توفي رحمه الله سنة 150هـ - 767م. له ترجمة في: طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: 167)، وسير أعلام النبلاء (6/ 390)، والجواهر المضية (1/ 26).

وقال: «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّاحِلُ، يَنْزِلُ بِهَا النَّاسُ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً، يَنْتَهِي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ سَفَرِهِمْ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ زَادًا فَافْعَلْ».

وقال له رجل: أوصني، فقال: «عَسْكَرُ الْمَوْتَى يَنْتَظِرُوكَ، صُمْ عَنِ الدُّنْيَا، وَاجْعَلْ نَظْرَكَ الْمَوْتَ، وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ السَّبْعِ».

مات سنة اثنين وستين ومائة.

[حبيب العجمي⁽¹⁾]

عن قدوة الزّاهدين، وتاج العارفين، سيّدي حبيب العجمي.

كان من أبناء الملوك، فأدركته العناية الرّبانيّة وصار من أهل السّلوكة، ولزم مجلس وعظ الحسن البصريّ، فأقبل على الآجلة وتحول عن الأخلّة، واشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار تصدّق بها.

وله المناقب الكثيرة والكرّمات الشهيرة، منها أنّه كان يُرى بالبصرة يوم التّروية⁽²⁾ وبعرفة عشية عرفة.

(1) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي البصري، أحد الأعلام الزهاد، كان مجاب الدعوة، وتؤثر عنه كرامات وأحوال، توفي رحمه الله في حدود 140هـ - 757م.

له ترجمة في حلية الأولياء (149/6 - 155)، وتاريخ دمشق (45/12 - 61)، وسير أعلام النبلاء (143/6 - 144)، وتاريخ الإسلام (393/8 - 395)، والوافي بالوفيات (130/11 - 131).

(2) نهاية الورقة (10/ظ).

ونزل بأهل البصرة قحط فاشتري طعاما بنسيئة وفرقه على
المساكين، وخاط كيسا وجعله تحت رأسه، فلما حلّ الأجل وأتوه
طالبين أخذ الكيس فوجده مملوءا دراهم فقضى جميع الدين.

ودخل الحسن مسجدا يصلي المغرب فإذا حبيب يصلي بالناس،
فلم يصل خلفه لكونه يلحن لعجمة في لسانه، فرأى في⁽¹⁾ تلك الليلة
في النوم يُقال له: لو صليت خلف حبيب لغُفر لك ما تقدّم من ذنبك.

ورُئي في النوم بعد موته فقيل له: ما حالك؟ فقال: هَيْهَاتَ،
ذَهَبَتِ الْعُجْمَةُ وَبَقِيََتِ النَّعْمَةُ.

مات سنة (2).

[الحسن البصري⁽³⁾]

عن أبي سعيد الحسن البصري.

والده من أهل ميسان، أعتقته الرِّبِّيعة بنت النّضر، فهو مولى
الأنصار.

(1) [في] ساقط من (ج) و (ط).

(2) بياض في جميع النسخ.

(3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، أحد الأئمة الأعلام، ولد لستين بقيتا من
خلافة عمر رضي الله عنه ونشأ بوادي القرى، ورأى عثمان وعلياً وطلحة والزبير
رضي الله عنهم، وحضر يوم الدار وهو ابن أربع عشرة سنة، قال ابن سعد: «قَالُوا:
كَانَ الْحَسَنُ جَامِعًا عَالِمًا عَالِيًا رَفِيعًا فَقِيهًا ثَقَّةً مَأْمُونًا عَابِدًا نَاسِكًا كَبِيرَ الْعِلْمِ
فَصِيحًا جَمِيلًا وَسِيمًا»، توفي رحمه الله سنة 110 هـ - 728 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (131/2 - 161)، والطبقات الكبرى لابن سعد (114/7 -
132)، وسير أعلام النبلاء (588 - 563/4).

وُلِدَ زمن عمر، وسمع عثمان⁽¹⁾، وشهد الدار.

وروى عن ابن عباس وغيره، وعنه يونس⁽²⁾ وأُمّ.

كان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأسا في العلم والعمل⁽³⁾، غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تُخلَقْ إلّا له وحده.

وكان يقول: «ذَهَبَتِ الْمَعَارِفُ وَبَقِيَتِ الْمَنَائِرُ»⁽⁴⁾.

وقال: «يُسْتَعَانُ عَلَى الْخَاطِرِ الشَّيْطَانِيِّ بِالذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى الْخَاطِرِ النَّفْسَانِيِّ بِالصَّوْمِ وَالرِّيَاضَةِ».

(1) هو أمير المؤمنين أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين وممن صلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين، بويع بالخلافة سنة 24 هـ، وقتل رضي الله عنه شهيدا سنة 35 هـ. 655 م ودفن بالقيع.

له ترجمة في: الاستيعاب (3/ 1037 - 1053)، وأسد الغابة (3/ 480 - 492)، والإصابة (4/ 456 - 459)، والرياض المستطابة (ص: 156 - 163).

(2) هو أبو عبيد يونس بن عبيد بن دينار العبدي البصري رأى أنس بن مالك رضي الله عنه ولم يسمع منه، وروى عن الحسن البصري وابن سيرين وإبراهيم التيمي وثابت البناني وغيرهم، كان من سادات أهل زمانه علما وفضلا وحفظا وإتقانا وسنة وبغضا لأهل البدع، توفي رحمه الله سنة 139 هـ. 756 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (3/ 15 - 27)، وسير أعلام النبلاء (6/ 288 - 296)، وتهذيب الكمال (32/ 517 - 534)، وتهذيب التهذيب (11/ 442 - 445).

(3) روى ابن سعد في الطبقات (7/ 119) عن عامر الشعبي أنه قال لابنه: «يَا بُنَيَّ، أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ أَرْ أَحَدًا قَطُّ أَشَبَّ بِهِمْ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ».

(4) رواه أحمد في الزهد (ص: 209 رقم: 1446)، وابن بطة في الإبانة (1/ 184 رقم: 19)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 132).

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا لَمْ يُشْغَلْ بِأَهْلٍ وَوَلَدٍ.
وَمِنْ شَرْطِ التَّوَاضُّعِ أَنْ لَا تَرَى الْفَضْلَ لِنَفْسِكَ عَلَى أَحَدٍ.
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَمَاتَ عِيَالَهُ وَجَرَّدَهُ لِعِبَادَتِهِ». .
مات في رجب سنة عشر ومائة.

وقوله: (السَّامِي)، أي الرَّفِيع الشَّان، نعت لحَسَن.

[علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽¹⁾]

عن أمير المؤمنين، وابن عمِّ سيِّد الأولين والآخرين ﷺ، سيِّدنا
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.
مآثره أَفْرَدَ الكلامَ عليها بالتَّأليف⁽²⁾.

ومن كلامه⁽³⁾ رضي الله تعالى عنه⁽⁴⁾: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ
بِدُونِ عَمَلٍ، وَيُوَخِّرُ التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الرَّاهِدِينَ،

(1) هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، ورابع الخلفاء الراشدين، تربى في حجر النبي ﷺ وزوجته ابنته فاطمة رضي الله عنها، وبعثه إلى اليمن قاضيا ومعلما، وهو من خيرة الصحابة وأجلاء فقهاءهم، توفي رضي الله عنه سنة 40هـ - 661م.

له ترجمة في: الاستيعاب (3/ 1089 - 1133)، وأسد الغابة (3/ 588 - 622)، والإصابة (4/ 564 - 570).

(2) في هامش (ج): اعرف مآثر الإمام علي رضي الله عنه وكلامه في المواعظ واعمل به، تفد علما وأدبا إن كنت لبيبا.

(3) نهاية الورقة (11/و).

(4) [رضي الله تعالى عنه] ساقط من (ج) و (ط).

وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاعِيْنَ، إِنْ أُعْطِيَ لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَى عَمَّا يَأْتِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيَقِيْمُ عَلَى مَا يُؤَبِّقُهُ مِنْ حَوْبِهِ⁽¹⁾..

وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ⁽²⁾ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيَّ أَخِي وَرَسُولُ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِأَلْفِي عَامٍ»⁽³⁾.

(1) حوبه: من الحوب والحوب، جمع حوبة وحوبة؛ وهي الإثم.

انظر مشارق الأنوار (215/1)، ولسان العرب (337/1).

(2) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري الخزرجي، من سادات الصحابة وفضلائهم، وأحد المكثرين من رواية الحديث، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 73هـ - 672م.

له ترجمة في الاستيعاب (1/ 219 - 220)، وأسد الغابة (1/ 307 - 308)، والإصابة (1/ 434 - 435).

(3) رواه أحمد في فضائل الصحابة (2/ 665 رقم: 1134)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (7/ 228)، والطبراني في الأوسط (5/ 343 رقم: 5498)، وأبو نعيم في الحلية (7/ 256)، والخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (1/ 498) وفي تاريخ بغداد (7/ 398)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (42/ 59)، وسنده ضعيف جدا.

وقال أبو عبيدة⁽¹⁾: ارتحل الإمام علي رضي الله تعالى عنه على تسع كلمات، قطع الأطماع عن اللّحاق بواحدة منهنّ، ثلاث في المناجاة، وثلاث في الحكمة، وثلاث في الأدب.

أمّا المناجاة فقولُه: «كَفَّانِي فَخَرًا أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا، كَفَّانِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا، وَأَنْتَ كَمَا أَحِبُّ فَاجْعَلْنِي كَمَا تُحِبُّ».

وأمّا الحكمة فقولُه: «قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، وَمَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، الْمَرْءُ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ فَإِذَا تَكَلَّمَ ظَهَرَ».

وأمّا الأدب فقولُه: «اسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ فَأَنْتَ نَظِيرُهُ، وَتَفَضَّلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ، وَاضْرَعْ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ».

وآخر ما تكلم به: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

قُتِلَ رضي الله عنه بضربة من ابن ملجم⁽²⁾ لعنه الله، بسيف مسموم⁽³⁾، ليلة الجمعة السابعة عشر من رمضان، وقيل ليلة إحدى وعشرين، من سنة أربعين من الهجرة.

(1) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي بالولاء البصري النحوي، كان الغالب عليه معرفة الأدب والشعر، توفي رحمه الله سنة 209هـ - 824م، وقد قارب المائة. له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (9/445 - 447)، وفيات الأعيان (5/235 - 243)، وتهذيب التهذيب (10/248).

(2) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي الشقي، قاتل علي رضي الله عنه، ضرب عليا في صلاة الصبح على رأسه بسيف كان سمه بالسم، واقتص منه الحسن بن علي رضي الله عنه وقتله، كان ذلك في رمضان سنة 40هـ - 660م. له ترجمة في: الوافي بالوفيات (18/171 - 174).

(3) نهاية الورقة (11/ظ).

وقوله: (الْهَاشِمِيُّ)، نعت له، نسبة إلى الأعلى.

عن قدوة الأنبياء والمرسلين، وملجأ الأولين والآخرين، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، سيّدنا محمّد بن عبد الله بن عبّـد الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ، بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما تعاقب الملوان وطلع الفرقدان.

أمّه ﷺ أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ.

وُلِدَ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً⁽¹⁾ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ الْفِيلِ.

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله.

و (الْقُدْوَةُ) بضمّ القاف وكسرهما.

قال ابن فارس: «الأصل الذي يتشعب منه الفروع»⁽²⁾.

فهو ﷺ أصل الخيرات الدنيويّة والأخرويّة، والكمالات العرفانيّة.

(1) [ليلة] ساقطة من (ج) و (ع).

(2) معجم مقاييس اللغة (66/5) مادة: قَدَوَ.

وأشار بقوله: (أَخَذَ طَهَ الْأَمِينُ) إلخ، إلى ما ذكره أبو الفتوح سيدي محمد بن سيدي مصطفى البكري الصديقي، صاحب المنهل العذب الرّحقي، في الجوهر الفريد في حلّ بلغة المريد أنّ رسول الله ﷺ أخذ من الرّوح الأمين سيّدنا جبريل المكين عليه الصّلاة والسّلام، وهو تلقى عن ربّ العزّة جلّ جلاله وعظّم فيضه ونواله، إله العالمين سبحانه مولانا.

وقوله: (الْمَكِين) نعت لجبرائيل، ومكانته⁽¹⁾ مكانة إكرام وتشريف، لأنّه بلغ من المكانة وعلوّ المنزلة المبلغ العظيم، بأنّ جعل السّفير بين الله وبين رسله عليهم الصّلاة والسّلام أجمعين.

وقوله: (سُبْحَانَهُ) أي تقدّيسا وتنزيها له تعالى، وأصله مصدر سَبَحَ بمعنى نزه، مخفّفا، كشكّر شكرانا وغفّر غفرانا.

وجوّز جماعة أن يكون فعله سَبَحَ مشدّدا، إلّا أنّهم صرّحوا بأنّه بعيد عن القياس لأنّه لا نظير له، بخلاف الأوّل فإنّه كثير وإن كان غير مقيس.

وظاهر كلام أبي البقاء⁽²⁾ أنّه اسم مصدر مطلقا، والمنقول عن أرباب الأفعال خلافه.

(1) نهاية الورقة (12/و).

(2) هو موفق الدين أبو البقاء يعّيش بن علي بن يعّيش الحلبي النحوي، المشهور بابن يعّيش ويعرف بابن الصائغ، كان من كبار أئمة العربية ماهرا في النحو والتصريف، توفي رحمه الله سنة 643هـ - 1245م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (144/23 - 147)، ووفيات الأعيان (46/7 - 53)، وبغية الوعاة (351/2 - 352).

والجمهور على أنّه ليس ممّا أميت فعله، خلافاً لما اختاره⁽¹⁾ الكرمانيّ⁽²⁾، ووافقه ابن يعيش⁽³⁾، ومال إليه الجلال⁽⁴⁾ في الإتيان⁽⁵⁾، وأوماً إليه صاحب القاموس⁽⁶⁾ بقوله: «سبحان الله نصب على المصدر، أي أبرئ الله من الصّاحبة والولد، حيث قُدّر الفعل من غير لفظه»، انتهى.

والحاصل أنّه مصدر أو اسم مصدر لازم النّصب على المفعوليّة المطلقة، والعامل فيه فعل متروك إظهاره، مقدّر من لفظه منزّل منزلته سادّ مسدّه لازم الإضافة إلى مفرد ظاهر أو مُضمّر، كما في كلام المصنّف رحمه الله تعالى.

قال ابن مالك: «ولا يقطع عن الإضافة لفظ إلاّ للضرورة».

(1) انظر غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (619/1).

(2) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي المفسر، ويعرف بتاج القراء، إمام كبير محقق ثقة كبير المحل، توفي رحمه الله سنة نحو 505هـ - 1110م.

له ترجمة في: غاية النهاية في طبقات القراء (291/2)، وبغية الوعاة (277/2)، ومعجم الأدباء (2686/6).

(3) هو ابن يعيش المتقدم الذكر.

(4) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري السيوطي، صنف أزيد من ستمائة كتاب، توفي رحمه الله سنة 911هـ - 1505م.

له ترجمة في: الضوء اللامع (65/4 - 70)، وشذرات الذهب (51/8)، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (227/1 - 232).

(5) انظر الإتيان في علوم القرآن (235/2).

(6) انظر القاموس المحيط (ص: 222) مادة سبّح.

والجمهور على أنه علّم جنس على التّسييح، ككيسان ونحوه من
أعلام الأجناس الموضوعّة للحقيقة الحاضرة في الدّهن، باعتبار حضورها
فيه الذي هو نوع تشخص وتعيّن لها مع قطع النّظر عن أفرادها، كما صرّح
بذلك البيضاوي⁽¹⁾ والزّمخشري⁽²⁾ والدّماميني⁽³⁾، ويّبنوا وجهه.

(1) هو أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي
الشيرازي البيضاوي، صاحب ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، توفي رحمه الله
سنة 685 هـ . 1286م.

له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى (157/8)، والوافي بالوفيات (206/17)،
وبغية الوعاة (50/2 . 51).

(2) هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري النحوي المفسر،
العلامة إمام اللغة والنحو والبيان بالاتفاق، له من التصانيف الكشف في التفسير،
والفائق في غريب الحديث، والمفصل في النحو، وأساس البلاغة، وغير ذلك،
توفي رحمه الله سنة 538 هـ . 1143م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (151/20 . 156)، ووفيات الأعيان (168/5 . 174)،
وبغية الوعاة (279/2 . 280)، والجواهر المضية (160/2 . 161).

(3) هو محمد بن بدر الدين بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني، نسبة إلى
دماين قرية قريبة من الأقصر، المالكي النحوي الأديب، ولد بالإسكندرية سنة
763 هـ، وتعلم بها، ثم غادر الديار المصرية وتوجه إلى اليمن فدرس في جامع
زبيد، ثم ترك اليمن متجها إلى الهند، وتوفي رحمه الله بالهند في كبرج سنة
827 هـ . 1424م، وترك عدة مؤلفات في العربية.

له ترجمة في: بغية الوعاة (66/1 . 67)، والضوء اللامع (184/7 . 187)، وشذرات
الذهب (139/7).

وأنكر ذلك⁽¹⁾ ابن الحاجب⁽²⁾ ووافقه ابن مالك وقال: «هو اسم بمعنى التسييح وليس بعلم»، وعلّل ذلك بأنّه لو كان علماً لم يصف إلاّ لاسم واحد كسائر الأعلام المضافة.

قال: «وزعم أبو عليّ⁽³⁾ والزّمخشريّ أنّ الشّاعر ترك تنوينه من قوله⁽⁴⁾:

قد قلت لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عُلِّمَهُ الْفَاخِرِ

لأنّه علّم على التّسييح فلا ينصرف إلاّ للعلميّة والزيادة، وليس الأمر كما زعما، بل ترك التّنوين لأنّه مضاف حذف المضاف إليه وبقي المضاف على حاله، ومثله كثير⁽⁵⁾.

(1) نهاية الورقة (12/ظ).

(2) هو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، الفقيه المالكي المجتهد، والأصولي المحقق، والمتكلم النظار، واللغوي الأديب، صاحب التصانيف المشهورة كالمختصر الفرعي في الفقه، والمختصر الأصولي في أصول الفقه، والشافية في الصرف، والكافية في النحو، ولد بمصر سنة 570هـ - 1174م، وتوفي رحمه الله سنة 646هـ - 1248م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (264/23 - 266)، ووفيات الأعيان (248/3 - 250)، والديباج (ص: 289 - 291)، وشجرة النور (167/1 - 168).

(3) هو أبو عليّ إسماعيل بن القاسم بن عيزون بن هارون القالي البغدادي القرطبي، أحفظ أهل زمانه للشعر ولغة البصريين، سمع البغوي والعدوي والأخفش وابن دريد ونفطويه والزجاج وابن الأنباري، طاف البلاد وسافر إلى بغداد ثم دخل الأندلس وحدث بها ونشر علمه بها، توفي رحمه الله سنة 356هـ - 967م.

له ترجمة في: وفيات الأعيان (226/1 - 228)، وبغية الوعاة (453/1).

(4) القائل هو الأعشى، انظر صبح الأعشى (444/1)، وخزانة الأدب (399/3 - 400).

(5) شرح الكافية الشافية لابن مالك (959/2 - 960).

ووافقه على ذلك الشيخ ابن هشام⁽¹⁾ في الجامع، وأيد كلامه وصوّبه وإن خالفه في التوضيح وصرّح بما للأكثر.

وجرى الرضي⁽²⁾ في شرح الحاجبة على ما لابن مالك، وردّ ما يخالفه.

ووفق بينهم البيضاوي بأنّ علّمته إنّما هي عند قطعه عن الإضافة، اهـ.

وقد يقال: إنّ الإضافة لا تنافي العَلَمِيّة، لأنّها لا تبطلها إلّا إذا كانت للتعريف أو التّخصيص، أمّا إذا كانت للبيان فلا، كحاتم طي وفعرون موسى، فالمذاهب فيه ثلاثة، علّم مطلقاً، وليس بعَلَم مطلقاً، والتّفصيل، إنّ قُطع عن الإضافة فهو علّم وإلّا فليس بعَلَم، الأوّل للجُمهور، والثّاني لابن مالك، والثّالث لابن الحاجب.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي الأنصاري الأندلسي، من أهل الجزيرة الخضراء، كان إماماً في العربية، شاعراً ناثراً متصرفاً في الأدب، عاكفاً على التعليم، أخذ عن ابن خروف والرندي، وأخذ عنه الشلوبين، وله مصنفات منها: المقال في أبنية الأفعال، والإفصاح بفوائد الإيضاح، توفي رحمه الله بتونس سنة 646هـ - 1248م.

له ترجمة في: بغية الوعاة (267/1)، والأعلام (138/7).

(2) هو السيد ركن الدين محمد بن الحسن بن شرف شاه الحسيني الشافعي الأسترباذي، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، قال السيوطي: «لم يؤلف عليها، بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمعا وتحقيقا، فتداوله الناس واعتمدوا علي، وله فيه أبحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها»، توفي رحمه الله سنة 715هـ - 1315م.

له ترجمة في: طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (214/2)، والوافي بالوفيات (37. 36/12)، وبغية الوعاة (521/1 - 522)، وكشف الظنون (1370/2).

وقوله: (مَوْلَايَا) مضاف لِيَاءِ النَّفْسِ، والألف للإشباع، وفي تهذيب⁽¹⁾ النووي⁽²⁾ عن النّهاية اسم المولى يقع على معان كثيرة، الرّب، والمالك، والسّيد، والمُنعم، والمُعْتق، والنّاصر، والمحبّ، والتّابع، وابن العمّ، والحليف⁽³⁾، والصّهر، والعبد، والمُنعم عليه، والمُعْتق، على صيغة اسم المفعول⁽⁴⁾.

وذكر عياض⁽⁵⁾ في التّنبّهات أنّه يطلق على العاصب، والقائم بالأمر، وناظر اليتيم⁽⁶⁾.

(1) تهذيب الأسماء واللغات (196/4).

(2) النووي بحذف الألف ويجوز إثباتها، نسبة إلى نوا من قرى حوران بسورية، وهو شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مَرَى النووي، الإمام العلامة الفقيه، والمحدث الحافظ، واللغوي المشارك، صنف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها كشرح مسلم، وشرح المذهب، والأذكار، ورياض الصالحين، والارشاد والتقريب في علوم الحديث، وتهذيب الأسماء واللغات، توفي رحمه الله سنة 676هـ - 1277م.

له ترجمة في: طبقات الشافعية الكبرى (395/8 - 400)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة (153/2 - 157)، وشذرات الذهب (353/5 - 355).

(3) في (ع) الحبيب.

(4) النّهاية في غريب الحديث (228/5).

(5) هو الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، من أعلام الفقه والحديث بالمغرب، وأحد الأئمة المجددين المجتهدين، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة، وكان شديد التعصب للسنة والتمسك بها، توفي رحمه الله بمراكش سنة 544هـ - 1149م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (138/20)، ووفيات الأعيان (483/3 - 485)، والديباج (ص: 270 - 273)، وشجرة النور (140/1).

(6) التّنبّهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة (975/2).

وقال صاحب الوجوه والنظائر⁽¹⁾: «إنَّه يطلق⁽²⁾ على الشريك والنَّدِيم».

[التحقيق في سند طريق الخلوتية]

قوله:

29 - يَا مَنْ تُرِيدُ التَّحْقِيقَ فَاسْمَعْ مِنِّي بِالتَّدْقِيقِ

30 - هَذَا سَنَدُ الطَّرِيقِ طَرِيقُ الْخُلُوتِيَا

أي يا مَنْ تريد إحكام الأمور وإتقانها على الوجه الأحقّ، ويُطلق أيضاً على إثبات الشيء بدليله.

و (التَّحْقِيقُ) الذي أشار له إنّما هو مطلق العلم الإلهي الحَقِّي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علماً لا يحتمل خلاف ما هو معلوم منه، وليس كذلك إلّا العلم بحقائق الأشياء،

(1) الوجوه والنظائر كتاب في مفردات القرآن الكريم، وصاحبه هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الجوزي، والملقب جمال الدين، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير، والمتنظم في التاريخ، توفي رحمه الله ببغداد في شهر رمضان سنة 597هـ 1201م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (365/21 - 384)، ووفيات الأعيان (140/3 - 142)، وشذرات الذهب (329/4 - 331).

(2) نهاية الورقة (13/و).

المحتوي على المعارف الإلهية، حيث أن استمداده من الحضرة الإلهية، وهي الحاكمة عليه، وليس للعقل والإدراك عليه حكم، لأنهما قد يخطآن بما يطرأ⁽¹⁾ عليهما من الوسائط في وصول العلم إليهما، وأجل أسباب حصوله سلوك الطريقة الخلوتية، التي هذه الأرجوزة في بيان شرائطها وآدابها، ولذلك أمر بالسمع منه بالتدقيق الذي هو عبارة عن إثبات المسألة بدليل وطريقة لناظره.

والإشارة بقوله: (هَذَا) راجعة إلى السند المذكور آنفاً.

وقوله: (طَرِيقُ الْخُلُوتِيَا) بدل من الطريق.

[دعاء الناظر أن يجعله الله من الأولياء]

قوله:

31 - سَأَلْتُكَ يَا صَمْدٌ يَا وَاحِدٌ يَا أَحَدٌ

32 - بِجَاهِ هَذَا السَّنَدِ أَذْخَلْنَا فِي الْأُولِيَا

أي يا مقصود في الحوائج، يقال: صَمَدٌ يَضْمُدُهُ صَمْدًا إذا قصده، فالخلق بكليتهم متوجهون إلى الله تعالى، ومجتمعون بجملتهم في قضاء حوائجهم وطلبها من الله، فهو المصمود إليه على الإطلاق، لأنه الغني عن كل ما سواه، وكل ما عداه يحتاج⁽²⁾ إليه.

(1) في (ع) يطرُق.

(2) في (ع) محتاجون.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى⁽¹⁾ عنه قال: «الصَّمَدُ السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ سُودُّهُ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي كَمُلَ⁽²⁾ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ⁽³⁾، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هَذِهِ صِفَتُهُ الَّتِي لَا تَبْغِي إِلَّا لَهُ»⁽⁴⁾.

وقوله: (يَا وَاحِدُ) إلخ، سؤال باسمه الجامع لصفات الجلال، إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزلة الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسميّة والتحيّز والمشاركة في الحقيقة وخواصّها، كوجوب الوجود والقدرة الذاتيّة والحكمة التامة المقتضية للألوهيّة. و (الْأَحَدُ) الفرد في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه.

وقوله: (بِجَاهِ هَذَا السَّنَدِ) يتعلّق بـ (سَأَلْتُكَ)، وجملة (أَدْخَلْنَا فِي الْأَوْلِيَاءِ) في محلّ نصب ثاني مفعوليّ (سَأَلْتُكَ)، وفيه حذف مضاف، تقديره أنظمنا في سلك الأولياء، وحينئذ ففي المركّب الإضافيّ استعارة وتخيل.

(1) [تعالى] ساقط من (ج) و (ط).

(2) نهاية الورقة (13/ظ).

(3) في (ع) الحاكم الذي كمل في حكمه.

(4) رواه الطبري في التفسير (692/24)، وابن أبي حاتم في التفسير (3474/10) رقم: 19535، والبيهقي في الأسماء والصفات (156/1) رقم: 98، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (383/1) رقم: 96.

[دعاء الناظر أن يجعله الله من المخلصين]

قوله:

33 - يَا سَمِيعُ يَا مُعِينُ يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

34 - أَدْخِلْنَا فِي السَّالِكِينَ اللَّهُ خَدُمُوا بِالْأَنْبِيَاءِ

أي يا سميع كل موجود، ويا معين كل ملحوظ، ويا إله العالمين من أهل السموات والأراضين والخلق أجمعين، أدخلنا في حزب عبادك السالكين، الذين خدموك أي عبدوك بالتيبة الخالصة من شوائب الرياء وسائر الأغراض النفسانية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾؛ وحذف العاطف للعلم به.

و(اللَّهُ) لغة في الذي⁽²⁾.

[حث المريد على سلوك الطريق]

قوله:

35 - يَا مَنْ تُرِيدُ السُّلُوكَ وَتَنْفِي عَنْكَ الشُّكُوكَ

36 - تَبْلُغْ مَقَامَ الْمُلُوكِ سَادَتْنَا الصُّوفِيَا

(1) سورة البينة: 5.

(2) انظر كتاب العين للخليل (209/8)، وتهذيب اللغة للأزهري (32/15)، ومختار الصحاح (ص: 281).

(السُّلُوكُ): هو الدَّخُولُ بِالرُّوحِ فِي الْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ بِطَرِيقِ الْجِدِّ
وَالاجْتِهَادِ وَمُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ وَالْجِهَادِ.

وَأَرَادَ بِـ (الشُّكُوكِ) حَدِيثَ النَّفْسِ وَهَوَاجِسَهَا وَوَسْوَسةَ الشَّيْطَانِ،
وَكُلَّ مَا يَخْطُرُ بِالْقَلْبِ مِنَ الشَّرِّ، وَكُلَّ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ⁽¹⁾ دَاءٌ
وَدَوَائِهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يَزِيلُ ذَلِكَ عَنِ الْقَلْبِ وَيُنَوِّرُهُ وَيُصَفِّيهِ
بِالذِّكْرِ، كَالْمَقَامِ الْوَحْدَانِيِّ⁽²⁾، وَلِذَلِكَ كَانَ شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ
هَزِيلًا.

حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُضْنِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُضْنِي
الرَّجُلُ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الشُّكُوكِ الْقُوَّةُ الْوَهْمِيَّةُ الْمُدْرِكَةُ لِلْمَعَانِي الْجَزَائِيَّةِ
الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَحْسُوسَاتِ، فَإِنَّهَا تَسَاعِدُ الْعَقْلَ فِي الْمَقَدِّمَاتِ، فَإِذَا آلَ
الْأَمْرَ إِلَى النَّتِيجَةِ تَأَخَّرَتْ عَنْ مَصَاحِبَةِ الْعَقْلِ وَمُوَافَقَتِهِ، وَأَخَذَتْ
تَشْكِكُهُ وَتُوسَّوْسُهُ، وَبِاتِّفَاعِ ذَلِكَ يَبْلُغُ الْمُرِيدُ إِلَى مَرْتَبَةِ السَّادَاتِ
الصُّوْفِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ بِمِثَابَةِ الْمُلُوكِ.

[الصدق في خدمة الشيخ والتأديب مع الإخوان]

قوله:

37 - اخْدُمُ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ قُطْبُ ذَا الزَّمَانِ

(1) نهاية الورقة (14/و).

(2) في (ع) نفسه.

38- وَتَأَدَّبْ مَعَ الْإِخْوَانِ لَا تَكُنْ مُدَّعِيَا

(هُوَ) جواب شرط محذوف، أي إن أردت ذلك فاخدم أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهرّي المذكور آنفا، وجملة (هُوَ قُطْبُ) إلخ نعت له.

وَكُنْتُ بِخِدْمَتِهِ عَنْ أَخْذِ وَرْدِهِ وَالذَّخُولِ فِي طَرِيقَتِهِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سُلُوكِ حَزْبِهِ الذَّاكِرِينَ⁽¹⁾ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ⁽²⁾.

وجملة (وَتَأْدَّبْ) عطف على الفعلية قبلها، وسيجيء إن شاء الله تعالى بيان آداب المريد مع الإخوان.

وأشار بقوله: (لَا تَكُنْ مَدْعِيًّا) إلى أنه يجب على المريد أن لا يرى لنفسه فضلا على أحدهم، بل لا يرى في الأرض مسلما ولا كافرا دونه حتى يغيب في القبر، فإنّ ختام الأمر مغيب عنه، ومن ليس ذا خسر يخاف من مكر الله، قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١١) (٣).

(1) في (٤) في سلوك حزبه السالكون الذاكرين.

(2) أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأُمْلِيَيْنَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِعِينَ وَالصَّامِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحراب: 35].

(3) سورة الأعراف: 99.

قوله:

39. يَا مَنْ تَبْغِي تَرْقَى أَذْخُلْ هَذَا الطَّرِيقَا
40. تَبْلُغْ إِلَى الْحَقِيقَا⁽¹⁾ بِالصِّدْقِ مَعَ النَّيَا

حَثُّ وَتَرْغِيبٌ فِي الْإِنْتِظَامِ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الْخَلَوْتِيَّةِ، لَكُونِهَا أَسْهَلُ الطَّرِيقِ وَأَيْسَرُهَا، أَيِ يَا مَنْ تَطْلُبُ التَّرْقِيَّ إِلَى التَّحَلِّيِ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَصَفَاءِ الْبَاطِنِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ قَبِيحِ الْفِعَالِ، فَانْتِظِمِ فِي سُلُوكِ الدَّاخِلِينَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَيِ الْخَلَوْتِيَّةِ، وَاجْتَهِدْ فِي التَّخَلِّيِ عَنْ أَوْصَافِكَ الذَّمِيمَةِ بِالْكَلِّيَّةِ، كَيْ تَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْعَرَفَانِيَّةِ، الَّتِي هِيَ عِنْدَ الْقَوْمِ عِبَارَةٌ عَنْ سَلْبِ آثَارِ أَوْصَافِكَ عَنْكَ بِأَوْصَافِهِ، فَإِنَّهُ الْفَاعِلُ بِكَ فِيكَ مِنْكَ لَا أَنْتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾⁽²⁾، مُلْتَبَسًا بِالصِّدْقِ الَّذِي هُوَ مُطَابَقَةٌ بِاطْنِكَ لظَاهِرِكَ، وَالنِّيَّةِ الَّتِي هِيَ أَسُّ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ سَيِّدُ الْمَخْلُوقَاتِ ﷺ⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (14/ظ).

(2) سورة هود: 56.

(3) الحديث المشار إليه هو ما اتفق عليه الشيخان البخاري (9/1 رقم: 1)، ومسلم (1515/3 رقم: 1907) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّجُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

قوله:

41 - خَالَفَ نَفْسَكَ وَالشَّيْطَانَ وَاکْتَبَزَ مِنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ

42 - شَيْخُكَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَقَامُ الْقُطْبَانِيَا

أمر بمخالفة النفس لأنها أعدى الأعداء إلى الإنسان، ففي الحديث: «أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَى الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»⁽¹⁾.

قال الله تعالى حكاية عن الصديق عليه السلام⁽²⁾: ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁽³⁾.

وكذلك الشيطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾⁽⁴⁾.

وقال البوصيري⁽⁵⁾:

(1) أخرجه البيهقي في الزهد (ص: 156 رقم: 343)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (878/1): «فيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين».

(2) [عليه السلام] ساقط من (ج) و (ط).

(3) سورة يوسف: 53.

(4) سورة فاطر: 6.

(5) انظر الزبدة في شرح البردة (ص: 57).

وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعَصِيَهُمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِمَ

وبمخالفتهم ينتظم المرید فی عباد الرحمن الذین قال فیهم
تعالی: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾⁽¹⁾.

وأشار بقوله: (اَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ)، إلى العمل بقوله تعالی:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾.

وقوله تعالی⁽³⁾: ﴿وَالذِّكْرِ يَكُ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ يَكُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

وقوله: (شَيْخُكَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ)، مبتدأ.

وقوله: (مَقَامُ الْقُطْبَانِيَا)، الجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع
نعت له.

وقوله: (مَقَامُ)، أصله مقامه، فالضمير حُذِفَ للوزن.

[بشرى من النبي ﷺ لابن عبد الرحمن لما تبع ورده]

ثم قال:

(1) سورة الحجر: 42.

(2) سورة الأحزاب: 41.

(3) سورة الأحزاب: 35.

(4) نهاية الورقة (15/و).

43 - بَشْرُهُ الْمُضْطَفَى مَنْ فِي وَرْدِهِ وَفَا

44 - يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الصِّفَا مَا يَضْلَاشِ الْحَامِيَا

الجملة الفعلية خبر المبتدأ في البيت قبله، وهو (شَيْخُكَ).

والمعنى . والله أعلم . أنّ النبي ﷺ بَشْرُهُ في حالة النوم بأنّ مَنْ أعطى ورده حقّه وقام به وبآدابه كما ينبغي في حياته، يكن من أهل الصِّفَاء⁽¹⁾ معدودًا، لا يَضْلَى في الآخرة جهنّم الحامية، بل يتجنّبها ويحشره الله تعالى مع المتّقين.

[بشري من النبي ﷺ بالأمن من النار لمن رأى بالعيان ابن عبد الرحمن]

قوله:

45 - وَمَنْ رَأَهُ بِالْعِيَانِ قَالَ هُوَ بِاللِّسَانِ

46 - مَا تَعْدُو عَنْهُ نِيرَانٌ فِي الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا

يعني أنّ الشيخ الإمام ابن عبد الرحمن المذكور قال بلسانه: مَنْ رَأَى عَيَانًا لَا تَحْرِقُهُ النَّارُ وَلَا تَتَعَدَّى عَلَيْهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

ولا يحار العقل في مثل هذا، ومذهب أهل الحقّ أنّ كرمات الأولياء حقّ، فيجوز أن يُظهر الله تعالى على يد مَنْ شاء من الصّالحين من عباده ما شاء من الكرمات، وعلى ذلك جمهور الأشاعرة والماتريدية.

(1) في (ج) و(ع) الصفة.

وأنكرها المعتزلة، وقوله تعالى لأم موسى عليه السلام:
﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾⁽¹⁾ كرامة لها، فيلزمهم إنكار صريح القرآن، وكذلك
إخراج رزق الشتاء في الصيف ورزق الصيف في الشتاء لمريم كرامة
لها، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله.

فيحتمل أن النبي ﷺ أخبره بذلك، ورؤيا الأنبياء حق، ويكون
إخباره بذلك رحمه الله تعالى من باب التحدث بالنعم⁽²⁾.

ويحكي عن الشيخ الإمام سيدي بلقاسم النجاري القسنطيني⁽³⁾
ما يقرب من هذا.

قال صاحب بدء الأمالي⁽⁴⁾:

كَرَامَةُ الْوَلِيِّ بِدَارِ دُنْيَا لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ أَهْلُ النَّوَالِ

والاعتقاد الحسن سلامة، والله يخلق ما يشاء ويختار.

(1) سورة القصص: 7.

(2) نهاية الورقة (15/ظ).

(3) لم أعثر على ترجمته.

(4) بدء الأمالي قصيدة في التوحيد تعرف بالقصيدة اللامية، تشتمل على ستة وستين

بيتاً، نظمها سراج الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن محمد بن سليمان الأوشلي
الفرغاني الحنفي الماتريدي، وفرغ منها سنة 569هـ - 1173م.

له ترجمة في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (367/1)، وتاج التراجم في
طبقات الحنفية (22/2)، وكشف الظنون (1349/2)، والأعلام (310/4).

[التضرع إلى الله من شر العيوب]

قوله:

47 - يَا إِلَهِي مَزْغُوبِي فَكُفِّنِي شَرَّ عُيُوبِي

48 - نَدْخُلُ سَيْرَ الْقُلُوبِ نَبْلُغُ مِثْلَ إِخْوَانِيَا

أي يا إلهي أنت مرادي، لا تتوجّه إرادتي لسواك، فأغنيني عن مؤنة شرّ عيوبي الظاهرة والباطنة وطهرني منها، كي ندخل في زمرة السائرين سير القلوب، ونبلغ مثل إخواني السالكين.

[الجهرباتباع طريقة ابن عبد الرحمن الأزهري]

قوله:

49 - إِذَا سَأَلُوكَ الْأَضْدَادَ أَيْنَ طَرِيقَكَ فِي الْأُورَادَ

50 - قُلْ لَهُمْ بِلَا تَنْكَادَ طَرِيقِي أَزْهَرِيَا

أراد بـ (الأضداد) غير أصحاب الأوراد، يعني الذين لم يتمسّكوا بورد ما، لأنّ الطرق والأوراد وإن تعدّدت فمنبعها واحد، فلا تضادّ بين الأوراد ولا بين الطرق، وكلّهم من رسول الله ملتمس.

وإنّما ضدّ أصحاب الأوراد الذين لا ورد لهم أصلا، فإن سألك أحد منهم فأخبره بالواقع، وقل له بلا عسر ولا اختصار وتقليل في الكلام: إنّ طريقتي طريقة أبي عبد الله الأزهري رحمه الله.

وَرَغْبُهُ وَذَكْرُهُ إِنْ نَفَعْتَ الذَّكْرَى، عَمَلًا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ⁽¹⁾: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ
الشَّمْسُ»⁽²⁾، انتهى.

[طريقة ابن عبد الرحمن طريقة الأسياد أهل التربية]

وأشار بقوله:

51 - أَخَذْتُهَا عَنِ الْأَسْيَادِ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْسَادِ

52 - ذَكَرَهُمْ فَلَا يُعَادُ هُمْ أَهْلُ التَّزْيَا

أَي وَجَّهَ تَرْغِيبَ السَّائِلِ فِي طَرِيقَتِكَ، لِأَنَّهُ رَبَّمَا إِذَا بَيَّنْتَ لَهُ السَّنَدَ
وَأَخْبَرْتَهُ بِاتِّصَالِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ⁽³⁾ مَا يَحْمِلُهُ عَلَى
الْإِنْتِظَامِ فِي سَلَكِهَا، وَالْفُوزِ بِاجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا، وَالتَّنَعُّمِ فِي رِيَاضِ مَعَارِفِهَا،
وَالْوُرُودِ مِنْ مَوَارِدِهَا.

وجملة (هُمْ أَهْلُ التَّزْيَا) فِي مَحَلِّ جَرِّ نَعْتٍ لـ (الْأَسْيَادِ).

و (التَّزْيَا) نَقْلُ الْمُرِيدِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ،
عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ هِمَّتِهِ وَضَعْفِهَا.

[توسل الناظم إلى الله أن يجعله من أهل الحضور ويرزقه وقر الصدور]

قوله:

(1) فِي (ع) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(2) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (62/2) رَقْمٌ:
3009)، وَمُسْلِمٌ (4/1872 رَقْمٌ: 2406).

(3) نِهَايَةُ الْوَرَقَةِ (16/و).

53 - يَا مَنْ بِيَدِكَ الْأُمُورُ اجْعَلْ ذِكْرِي بِالْحُضُورِ

54 - ارْزُقْنِي وَقَرَّ الصُّدُورُ نَدْخُلْ بَحْرَ الصُّوفِيَا

أي يا من جميع الأمور منوطة بقدرتك، اجعل ذكري لك ملتبسا بالحضور والمراقبة، خاليا عن الذّهل والغفلة.

وأراد بذلك رحمة الله تعالى طلب التّرقّي إلى مقام الإحسان، المشار له بقوله عليه الصّلاة والسّلام حين سأله جبريل عليه السّلام ليعلم الصّحابة رضي الله عنهم أمر دينهم عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁽¹⁾، الحديث أخرجه البخاريّ ومسلم. وسأل بقوله: (ارْزُقْنِي وَقَرَّ الصُّدُورُ) الثّبات بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، والحلم والرّزانة، والعلم الصّوريّ بالحقائق العرفانيّة.

ومنه: «التّعلّم في الصّغر كالوقرة في الحجر».

قال ابن الأثير⁽²⁾ في النهاية: «الوقرة النّقرة في الصّخرة، أراد أنّه يثبّت في القلب ثبات هذه النّقرة في الحجر»⁽³⁾.

(1) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (477/2 رقم: 4777)، ومسلم

(39/1 رقم: 9)، وهو غير حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد تفرد به مسلم.

(2) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، له النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، توفي رحمه الله سنة 606هـ - 1210م. له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (488/21 - 492)، وطبقات الشافعية الكبرى (366/8 - 154)، وبغية الوعاة (274/2)، ومعجم الأدباء (2268/5 - 2271).

(3) النهاية في غريب الحديث (213/5)، مادة: وقر.

وقال التفتازاني⁽¹⁾ في المقاصد: «لا خلاف في ثبوت النبوة بخلق العلم الضروري كعلم الصديق رضي الله تعالى عنه»⁽²⁾، انتهى.

وكأنه يشير به إلى قوله ﷺ: «مَا فَضَّلَكُم أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَّ فِي صَدْرِهِ»⁽³⁾، اهـ.

وأراد بـ (بَحْرُ الصُّوفِيَا) بحرَ معارفهم⁽⁴⁾، سقانا الله منه، وفيه استعارة مكنية وتخيل.

(1) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والمنطق والأصليين، من مصنفاته شرح العقائد النسفية، والمقاصد في علم الكلام، وشرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وحاشية علي الكشاف للزمخشري في التفسير، والتهذيب في المنطق، وحقائق التنقيح لصدر الشريعة في الأصول، ولد بتفتازان من بلاد خراسان، وتوفي رحمه الله بسمرقند سنة 791هـ - 1389م. له ترجمة في: الدرر الكامنة (4/350)، وبغية الوعاة (2/285)، وشذرات الذهب (319/6 - 322).

(2) شرح المقاصد في علم الكلام (2/179).

(3) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (1/148) من قول بكر بن عبد الله المزني، وأورده أبو بكر الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (1/41) مرفوعاً من غير أن يسنده، وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/32): «الحديث أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعاً»، وقال الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء (1/327): «ينقله من لا معرفة له مرفوعاً عن النبي ﷺ، بل هو من كلام أبي بكر بن عياش».

(4) نهاية الورقة (16/ظ).

قوله:

55 - مَرَاتِبُ هَذَا الطَّرِيقِ ثَلَاثَةٌ بِالتَّحْقِيقِ

56 - شَرِيعَةٌ وَطَرِيقٌ حَقِيقَةٌ وَهَبَانِيَا

قال في حلّ الرموز ومفاتيح⁽¹⁾ الكنوز⁽²⁾: «اعلم أنّ مراتب السلوك إلى منازل الملوك ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، فالإسلام أول مراتب الدّين لعامة المؤمنين، والإيمان أول⁽³⁾ مدارج القلب لخاصّة المؤمنين، والإحسان أول معارج الرّوح لخاصّة المقرّبين.

وقد فسّر ذلك النّبّي ﷺ في الحديث المشهور المرويّ عن سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى

(1) [أول] ساقط من (ع).

(2) حل الرموز ومفاتيح الكنوز، كتاب في التصوف ومراتب السلوك، للشيخ عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي الشافعي المتوفى رحمه الله سنة 678هـ - 1280م. انظر ترجمته في: الوافي بالوافيات (18/251 - 253)، وشذرات الذهب (5/362)، والأعلام (3/355).

(3) نهاية الورقة (16/ظ).

النَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ:
يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي مَا الْإِسْلَامُ؟

فَقَالَ ﷺ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ
اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،
وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ
يَرَاكَ⁽¹⁾، الحديث، اهـ.

فأول ما تفتح من الكنوز ما في هذا الحديث من الرموز
والمعنى الملعوز، وهو⁽²⁾ أن السائل هو جبريل عليه السلام الفاتح
لهذا الباب والسائل عن هذه الأسباب، وأن المبين في هذا الحديث أن
آداب السلوك في خدمة الملوك هذه الثلاثة هو النبي ﷺ، فالإسلام

(1) رواه مسلم (36/1) رقم: 8).

(2) [ياه، فإنه يراك مع شهوده] ساقط من (ع).

قيام البدن بوظائف الأحكام، والإيمان قيام القلب بوظائف الإسلام، والإحسان قيام الرّوح بمشاهدة المَلِكِ العَلام، ألا تراه يقول: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، فتكون قائماً بوظائف العبوديّة مع شهودك إيّاه، فإنّه يراك، وتكون قائماً بوظائف العبوديّة مع شهوده⁽¹⁾ إيّاك، فأنت في الأوّل مُراد وفي الثّاني مُريد، لأنّه حين أرادك أشهدك إيّاه، وحين أردته كانت الإرادة منك له فبذلك حجبك، فلو كانت الإرادة منه لك ما حجبك، فإنّه لا يُوصل إلى الله تعالى⁽²⁾ إلّا به، ثمّ في الحديث معنى خفيّ لمن له قلب ذكيّ في قوله: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فقوله: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» هذا كلام⁽³⁾ تامّ وشرط تامّ، ومعناه إن لم تكن أنت في البين ولا أثر لك في العين فإنك تراه.

رُوي عن أبي يزيد⁽⁴⁾ أنّه قال: «طلبت في بدايتي ثلاثة أشياء، كنت أظنّ أنّي أحببته وطلبته وذكرته، فرأيت ذكره لي سبق ذكره، وطلبه لي سبق طلبي، وحبّه لي سبق حبّي، فالكلّ به وبفضله».

(1) نهاية الورقة (16/ظ).

(2) [تعالى] ساقط من (ج) و (ط).

(3) في (ج) في هذا الكلام.

(4) هو أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البُسْطَامِي، الإمام الزاهد المشهور، قال فيه الذهبي في ميزان الاعتدال (2/346): «شيخ الصوفية، له نبأ عجيب وحال غريب، وهو من كبار مشايخ الرسالة، وما أحلى قوله: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشريعة؛ وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشك في صحتها عنه، منها: سبحاني، وما في الجبة إلا الله»، توفي رحمه الله سنة 261هـ - 875م. له ترجمة في: حلية الأولياء (10/33 - 42)، وطبقات الصوفية للسلمي (1/67 - 74)، وسير أعلام النبلاء (13/86 - 89)، ووفيات الأعيان (2/531).

[شروط التوبة]

ثم إن أصل الثلاثة وملاكها التوبة، لأن التوبة تجب ما قبلها من الذنوب والخطايا⁽¹⁾ كما أن الإسلام يجب ما قبله.

وصحة التوبة مبنية على ثلاثة شروط:

الأول منها: الندم على ما فات من المخالفات.

الثاني: القيام في الحال على أحسن الحالات.

الثالث: العزم على أن لا يعود إلى أقبح العادات.

فإن أحل بشيء من هذه الثلاثة⁽²⁾ فهو تائب نكاث⁽³⁾.

ثم التوبة على ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وآخرها الأوبة، ووسطها الإنابة، فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب توبة، ومن تاب رجاء المثوبة فهو صاحب إنابة، ومن تاب قياما للعبودية⁽⁴⁾ لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة.

فالتوبة صفة المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) [من الذنوب والخطايا] ساقط من (ج) و (ط).

(2) [الثلاثة] ساقطة من (ج).

(3) نهاية الورقة (17/ظ).

(4) في (ع) للعقوبة.

(5) سورة النور: 31.

وفي هذه الآية إشارة خاصّة وبشارة عامّة، أمّا البشارة العامّة، فإنّه عمّ العصاة والطّائعين كي لا تتمزّق قلوبهم من خوف القطيعة.

وأمّا الإشارة الخاصّة، فهي⁽¹⁾ أمرهم بالتّوبة مع طاعتهم كي لا يعجبوا بطاعتهم فيصير عجبهم حجبهم، فسأوى في ذلك بين الطّائع والعاصي.

والإنابة صفة الأولياء، والأوبة صفة المقرّبين.

[مراتب التّوبة]

ثمّ إنّ التّوبة على ثلاث مراتب:

- توبة العوامّ من الذّنوب.

- وتوبة الخواصّ من الغفلة.

- وتوبة خواصّ الخواصّ من رؤية شيء سوى المحبوب.

فشتّان بين تائب من الزّلات، وبين تائب من الغفلات، وبين تائب من رؤية الحسنات، وهذا معنى قولهم: حسنات الأبرار سيّات المقرّبين.

[معنى الشريعة والحقيقة]

إذا علمت هذا عرفت أنّ الشّريعة إقامة البدن بوظائف العبوديّة، والطّريقة إقامة القلب بحقوق الألوهيّة، والحقيقة مشاهدة الربوبيّة،

(1) [فهي] ساقطة من (ج).

فالشريعة والطريقة مجاهدة، والحقيقة مراقبة ومشاهدة، ولا تباين بينهما، إذ الطريقة إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه والكنز في معدنه، فبدون خض اللبن أو حفر المعدن لا تظفر من اللبن⁽¹⁾ بزبدته ولا من المعدن بثمره.

قال الإمام الشَّعْرَانِيُّ: «أجمعوا على قولهم: حقيقة بلا شريعة باطلة، وشريعة بلا حقيقة عاطلة.

وكل مَنْ رأى بين الحقيقة والشريعة مخالفة فإنما هو لقصوره عن درجة الكمال، فإنَّ الحقيقة غاية مراتب الطريقة والشريعة، ولا تكمل الشريعة إلاَّ بمراعاة الحقيقة، ويظهر لك ذلك في الحكم بالبيتنة، فإنَّه ينفذ حكم الحاكم بها ظاهراً إن جهل حالها، ولو صرَّحت بأنَّها شهدت زوراً لم ينفذ حكمه لا ظاهراً ولا باطناً، وإن كانت صادقة نفذ حكمه ظاهراً وباطناً، نظير الأعمال الخالصة والأعمال التي دخلها الرياء».

قال سيدي إبراهيم المتبولي⁽²⁾: «الشريعة كالشجرة والحقيقة كالثمرة، فلا بدَّ لكلِّ واحدة من الأخرى».

(1) نهاية الورقة (18/و).

(2) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي ثم القاهري، أحد المشهورين بالصلاح، توفي رحمه الله سنة 877 هـ - 1473 م. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (1/85 - 86)، ونظم العقيان (ص: 23)، والأعلام (52/1)، ومعجم المؤلفين (66/1).

وقال سيدي مصطفى البكري في كتاب السير والسلوك:
«الشريعة فعلُ المأمورات وترك المنهيات مطلقاً، والطريقة تتبّع أفعال
النبي ﷺ والعمل بها».

وقال المُنَاوِي⁽¹⁾: «الطريقة السيرة المختصة بالسالك إلى الله
تعالى، مِنْ قطع المنازل والترقي في المقامات.

وقيل: هي عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه المشروعة التي
لا رخصة فيها، والحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه، والشريعة
الالتزام بالزمام العبودية».

وفي تحفة السالكين⁽²⁾: «الشريعة ما جاء به النبي ﷺ، قال عليه
الصلاة والسلام: «أَتَيْتُكُمْ بِشَرِيعَةٍ بَيَضَاءٍ نَقِيَّةٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا نَبِيٌّ قَبْلِي، وَلَوْ

(1) هو زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين
الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء في عصره، له نحو ثمانين مصنفاً،
توفي رحمه الله بالقاهرة سنة 973 هـ . 1622 م.

له ترجمة في: شذرات الذهب (8/372)، وفهرس الفهارس (2/560 . 562)،
والأعلام للزركلي (4/180 . 181)، معجم المؤلفين (10/166).

(2) تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين في التصوف، للشيخ محمد بن
الحسن بن محمد السمنودي الأزهرى الشافعي الخلوتي، الشهير بالمير، تولى
مشيخة الأزهر وكان أول من انتزع المشيخة من يد المالكية، توفي رحمه الله سنة
1199 هـ . 1785 م.

له ترجمة في: فهرس الفهارس (2/572 . 573)، والأعلام للزركلي (6/92)، معجم
المؤلفين (9/211 . 212).

كَانَ أَخِي مُوسَى فِي زَمَانِي وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَسْغَهُمْ إِلَّا اتِّبَاعُ شَرِيعَتِي،
تَمَسَّكَ بِهَا أُولُوا الْأَلْبَابِ فَتَجَوَّا»⁽¹⁾.

[الفرق بين الطريقة والحقيقة والشرعة]

و (الطَّرِيقَةُ)⁽²⁾ قصده تعالى بالعلم والعمل.

وقيل: الأخذ بالتقوى وما يُقَرَّبُكَ إِلَى المولى من قطع المنازل
والمقامات، والحقيقة الوصول إِلَى المقصود ومشاهدة نور التَّجَلِّي.

(1) رواه أحمد (349/23 رقم: 15156)، وابن أبي شيبة (312/5 رقم: 26421)، وابن
عاصم في السنة (27/1 رقم: 50)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (805/2 رقم:
1497)، والبيهقي في شعب الإيمان (347/1 رقم: 175)، والبغوي في شرح السنة
(270/1 رقم: 126)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (173/1): «رواه أحمد
والطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن فيه جابرا الجعفي وهو ضعيف».

والحديث ورد من طرق عدة يقوي بعضها بعضا، ولذا قال ابن حجر في فتح
الباري (525/13) بعد أن أورد طرقه ما نصه: «وهذه جميع طرق هذا الحديث،
وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا»، وكلهم
أورده بغير اللفظ الذي ذكره المصنف، ولفظه كما في مسند أحمد عن جابر بن
عبد الله رضي الله عنه «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ
أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فغَضِبَ وَقَالَ: أُمْتَهُوْكَونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ،
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ
بِحَقٍّ فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا،
مَا وَسَعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

(2) نهاية الورقة (18/ظ).

وقيل: هي أن يشهد بنور أودعه الله تعالى⁽¹⁾ في القلب، إذ كل باطن له ظاهر وعكسه.

ومثّل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر والحقيقة بالمعادن، فمن ركب في السفينة عام في البحر، ومن عام في البحر لا يخلو من اطلاعه على تلك المعادن، فإذا ركب العبد سفينة شريعته واستعمل أنواع مجاهدته وسار بهوى عشقه ورغبته في بحر فيض طريقته اغتنم جواهر حقيقته.

ومثّل بعضهم باللوزة، فالشريعة كالقشر، والطريقة كاللب، والحقيقة كالدهن، فلا وصول إلى اللب إلا بعد مجاوزة القشر، ولا وصول إلى الدهن إلا بعد معاناة اللب على نار المجاهدة ليظهر بها سرّ المشاهدة.

فالشريعة لها حدود، من تعدّاها أقيمت عليه الحدود، والطريقة لها صدق وجدّ معهود، من تعدّاه حرّم عليه الورود، والحقيقة لها باطن مشهود في ظاهر هذا الوجود.

وسئل بعضهم عن حكم الشريعة والطريقة والحقيقة فقال: «إذا أكل الصائم بطل صومه في الشريعة، وإذا اغتاب بطل صومه في الطريقة، وإذا خطر بباله غير الله تعالى بطل صومه في الحقيقة».

[إشارات الحقيقة وأسرارها]

واعلم أنّ الحقيقة مبنية على إشارات وأسرار خفية، وألغاز ورموز عجيبة سنّية، ما يعرفها إلا من سار في طريقته، وكُشِفَ له عن

(1) [تعالى] ساقط من (ج) و (ط).

سرّ حقيقتهم، فإذا فهم تلك الإشارات ورد عليه وارد البشارات، فإذا كتم ما أطلع الله عليه وأخفى ما ظهر من الأسرار لديه، زاده الله تعالى⁽¹⁾ من فضله الوافر وأمدّه بمدده السّافر، ولهذا لما سأل ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما النبيّ ﷺ بقوله: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُحَدِّثُ النَّاسَ بِكُلِّ كَلَامٍ أَسْمَعُهُ مِنْكَ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ، إِلَّا أَنْ تُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ لَا يَبْلُغُ عَقُولَ الْقَوْمِ ذَلِكَ الْحَدِيثَ فَيَكُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»⁽²⁾.

وفي رواية عنه أنّه قال: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيِّنٍ﴾⁽³⁾ عِلْمًا لَوْ قُلْتُهُ لَكَفَرْتُ مُنُونِي»⁽⁴⁾.

وقال سلمان الفارسي⁽⁵⁾ رضي الله تعالى عنه: «لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ لَقُلْتُمْ رَحِمَ اللَّهُ قَاتِلَ سَلْمَانَ»⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (19/و).

(2) رواه عبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا (ص: 86)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (355/38)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (201/3) وقال: «عثمان بن داود مجهول بنقل الحديث، لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به»، وابن الجوزي في العلل المتناهية (122/1) وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ».

(3) سورة الطلاق: 12.

(4) رواه ابن جرير في التفسير (469/23)، ولفظه عنده «لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِتَفْسِيرِهَا لَكَفَرْتُمْ وَكُفْرُكُمْ تَكْذِيبُكُمْ بِهَا».

(5) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله سلمان الفارسي ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، سئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه، توفي رضي الله عنه سنة 36 هـ - 656 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (185/1 - 208)، والإصابة في تمييز الصحابة (141/3)، وسير أعلام النبلاء (505/1 - 558).

(6) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (509/4 رقم: 1757)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (424/21).

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: «أَعْطَانِي خَلِيلِي جِرَائِينَ⁽¹⁾ مِنْ الْعِلْمِ، الْوَاحِدُ بَشَّئُهُ لَكُمْ وَالْآخَرُ لَوْ قُلْتُهُ لَقُطِعَ مِنِّي هَذَا الْحُلُقُومُ»⁽²⁾.

وفي ذلك قيل⁽³⁾:

يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَتْنَا
وَلَا سَتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا
إِنِّي لَا أَكْثُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرُهُ كَيْمَا يَمُرُّ بِذِي جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في هذا المعنى:

سَأَكْثُمُ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَاقِي وَلَا أَتْنُرُ الدَّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الرَّمَمِ
فَإِنْ يَسِرَّ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِمَنْهِ وَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحَكَمِ
جَلَسْتُ مُفِيدًا وَاسْتَعَذْتُ وَدَادَهُمْ وَإِلَّا فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَنَّمُ
وَمَنْ مَنَعَ الْجُهَالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

(1) في (ع) خزائن.

(2) رواه ابن عدي في الكامل (94/1) قريبا من هذا اللفظ، ورواه البخاري في صحيحه (40/1 رقم: 120) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّئُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشَّئُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ».

(3) الأبيات نسبها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (487/12) لأبي عمرو كلثوم بن عمرو العتابي.

ولهذا، السَّالِك إذا غلب عليه الحال وتكلَّم بفيض ما هنالك أنكر عليه الخلَّان ورموه بالزُّور والبهتان، ووجب الكتمان في مثل هذا الشَّان.

وفي ذلك قيل:

إِنَّ فِي الْجَاهِلِينَ عُذْرًا عَظِيمًا لَوْ يَرَوْنَ التَّحْقِيقَ مَا عَرَفُوهُ
وَإِذَا كُنْتَ مُبْصِرًا عِنْدَ عَمَى فَاتَّكُمُ الْحَقُّ حَيْثُ لَمْ يَعْرِفُوهُ⁽¹⁾

تتمة [في الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة].

وفي الاقتباسات الإلهية: «قال النبي ﷺ: «الشَّريعةُ مَقَالِي، وَالطَّرِيقَةُ أَفْعَالِي، وَالْحَقِيقَةُ حَالِي»⁽²⁾.

وقلت: الشريعة بداية، والطريقة توسط، والحقيقة غاية.

والشريعة اجتهاد، والطريقة انقياد، والحقيقة اعتماد.

والشريعة عبادة، والطريقة زيادة، والحقيقة سيادة.

والشريعة ظاهرة، والطريقة باطنة، والحقيقة شاهدة.

(1) نهاية الورقة (19/ظ).

(2) لا أصل لهذا الحديث، ولا وجود له في المصنفات الحديثية، والمصطلحات الواردة فيه متأخرة لم تكن متداولة عند النبي ﷺ ولا في الجيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم.

وقال العجلوني في كشف الخفاء (5/2): «لم أر من ذكره فضلاً عن بيان حاله، نعم ذكره بعضهم أنه رآه في كتب بعض الصوفية فليراجع».

والشريعة تبين، والطريقة تعيين، والحقيقة تمكين.

والشريعة أصل، والطريقة فرع، والحقيقة ثمرة.

والشريعة إسلام، والطريقة إيمان، والحقيقة إحسان.

والشريعة امتثال، والطريقة أفعال، والحقيقة اتكال، انتهى.

وأشار بقوله: (وَهَبَانِيَا) إلى أنّ هذه الحقائق الثلاثة مَنَحٌ من الله تعالى ومواهب ربّانية، يهبها لِمَن يشاء من عبّاده⁽¹⁾ على مقتضى ما سبق في علمه جلّ وعلا.

[أول الطريق معرفة الله تعالى]

قوله:

57 - أَوَّلُهَا تَعْلِيمًا وَوَسْطُهَا خِدْمًا

58 - وَآخِرُهَا كَرَامًا مِنْ اللَّهِ عِنَايَا

يعني أنّ أوّل شيء يلزم مريد الطريق معرفة الله تعالى، وذلك بأن يعرف ما يجب في حقّ مولانا عزّ وجلّ وما يستحيل وما يجوز، وكذا يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حقّ الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، ثمّ يتعلّم ما لا بدّ له منه ولا غنى في كلّ حال عنه، مقتصرًا منه على القدر الكافي فقط.

(1) في (ع) عباده.

والعلم بذلك يحصل من طريقين: أحدهما التَّعَلُّمُ التَّفْسَانِيّ،
والثاني التَّعَلُّمُ الرَّبَّانِيّ.
وللأوّل طريقان:

أحدهما: من خارج، وهو التَّحْصِيلُ بالتَّعَلُّمِ⁽¹⁾ والأخذ والتَّلَقِّي
عن العلماء والمشايخ العارفين أصحاب النفوس الزَّكِيَّة.

والآخر: من داخل، وهو الاشتغال بالتَّفَكُّر والتَّدَبُّر بالباطن في
المُلْك والملكوت⁽²⁾ وغيرهما، فإنَّ التَّعَلُّمَ استفادة النَّفْس عن الشَّخص
الجزئيّ في النَّوع الأوّل، وعن التَّفَكُّر والتَّدَبُّر باستفادة النَّفْس من
النَّفْس الكلّيّ في النَّوع الثاني، وهو أشدّ تأثيراً وأقوى تعلّماً من جميع
العلماء والعقلاء، فإذا غلب نور القلب على أوصاف الحسّ استغنى
الطَّالِب بقليل التَّفَكُّر عن كثرة التَّعَلُّم، فإنَّ النَّفْس القابلة تجد من
الفوائد بتفكّر ساعة ما لا تجد النَّفْس الجاهلة بتعلّم سنة، وإذا غلبت
القوى البدنيّة احتاجت النَّفْس إلى زيادة التَّعَلُّم بطول المدة وتحمل
المشقة والتَّعب.

والثاني: هو التَّعَلُّم الرَّبَّانِيّ، طريقان أيضاً:

الأوّل: إلقاء⁽³⁾ الوحي، وهو خاصّ بالأنبياء والرّسل عليهم
الصّلاة والسّلام.

(1) في (ج) بالعلم.

(2) نهاية الورقة (20/و).

(3) [إلقاء] ساقط من (ع).

والثاني: الإلهام، وهو تنبيه النفس الجزئي الإنساني على قدر قبوله وصفائه واستعداداته.

والعلم الحاصل من الوحي يُسمّى علماً نَبَوِيًّا، والذي يحصل من الإلهام يُسمّى علماً لَدُنِيًّا، فالوحي حلية الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وقد انقطع بوفاته ﷺ، والإلهام زينة الأولياء ولا ينقطع إلى يوم الدّين، وأهله الطائفة التي أخبر بها ﷺ بقوله: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»⁽¹⁾.

[وسط الطريق العمل الصالح]

ولترتّب العمل على العلم أشار بقوله: (وَوَسَّطَهَا خِدْمًا)، وأراد بالخدمة العمل الصّالح الذي هو ثمرة العلم، لأنّ العلم بدون عمل كالشجرة بدون ثمر، ولأنّ هذا الطّريق طريق جدّ واجتهاد، فمن جدّ واجتهد نال ما تمناه، ومن تواني وأهمّل العمل فهو مقطوع، فما اشتار⁽²⁾ العسل من اختار⁽³⁾ الكسل، ومن كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة.

(1) ورد هذا الحديث عن عدة صحابة رضي الله عنهم وبعده ألفاظ، منها ما رواه الشيخان البخاري (431/3 رقم: 7311)، ومسلم (1523/3 رقم: 1921) المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»

وروى مسلم (1523/3 رقم: 1920) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

(2) اشتار: جنى.

(3) نهاية الورقة (20/ظ).

[حفظ الأعضاء من فعل المناهي]

ولا تتحقق الخدمة إلا بحفظ أعضائك السبعة، لأن الطريق الموصل إلى مرضاة الله تعالى شطران، أحدهما ترك المناهي والآخر فعل الطاعات.

وترك المناهي هو الأشدّ، فالطاعة يقدر عليها كل أحد، وترك المناهي لا يقوم بها إلا الكاملون، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ⁽¹⁾ الشَّوْءَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ»⁽²⁾.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فَلَا تَعْصِهِ»⁽³⁾.

(1) في النسخ من هاجر بالمد، وما أثبتناه بدون مد هو الصحيح كما ورد في كتب الرواية.

(2) قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/1410): «أخرجه ابن ماجه بالشرط الأول، والنسائي في الكبرى بالشرط الثاني، كلاهما من حديث فضالة بن عبيد الله بإسنادين جيدين».

أما الشرط الأول فرواه أحمد (39/381 رقم: 23958)، وابن ماجه (2/1298 رقم: 3934)، وابن حبان (11/203 رقم: 4862) عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ»

وأما الشرط الثاني فرواه أحمد (39/374 رقم: 23951)، والترمذي (4/165 رقم: 1621)، والنسائي في الكبرى (10/386 رقم: 11794)، وابن حبان (10/484 رقم: 4624)، كلهم عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(3) لا وجود لهذا الحديث في كتب الحديث، وأحسن منه ما رواه أحمد (13/458 رقم: 8095)، والترمذي (4/551 رقم: 2305) بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ».

ومن القواعد الشرعية «دَرْءُ المَفسَدِ أُولَى مِنْ جَلْبِ المَصلَحِ».

[شهود الأعضاء يوم القيامة على صاحبها]

وجميع أعضاء المكلف تشهد عليه في عرصات القيامة بلسان طليق، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) (١).

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥) (٢).

[حفظ الأعضاء أمان من النار]

فَمَنْ حفظ أعضاء السبعة من الوقوع في المناهي سدّ الله تعالى عليه أبواب جهنم السبعة، وَمَنْ أهملها لا يبالي الله تعالى به أن يدخله من أيّ باب شاء، فَإِنَّ جهنم لها سبعة أبواب، لكلّ باب جزء مقسوم، ولا يتعيّن لتلك الأبواب إلّا مَنْ عصى الله تعالى بهذه الأعضاء، وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل.

أما العين فإنّما خلقت لك لتَهْتَدِي بها في الظلمات، وتستعين بها في المباحات والطاعات، وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسموات، وتعتبر بما فيها من الآيات، فاحفظها عن ثلاث، أن تنظر

(١) سورة النور: ٢٤.

(٢) سورة يس: ٦٥.

بها إلى غير مَحْرَم، أو إلى صورة حسنة بشهوة⁽¹⁾، أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار، أو تطلع بها على عيب مسلم.

وأما الأذن فاحفظها أن تُصغي بها إلى بدعة أو غيبة أو فحش أو خوض في الباطل وذكر مساوئ الناس، لأنها ما خُلِقَتْ لك لذلك بل لتسمع بها كلام الله تعالى أو سُنَّة رسوله⁽²⁾ ﷺ أو حكمة أوليائه، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى النعيم الدائم، وإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره انقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك⁽³⁾.

ولا تظنَّ أنَّ الإثم يختصَّ به القائل دون المستمع، ففي الخبر «أَنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ»⁽⁴⁾.

و «أَنَّ الْمُسْتَمَعَ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ»⁽⁵⁾.

(1) نهاية الورقة (21/و).

(2) في (ع) رسول الله.

(3) مكان [هلاكك] بياض في (ع).

(4) ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (1/235) بلفظ: «الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ»، ولم يخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/278)، واكتفى بقوله: «غريب»، وذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما الآتي بعده، وذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (6/299) ضمن الأحاديث الواردة في كتاب الإحياء ولم يجد لها إسنادا.

(5) أشار بذلك إلى ما رواه الطبراني في الكبير (13/332 رقم: 14138) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْغِيَةِ، وَعَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيَةِ»، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/278)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/91): «فيه فرات بن السائب وهو متروك».

وَأَمَّا اللِّسَانُ فَإِنَّمَا خُلِقَ لَتَكْثُرَ بِهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةُ كِتَابِهِ وَتَصْلِي بِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَتُرْشِدَ بِهِ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى طَرِيقِهِ، وَتُظْهَرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ فَقَدْ كَفَرْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ⁽¹⁾ بِهِ.

قَالَ ﷺ: «لَا يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا فَيَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»⁽²⁾.

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ الْكَذِبِ وَالْغِيَةِ وَخَلْفِ الْوَعْدِ وَالْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَمُنَاقَشَةِ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَاللَّعْنِ⁽³⁾ وَالِدَّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَزَاحِ وَالسَّخِرَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالنَّاسِ.

(1) [عليك] ساقط من (ع).

(2) كذا أورده المصنف، وهو قد أدمج فيه حديثين في حديث واحد، الأول رواه أحمد (344/36 رقم: 22016)، والترمذي (11/5 رقم: 2616) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (10/214 رقم: 11330)، جميعهم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». والحديث الثاني متفق عليه، رواه البخاري (3/242 رقم: 6478)، ومسلم (4/2290 رقم: 2988) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». واللفظ الذي أورده المصنف لأحمد وأصحاب السنن.

(3) [واللعن] ساقط من (ع).

وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة، واحرص على طلب الحلال، فإن حَصَلَتْهُ فاحرص على أن تقصر على ما دون الشَّبَعِ، فإنَّ الشَّبَعِ يُفْسِدُ القلب⁽¹⁾ ويفسد الذَّهْنَ ويبطل الحفظ ويثقل الأعضاء عن العبادة ويقوِّي الشهوات.

وأما الفرج فاحفظه عن كلِّ ما حَرَّمَ الله تعالى، وكن كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية⁽²⁾، ولن تصل إلى ذلك إلا بحفظ العين عن النَّظر والقلب عن الفكر والبطن عن الشَّبَعِ.

وأما اليَدَانِ فاحفظهما عن أن تتناول بهما حراما بلمس أو ضَرْب، أو أخذ مالٍ غير مباح، أو تخون بهما أمانة، أو تكتب بهما ما لا يجوز، ولذلك قيل⁽³⁾:

وَلَا تَكْتُبْ يَمِينَكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

وأما الرِّجْلَانِ فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى حرام، أو تسعى بهما فيما لا يحبّه الله تعالى ولا يرضاه، واستعملهما في طاعة الله تعالى.

(1) نهاية الورقة (21/ظ).

(2) سورة المؤمنون: 5 . 6.

(3) نسب ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (112/1) هذا البيت للرِّيَاشِيِّ، بينما ذكره القشيري في الرسالة (564/2) بقوله: «وقيل: رَوَى الجاحظ فِي المنام فقل لَهُ مَا فعل الله بك؟ فَقَالَ»، وذكر البيت.

وبالجملة، فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من الله تعالى عليك، فلا تحرّك شيئاً منها في معصية الله تعالى أصلاً، واستعمالها في طاعة الله تعالى هو المراد بالخدمة في قوله رحمه الله تعالى: (وَوَسَّطُهَا خِدْمًا)، فإن يسرك الله لاستعمال جوارحك فيما خلقت له، وأدركتك عنايته تعالى، واقتديت بأولي الحزم والصالحين، وعلمت أنك لا تحصد ما لم تزرع، أكرمك الله حينئذ بالأسرار والعجائب التي لا تدخل تحت حصر في الدنيا، وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في الآخرة، وذلك معنى قوله رحمه الله تعالى: (آخِزْهَا كَرَامًا مِنَ اللَّهِ عِنَايَا)، ف (آخِزْهَا كَرَامَةً) جملة من مبتدأ وخبر.

وقوله: (عِنَايَةً) معطوف على (كَرَامَةً) بإسقاط العاطف، والجارّ والمجرور يطلبه كلّ من المعطوف والمعطوف عليه، و ألف⁽¹⁾ (عِنَايَا) و (كَرَامًا) مبدلة من التاء كآلف (خِدْمًا).

تنبيه.

ما ذكره المصنّف رحمه الله تعالى هو معنى قول أبي العباس ابن البناء رحمه الله تعالى⁽²⁾:

(1) نهاية الورقة (22/و).

(2) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي المراكشي، يعرف بابن البناء، كان فاضلاً عاقلاً نبياً من أئمة العلم، توفي رحمه الله سنة 721 هـ - 1321 م. له ترجمة في: الدرر الكامنة (1/330)، والبدر الطالع (1/108)، وكفاية المحتاج (ص: 38 . 40)

إِذِ الطَّرِيقُ الْعِلْمُ ثُمَّ الْعَمَلُ ثُمَّ هَيَاتُ بَعْدَهَا تُؤْمَلُ

مريدا بذلك أنّ مراتب السلوك ثلاثة كما قال الشيخ رحمه الله تعالى، الأوّل إحكام العلم، الثّاني إتقان العمل، الثّالث فتوح الغيب، فمَن قدّم واحدا على الآخر فقد أحلّ بحقيقة طلبه ومطلبه⁽¹⁾، وقُلّ أن يجيء منه شيء في الطّريق إلّا بعد جهد جهيد.

(1) في (ع) مطلوبه.

[كيفية التلقين]

قوله:

- 59 - وَإِنْ تُرِدِ التَّلْقِينَ أَمْسِكْ إِنْهَامَ الْيَمِينِ
60 - غَمَضْ لَكَ الْعَيْنَيْنِ وَقُلْ لَهُ اسْمَعْ لِيَا
61 - تَنْطِقْ أَنْتَ بِالتَّوْحِيدِ ثَلَاثَةً لِلْمُرِيدِ
62 - يَنْطِقْ هُوَ بِالْمُفِيدِ مِثْلَ مَا قُلْتَ أَنْتَ يَا

(التَّلْقِينُ) مصدر لقن المضعف، تقدّم معناه لغة؛ ويُطلق في عرف القوم على الكيفية التي يَبَيِّنُهَا الْمُصَيِّفُ رحمه الله تعالى هنا.

قال في تحفة السّالّكين: «والأصل في التلقين ما رواه الطبراني⁽¹⁾ والبخاري⁽²⁾ وغيرهما أنّ النّبي ﷺ لقّن أصحابه كلمة لا إله إلاّ الله

(1) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني نسبة إلى طبرية، الإمام المحدث حافظ عصره، رحل في البلاد، سمع من نحو ألف شيخ أو يزيدون منهم أبو زرعة الدمشقي وأبو عبد الرحمن النسائي، وحدث عنه أبو خلفه الجمحي وابن عقدة وهما من شيوخه، وابن منده وخلق كثير، وهو صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، توفي رحمه الله سنة 360 هـ - 970 م.

انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (1/311)، تذكرة الحفاظ للذهبي (3/912)، طبقات الحنابلة لأبي يعلى (2/49)

(2) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار، الإمام الحافظ الفقيه، صنّف شرح موطأ مالك والمسند الكبير، ولد سنة 210 هـ - 825 م، وتوفي رحمه الله بالرملة سنة 292 هـ - 905 م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (4/334 - 335)، وسير أعلام النبلاء (13/554 - 557)، والوافي بالوفيات (7/268).

جماعة وفرادى، بعد أن سبق تكرارها منهم منذ أسلموا إلى ذلك الوقت.

فأما تلقينه ﷺ أصحابه جماعة، فقد قال شداد بن أوس⁽¹⁾ رضي الله عنه⁽²⁾: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ يَعْني مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، قُلْنَا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَمَرَ ﷺ بِغَلْقِ الْبَابِ، فَقَالَ: ارْزَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَلَا أَبْشَرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»⁽³⁾.

وأما تلقينه ﷺ أصحابه فرادى، فما روي عن علي بن أبي طالب⁽⁴⁾ رضي الله تعالى عنه أنه قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا

(1) هو الصحابي الجليل أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، كان كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم»، نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها رضي الله عنه سنة 58هـ - 677م، وهو ابن خمس وسبعين سنة.
له ترجمة في: الاستيعاب (2/694)، وأسد الغابة (2/355)، وسير أعلام النبلاء (2/460 - 467).

(2) في (ع) رضي الله تعالى عنه.

(3) رواه أحمد (28/348 رقم: 17121)، والحاكم (1/679 رقم: 1844)، والبزار (7/156 رقم: 2717)، الطبراني في الكبير (9/289 رقم: 7163)، وفي مسند الشاميين (2/158 رقم: 1104)، والدولابي في الكنى (1/286 رقم: 500)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (2/268)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/19): «رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثقون»، وقال في موضع آخر (10/81): «رواه أحمد، وفيه راشد بن داود وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

(4) نهاية الورقة (22/ظ).

رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى أَقْرَبِ الطُّرُقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ⁽¹⁾ وَأَسْهَلَهَا عَلَى عِبَادِهِ وَأَفْضَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَالَ ﷺ: يَا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرًّا وَجَهْرًا.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ النَّاسِ ذَاكِرُونَ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تَخْصِنِي بِشَيْءٍ.

فَقَالَ ﷺ: مَهْ يَا عَلِيُّ، أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ لَرَجَحَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا عَلِيُّ، لَا تَقُومُ السَّاعَةَ وَعَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ.

وفي رواية: «مَنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ أَذْكُرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: غَمَضُ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَا أَسْمَعُ، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ وَمَدَّ صَوْتَهُ وَهُوَ مُغْمَضُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَعَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ يَسْمَعُ، ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَمَدَّ صَوْتَهُ وَهُوَ مُغْمَضُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ⁽²⁾، انتهى.

(1) في (ع) تعالى.

(2) أورده ابن عقيلة في الفوائد الجلية (86/1) في الحديث التاسع المسلسل بتلقين كلمة لا إله إلا الله، وذكر سنده فيه.

هذا أصل سند القوم في التلقين.

وفي عنوان أهل السر المصون عن عبادة بن الصّامت⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه مثله، وزاد أنّ النبي ﷺ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَالَ عَقِبَ الْفَرَاغِ مِنَ التَّلْقِينِ: أَلَا أَبْشُرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»⁽²⁾.

(1) هو الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصّامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات، وكان يعلم أهل الصفة القرآن، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلم الناس القرآن بالشام ويفقههم في الدين، وتوفي رضي الله عنه بالرملة سنة 34 هـ - 654 م.

له ترجمة في: الاستيعاب (2/ 807 - 809)، وأسد الغابة (3/ 56 - 57)، وسير أعلام النبلاء (2/ 11 - 5).

(2) سبق الحديث، وهو نفسه حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، ولفظه كما في مسند أحمد عن يعلى بن شداد قال: «حَدَّثَنِي أَبِي شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ يَغْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ، فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: ازْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَبْشُرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ».

تنبيه⁽¹⁾.

التلقين على ضربين، مجرّد ومركّب، فالمجرّد هو الكيفيّة التي صرّح بها الحديث المتقدّم ذكره، والمركّب هو الذي أشار له الشيخ، وسُمّي مركّباً لاشتماله على التلقين والعهد المشار له بقوله: (أَمْسِكْ إِنْهَامَ الْيَمِينِ).

و (العهد): لغة التزام الشيء ليوقي به في المستقبل، حقّاً كان أو باطلاً، ومنه قولهم: تعاهدتُ بنو فلان على كذا.

وشرعاً: التزام قرابة دينيّة، كالتزام الأنصار حماية النّبّي ﷺ بما يحمون به أنفسهم وأهلهم.

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾⁽²⁾.

فالمريد يبايع شيخه ويعاهده عند الدّخول في الطريق على تحقيق التوبة والتزام التقرب إلى الله تعالى بالذكر الذي يلقيه له شيخه، ﴿فَمَنْ تَكَثَّرَ فَإِنَّمَا يَنْكُرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾ بلا ريب.

(1) نهاية الورقة (23/و).

(2) سورة الفتح: 10.

(3) سورة الفتح: 10.

وَلِتَقْدُمَ مَبَايِعَةُ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، اِكْتَفَى مِنْهُمْ ﷺ عِنْدَ التَّلْقِينِ
بَتَغْمِيزِ الْعَيْنَيْنِ وَمَدَّ الصَّوْتِ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كَمَا مَرَّ.

وَالْكِفِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمَصَنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ هِيَ الْمَرْوِيَّةُ عَنْ مَشَايِخِ
الطَّرِيقَةِ حَسْبَمَا صَرَّحَ بِهِ شَيْخُ الْإِسْلَامَ ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

[صورة التلقين]

وصورتها أن يضع الشيخ باطن يده اليمنى فوق باطن يد المريد
اليمنى، ماسكا إبهام المريد اليمنى، بعد طهارة كل منهما وجلسهما
كجلوس المصلّي.

ويذكر الشيخ إن أراد للمريد آداب التوبة وسببها، وَيَسْكُنُ الشَّيْخُ
خَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي إِقْبَالِهِ، وَيُعَرِّفُ الْمُرِيدَ بِأَنَّهُ ⁽²⁾ هُوَ وَإِيَّاهُ مُشْتَرِكَانِ فِي
التَّوْبَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمَا بِالتَّوْبَةِ جَمِيعًا فَقَالَ تَعَالَى ⁽³⁾: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ⁽⁴⁾، فَيَدْخُلُ الشَّيْخُ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿جَمِيعًا﴾، وَيَرَى أَنَّهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْمُرِيدِ التَّائِبِ.
وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوْبَةِ ثُمَّ يَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾
الآيَةَ ⁽⁵⁾.

(1) أي الشيخ مصطفى البكري.

(2) [بأنه] ساقط من (ع).

(3) نهاية الورقة (23/ظ).

(4) سورة النور: 31.

(5) سورة التحريم: 8.

أَوْ ﴿إِنَّ الذِّبْتَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ الآية (1).

أَوْ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ الآية (2).

ثم يرفع صوته بالاستعاذة والبسملة، ثم يستغفر فيقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، وأسأله التوبة والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، والمريد يقول كذلك.

ثم يغمض عينيه ويقول للمريد: اسمع مني الذكر ثلاث مرّات، وقل أنت بعدي ثلاث مرّات وأنت مغمض عينيك وأنا أسمع منك.

ثم يطلب المدد من شيخه وأهل السلسلة والنبي ﷺ، ويلقنه على الكيفية المتقدمة في حديث التلقين، اهـ.

تتمة [في تلقين النساء].

ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى مخصوص بتلقين الرجال، وأمّا تلقين النساء فعلى كيفية مبايعته ﷺ النساء.

رُوي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: «لَمْ يُصَافِحْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً قَطُّ، وَإِنَّمَا كَانَ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلامِ» (3).

(1) سورة الفتح: 10.

(2) سورة النحل: 91.

(3) الحديث متفق عليه، رواه البخاري (510/2 رقم: 4891)، ومسلم (1489/3 رقم: 1866)، ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلامِ»، واللفظ الذي أورده المصنف رواه ابن حبان في صحيحه (393/12 رقم: 5580).

وعن الشَّعْبِيِّ⁽¹⁾: «بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ وَعَلَى يَدِهِ ثَوْبٌ»⁽²⁾.

وقيل: «إِنَّهُ غَمَسَ يَدَهُ فِي إِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَأَمْرَهُنَّ بَغَمَسَ أَيْدِيَهُنَّ فِيهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ»⁽³⁾، اهـ.

إذا علمت ذلك عرفت أنَّ صورة تلقين النِّسَاءِ الأجنبيَّاتِ هو أنَّ يَضَعَ المَاءَ فِي إِنَاءٍ وَيَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى فِيهِ، ثُمَّ يَتَعَوَّذُ وَيَسْمَلُ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَذْكُرُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَهُ⁽⁴⁾ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ وَيَقُولُ لَهُنَّ: لَتَضَعِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ يَدَهَا فِي هَذَا الْمَاءِ وَتَتَعَوَّذُ وَتَسْمَلُ وَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى.

وإن تعددن قلن: تبنا لله ولرسوله، اللَّهُمَّ اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي، مرّة، ثُمَّ يَغْضُضُنَّ أَبْصَارَهُنَّ وَيَقْلُنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثًا، ثُمَّ يَرْفَعُنَّ أَيْدِيَهُنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ.

وإن كانت واحدة قالت: تبْتُ لله ولرسوله، اللَّهُمَّ اغفر لي إلخ.

(1) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الكوفي من أعلام التابعين، روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وجريير وغيرهم، قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، توفي رحمه الله سنة 104هـ. 722م، وقبل: سنة 107هـ. 725م.

له ترجمة في: الجرح والتعديل (6/ 322 - 324)، وحلية الأولياء (4/ 310 - 338)، وطبقات الشيرازي (ص: 81)، وسير أعلام النبلاء (4/ 294 - 319).

(2) رواه ابن عبد البر في التمهيد (12/ 243)، ونسبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (8/ 637) إلى يحيى بن سلام في تفسيره.

(3) انظر السيرة الحلبية (3/ 139).

(4) نهاية الورقة (24/ و).

ثم بعد ذلك يأتي بالأدعية الثلاثة المأثورة، كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى بعد.

[فوائد التلقين]

ومن فوائد التلقين، ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى النبي ﷺ، الوسيلة الكبرى والواسطة العظمى.

وإن ذكر الشيخ للمريد نسبهُ الرّوحانيّ كان حسناً، لئلاّ يجهل أباؤه، إذ كلّ مَنْ لا يعرف سند الطّريق وسلسلة القوم فهو لقيط في الطّريق.

وفائدة معرفتهم الاقتداء بهم في الأخلاق الشّرعيّة، ولذلك يشير الإمام ابن الفارض⁽¹⁾ رحمه الله تعالى⁽²⁾ بقوله: «نَسَبُ أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الْهَوَى»، وذلك لأنّ الرّوح ألصق شيء بك، فأبو الرّوح يليك وأبو الجسم بعده، اهـ.

والياء من قوله: (أَنْتَ يَا) للنّداء، والمنادى محذوف، والتّقدير أنت يا مُلَقِّنٌ.

(1) هو أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، كان أشعر المتصوفين، ولقب بسلطان المحبين والعشاق، توفي رحمه الله سنة 632 هـ - 1235 م.

له ترجمة في: وفيات الأعيان (3/454 - 456)، وسير أعلام النبلاء (22/368)، وشذرات الذهب (5/149 - 153).

(2) [رحمه الله تعالى] ساقط من (ط).

[الاجتهاد في الذكر بعد التلقين]

وأشار بقوله:

63 - بَعْدَ أَخْذِكَ لِلْعَاهِدِ كَثُرَ ذِكْرُكَ وَاجْتَهَدِ

64 - وَادْكُرْ وَلَوْ بِلَا عَدَدٍ تَرْجِعُ نَفْسَكَ زَكِيًّا

إلى أنّ المرید يتعیّن علیه بعد العهد والتلقين الإكثار من الذكر الذي لقّنه الشيخ، امثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) (١).

وعملاً بقوله تعالى: ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ﴾ (٢).

مع الجّد في طاعة الله تعالى والاجتهاد، فما اشتهر العسل من اختار الكسل.

وقد أثنى الله تعالى على الذاكرين فقال تعالى (٣): ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (٤)، فالمطلوب الإكثار من الأذكار أثناء الليل وأطراف النهار، بعدد معيّن أو بغير عدد معيّن، فإنّ ذلك من أعظم الأسباب التي يتوصّل بها إلى تزكية النفس وتطهيرها من عيوبها كما

(1) سورة الأحزاب: 41.

(2) سورة الأحزاب: 35.

(3) نهاية الورقة (24/ظ).

(4) سورة آل عمران: 91.

صرّح به المصنّف، وذلك لأنّ التلقين كالبذرة تغرس لتنبّت فروعها بعد ثبوت أصلها في قلب الذّاكر، فبقدر الهمة والاستعداد تحصل التزكية والإمداد، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (١).

[إجابة أرواح الأولياء للمريد الذّاكر]

قوله:

65 - تُجِيئُكَ الْحَقَائِقُ أَهْلَ السَّنَدِ الْفَائِقُ

66 - أَهْلًا بِكَ يَا شَائِقُ لَسْتُ مِنَ الْأَشْقِيَا

يعني أنّ المريد إذا انتظم في سلك الطّريق وعرف سلسلة القوم، كان مهما حرّك حلقة نفسه (٢) أجابته أرواح الأولياء من شيخه إلى حضرة الرّسول ﷺ، ومن لم يدخل طريقتهم بالتلقين فهو غير معدود منهم، وإذا تعلّقت همّته بأمر لا يجيبه أحد من أهل السّند الفائق في الكمال الرّوحانيّ.

وقوله: (أَهْلًا)، أي أتيت قوما أهلا (٣)، فابسط نفسك لطاعة ربّك، واستأنس ولا تستوحش، لأنّ المراد من الذّكر تحقيق الأنس بالحقّ (٤) والوحشة من الخلق.

(1) سورة الشمس: 9.

(2) في (ع) حلقة قلبه بل نفسه.

(3) [أهلا] ساقط من (ع).

(4) [بالحق] ساقط من (ع).

و (شائق) اسم فاعل من الشَّقَّ، وهو نزع النَّفس إلى الشَّيء،
وفعله⁽¹⁾ شَاقَّ من باب قال.

وقوله: (لَسْتُ مِنَ الْأَشْقِيَا)، من تَمَّة كلام أهل السند.

وأشار بقوله:

67 - أَوَّلُ كَلِمَةٍ بِالتَّوْحِيدِ يُخْلَقُ طَيْرُكَ يَا مُرِيدَ

68 - يَضَعُدُ لِعَرْشِ الْمَجِيدِ يَسْتَغْفِرُ لَكَ مَوْلَايَا

إلى الحديث المروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَخْرَجَ
اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ مَلَكًا مِثْلَ الطَّيْرِ الْأَخْضَرِ لَهُ جَنَاحَانِ لَوْ نَشَرَهُمَا لَجَاوَزَ⁽²⁾
بِهِمَا الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَهُوَ مِنْ زَبْزَدَةِ خَضِرَاءَ، فَيَزْتَفِعُ حَتَّى يَنْتَهِيَ
إِلَى الْعَرْشِ، وَلَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ بِالتَّنْسِيحِ وَالتَّقْدِيسِ.
فَتَقُولُ لَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ: أَسْكُنْ.

فَيَقُولُ: وَعِزَّةَ رَبِّي لَا أَسْكُنُ حَتَّى يُغْفَرَ لِقَائِلِهَا، فَإِذَا الْبَدَاءُ مِنَ
الْعَلِيِّ الْأَعْلَى: قَدْ غَفَرْتُ لِقَائِلِهَا.

وَيُعْطِي اللَّهُ لِدَلِكِ الْمَلِكِ سَبْعِينَ أَلْفَ لِسَانٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِهَا
لِقَائِلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمَغْلُومُ أَخَذَ الْمَلِكُ بِيَدِ

(1) [وفعله] ساقط من (ع).

(2) نهاية الورقة (25/و).

صَاحِبِهِ فَيَجَاوِزُ بِهِ الصِّرَاطَ حَتَّى يَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽¹⁾، اه من روضة المريدين ونزهة السامعين.

وفي رواية: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، خَلَقَ اللَّهُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ طَائِرًا أَخْضَرَ لَهُ جَنَاحَانِ أْبْيَضَانِ مُكَلَّلَانِ بِالذُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، فَيَطِيرُ بِهِمَا إِلَى تَحْتِ الْعَرْشِ، فَيَسْمَعُ لَهُ دَوِيَّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَيَقُولُ لَهُ الْجَلِيلُ جَلُّ جَلَالِهِ: أَسْكُتْ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَسْكُتُ⁽²⁾ حَتَّى تَغْفِرَ لِقَائِلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَشْهَدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي وَأَنَا أَكْبَرُ الشَّاهِدِينَ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِقَائِلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الْعَظِيمَةِ.

(1) هذا الحديث لا أصل له ولا وجود له في كتب الحديث، ولا يشبه حديث الأثبات، ومن تأمل أحاديث النبي ﷺ تبين له نكارتها، وقد قال العجلوني في كشف الخفاء (509/2): «ومن الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ حديث: «من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من كل كلمة طائراً له سبعون ألف لسان، في كل لسان سبعون ألف لغة، يستغفرون الله تعالى له».

وأشار إليه الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (425/1) وقال: «وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين: إما أن يكون في غاية الجهل والحمق، وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص بالرسول ﷺ بإضافة مثل هذه الكلمات إليه».

(2) لو لم يكن في بطلان هذا الحديث إلا هذه العبارة لكانت كافية في رده، كيف يعترض المَلَكُ المطيع على أمر المَلِكِ القهار، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، ويقول: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: 41]

وَيَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى لِدَٰلِكَ الطَّائِرِ سَبْعِينَ أَلْفَ عُنُقٍ، فِي كُلِّ عُنُقٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَأْسٍ، فِي كُلِّ رَأْسٍ سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهٍ، فِي كُلِّ وَجْهٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فَمٍ، فِي كُلِّ فَمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ، وَكُلُّ لِسَانٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَقْدِّسُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾، اهـ من شرح نتيجة الإلهام في وصف دار السلام.

وأخرج الدَّيْلَمِيُّ⁽²⁾ بسند يُعْمَلُ به عن أنس بن مالك⁽³⁾ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ⁽⁴⁾ الْمُسْلِمُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَرَقَتِ السَّمَاوَاتِ حَتَّى تَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ:

(1) ما قيل في سابقه يقال فيه.

(2) هو أبو شجاع شَيْرَوَيْه بنُ شَهْرَدَارَ بنِ شَيْرَوَيْه بنِ فَنَّاخُسْرَه بنِ خُسْرَكَانَ، الدَّيْلَمِيُّ الْهَمْدَانِيُّ، الإمام المحدث العالم الحافظ المؤرخ، صاحب كتاب الفردوس بمأثور الخطاب وتاريخ همدان، توفي رحمه الله سنة 558هـ - 1163م.
له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (19/ 294 - 295)، وطبقات الشافعية الكبرى (7/ 111 - 112)، و الوافي بالوفيات (16/ 128).

(3) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خدم النبي ﷺ عشر سنين، وهو أحد المكثرين من رواية الحديث، روى 2286 حديثاً، أقام بعد وفاة النبي ﷺ بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى البصرة وكان آخر الصحابة موتاً بها، توفي رضي الله عنه سنة 73هـ - 692م.

له ترجمة في: الاستيعاب (1/ 109 - 111)، وأسد الغابة (1/ 151 - 152)، والإصابة (1/ 126 - 128).

(4) نهاية الورقة (25/ظ).

اسْكُنِي، فَتَقُولُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِي، فَيَقُولُ: مَا أَجْرِيْكَ عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا وَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ»⁽¹⁾، اهـ.

ومعنى خرق هذه الكلمة السماوات ومخاطبة الحق لها، أن الله يقيم بأمر مثالا لحقيقة هذه الكلمة يخرق ويصعد ويخاطبه، كما هو وارد عن النبي ﷺ في نظائره من بعث القرآن يوم القيامة بصورة رجل⁽²⁾، وصعود سورة تبارك إلى العرش للشفاعة فيمن كان يتلوها⁽¹⁾، ممّا هو مأثور مشهور.

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (1/285 رقم: 1119)، وأورده الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (2/290).
وجاء من طريق آخر رواه الطبراني في الدعاء (ص: 492 رقم: 1730)، وابن سمعون الواعظ في الأمالي (ص: 192 رقم: 172)، والختلي في الديباج (ص: 67 رقم: 133)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: 36 رقم: 63)، وقال: «ليس إسناده بقوي من قبل إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت فإنه ضعيف»، والحسين الهمذاني الجورقاني في كتابه الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (1/179 رقم: 45) وقال: «هذا حديث باطل، وعثمان بن عطاء هذا خراساني، قال عمرو بن علي الصيرفي: هو متروك الحديث».

(2) أشار إلى ما رواه ابن أبي شيبه (6/129 رقم: 30044)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص: 74)، وابن شاهين في الترغيب (ص: 70 رقم: 207)، وابن قتبية في تأويل مختلف الحديث (ص: 376)، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتُهُ إِيَّاي فَسَرُّ حَامِلٍ، تَعَدَّى حُدُودِي، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يَقَالَ: فَسَأُنْكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكْبَهُ عَلَى

ثم إنَّ المغفرة لا تختص بالصَّغائر، بل لا يخرج عنها إلاَّ حقوق الخلق، بل يُرجى أن الله تعالى ببركة لا إله إلاَّ الله يوفِّق للخلاص منها ولو بمسامحة المُستحقِّ.

واختار جماعة أن ذلك لا يتعدَّى الصَّغائر، والأوَّل هو الرَّاجح لما تقرَّر أنَّ الأصل في الألفاظ إبقاؤها على ظاهرها ما لم يكن هناك مقتض، ولا مقتضى هنا، فإن ورد في غير لا إله إلاَّ الله التَّقييد باجتناب الكبائر، فليخص ذلك بمورده ولا يتعدَّاه، وهو وضع باب الثَّواب، والقياس لا دخل له فيه، وكذلك في العقاب.

ولا يُقال: إن أُطلق في محلٍّ وقِيَد في محلٍّ آخر يحمل المطلق على المقيّد.

لأنَّا نقول: محلُّ ذلك إذا اتَّحد المورد، أمَّا إذا لم يتَّحد فلا حمل، ورحمة الله تعالى وسعت كلَّ شيء.

مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ صَالِحٍ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ، وَحَفِظَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَضَمًا لَهُ دُونَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتُهُ إِيَّايَ فَخَيْرٌ حَامِلٌ، حَفِظَ حُدُودِي، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ، وَيَسْقِيَهُ كَأْسَ الْخَمْرِ»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (161/7): «وفيه ابن إسحاق وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقيه رجاله ثقات»، وحسنه ابن حجر في المطالب العالية (382/14) رقم: 3491، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (336/6) رقم: 5962.

(1) لم يصح في هذا شيء، والحديث الذي أشار إليه الشارح رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (46/6)، وأبو العباس المستغفري في فضائل القرآن (646/2) رقم: 960 عن أنس رضي الله عنه، وقال عنه ابن كثير في تفسيره (175/8): «هذا حديث منكر جدا».

وقيل: في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾⁽¹⁾، أنَّ الكلم الطيب هو قول لا إله إلا الله، وأنها تصعد بنفسها دون غيرها من الأعمال الصالحة، فإنها إنما تصعد بها الملائكة، فتفتح لهذه الكلمة أبواب السماوات حتى تُفْضِي إلى العرش فيَغْفِرُ لقائلها.

عن أبي هريرة رضي⁽²⁾ الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَمُودًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اهْتَزَّتْ ذَلِكَ الْعُمُودُ، فَيَقُولُ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اسْكُنْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا؟ فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَيَسْكُنُ»⁽³⁾، والأحاديث الواردة في فضلها كثيرة مشهورة.

وقوله: (بِالتَّوْحِيدِ) يتعلّق بمحذوف فاعل بفعل محذوف، يعني أنَّ أوّل كلمة ينطق بها المتكلّم كلمة التّوحيد، فالباء داخلة على مضاف محذوف.

(1) سورة فاطر: 10.

(2) نهاية الورقة (26/و).

(3) رواه البزار (361/14) رقم: 8065، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (ص: 7 رقم: 1)، وأبو نعيم في الحلية (3/164)، والديلمي في الفردوس (1/188) رقم: 706، وابن الجوزي في الموضوعات (3/166 - 167) وقال: «أما عبد الله بن إبراهيم فهو الغفاري، نسبه ابن حبان إلى أنه يضع الأحاديث، وأما عبد الله بن أبي بكر فقال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال موسى بن هارون: ترك الناس حديثه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/82): «رواه البزار، وفيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو، وهو ضعيف جدا».

ومن المعلوم أنَّ لا إله إلاَّ الله لها أسماء عديدة⁽¹⁾ ذكر بعضها الإمام ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح، منها كلمة التوحيد، ثبتنا الله بها.

[أدعية التلقين]

وأشار بقوله:

69 - ثُمَّ تَقْرَأُ الْأَدْعِيَا ثَلَاثَةً مَزْوِيَا

70 - لَكُمْ وَالنَّبِيَا وَالشَّيْخَ الْمُرَبِّيَا

أي بعض آداب التلقين التي لا يجوز تركها وإهمالها، وهي الأدعية المروية عن أرباب الطريق.

وكيفية ذلك أن يرفع الشيخ والمريد أيديهما على الهيئة المشروعة في رفع اليدين للدعاء، ويقول الشيخ: اللَّهُمَّ تَبْ عَلَيْنَا، وَأَعِنَّا، وَاحْفَظْنَا، وَافْتَحْ لَنَا بَابَ كُلِّ خَيْرٍ كَمَا فَتَحْتَهُ لِأَنْبِيَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ، اللَّهُمَّ اقْبَلْنَا وَتَقَبَّلْ مِنَّا، وَانْفَعْنَا وَانْفَعْ بِنَا، وَاهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا، وَأَرْشِدْنَا وَأَرْشِدْ بِنَا، وَأَصْلِحْنَا وَأَصْلِحْ بِنَا، اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَلْهِمْنَا إِتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ، اللَّهُمَّ اقْطَعْ عَنَّا كُلَّ قَاطِعٍ يَقْطَعُ عَنْكَ، وَلَا تَقْطَعْ عَنكَ وَلَا تَشْغَلْنَا بِغَيْرِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؛ والمريد يُؤَمِّنُ.

ويختتم الدعاء بقوله: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ تَوْبَةَ الصَّادِقِينَ، وَإِخْلَاصَ الْمُوقِنِينَ، إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ الْمُخْتَوِّمِ بِهِ دَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ، وَهَذَا هُوَ الدَّعَاءُ الْأَوَّلُ مِنَ الثَّلَاثَةِ الْمَشَارِ لَهُ بِقَوْلِهِ⁽²⁾: (لَكُمْ).

(1) في (ع) عظمة بل عديدة.

(2) نهاية الورقة (26/ظ).

الثاني: أن يقرأ الفاتحة مرّتين، ويهدي ثواب ذلك لأرواح أهل السلسلة مشايخ التربية من شيخه إلى النبي ﷺ.

الثالث: أن يرفعا أيديهما كما مرّ ويقول الشيخ⁽¹⁾: اللهم صلّ على روح سيّدنا محمّد في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور، وعلى موقفه في المواقف، وعلى مشهده في المشاهد، وعلى ذكره إذا ذكر، صلاة منّا على نبينا، اللهم أبلغه منّا السّلام كلّما ذكر السّلام، والسّلام⁽²⁾ على النّبيّ ورحمة الله وبركاته.

اللهم صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله صلاة لا نهاية لها كما⁽³⁾ لا نهاية لكمالك وعدد كماله، ثلاثا.

اللهم صلّ وسلم على سيّدنا محمّد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله، ثلاثا.

اللهم اجعلنا بالصّلاة عليه من الفائزين، وعلى حوضه من الواردين الشّارين، وبسنته وطاعته من العاملين، ولا تحل بيننا وبينه يوم الدّين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

[آداب التلقين]

ومن آداب التلقين ما أشار إليه بقوله:

(1) [الشيخ] ساقط من (ع).

(2) [والسلام] ساقط من (ع).

(3) [وعلى آله صلاة لا نهاية لها كما] ساقط من (ع) و (ط)

71 - ثُمَّ بَعْدَ الْوَصِيَّةِ وَتَغْلِيمِ الْكِفَايَةِ

72 - أَخْذُ شَيْخِكَ بِالنِّيَّةِ لَا تُخَفِّ عَنْهُ شَيْئًا

يعني ثم بعد الفراغ من التلقين المذكور، يوصي الشيخ المريد قبل أن يقوم من بين يديه وهي نتيجة العهد، فيقول له: اسمع وصيتي واعمل بها كما ألزمت نفسك عهد الله وميثاقه⁽¹⁾، أن تتقي الله تعالى في سائر أحوالك، وتخلص في جميع أعمالك، ولا تلتفت لنظر الخلق إليك، بل غب عنهم بنظر الله تعالى لك وإطلاعه على سرِّك وعلايتك.

وعليك بإتباع الكتاب والسنة فإنهما الطريق الموصول إلى مرضاة الله تعالى.

واعمل متجرداً عن حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة، ولا تعمل بملاحظة الكرامة ولا خوفاً من العقاب ولا طمعا⁽²⁾ في الثواب، بل لقصد رضا الله تعالى عنك والقيام بحقوق العبودية، والثواب حاصل بلا ريب، وتحصيل الحاصل عبث.

وعليك بالإحسان للخلق، بتوقير الكبير، والرحمة للصغير.

وعليك بكف الأذى، فإن أوديت فاصبر.

وعليك بالزهد والورع، والرضا عن الله⁽³⁾ في كل شيء ورد عليك، والثقة به على كل حال.

(1) في (ع) عهده وميثاقه.

(2) نهاية الورقة (27/و).

(3) في (ج) الله تعالى.

وجالس من يدلّك على الله.

وإيّاك والمخاصمة والمماراة وإن كنت مُحَقِّقًا، وحبّ الشّهرة
بالخير والميل إلى المدح.

والتزم الصّمت والأدب مع كلّ مخلوق، واجعل الذّكر أنيسك
والفكر جليّسك.

وكن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل، وعليك بذكر الموت.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَوْ أَيْنَ أَوْ مَتَى يَقْدَرُ مَا لَا بُدَّ أَنْ سَيَكُونُ⁽¹⁾

[صفة المريد]

وبعد الفراغ من الوصيّة تُعَلِّمه الكيفية، أي الصّفة التي يكون
عليها المريد، وذلك بأن تقول له: عليك بامثال أمر شيخك وطاعته،
وذلك هو المراد بقوله: (أَخْدُمُ شَيْخَكَ بِالنِّيَّةِ)، أي أطعه، لأنّ طاعة
الشيخ طاعة للرّسول ﷺ، وطاعة الرّسول طاعة الله تعالى، قال الله عزّ
وجلّ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁽²⁾.

وقوله: (لَا تُخْفِ عَنْهُ شَيْئًا) يعني أنّ المريد يتعيّن عليه أن لا يكتُم
على أستاذه من أحواله كلّها ظاهرها وباطنها شيئًا ممّا يتعلّق

(1) البيت من البحر الطويل، وهو لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد ابن
عبد السلام الحميري الكلاعي الأندلسي، انظر الإحاطة في أخبار غرناطة
(254/4).

(2) سورة النساء: 80.

بالطريق، لأنَّ الشَّيخ كالتَّطبيب، فكما أنَّ الطَّبيب يجب أن يطلَّع على حال المريض ويعلم جميع ما فيه من العلل والأمراض ليعرف أسبابها وعلاجها على ما يطابق الواقع في نفس الأمر، فكذلك المريد مع شيخه، يجب عليه أن لا يكتُم عليه حالا من أحواله، ليكون شيخه في ذلك⁽¹⁾ على بصيرة في معالجته وتطبيبه من علل نفسه ورعوناتها⁽²⁾، وإن كان قد يعرف ما فيه بدون تعريف، فإن في تعريفه ما ليس فيما يعلمه بدون تعريف.

وكذلك إذا سأله شيخه عن شيء من الأشياء فإنَّه يجب عليه أن يخبره بما هو الواقع من علم ذلك الشيء، فإن كتم عليه شيئاً من أحواله لعذر شرعيّ بعد تحقُّقه أنَّ ذلك لا يضرُّه عند شيخه فلا بأس به، لأنَّ إنكار ذلك الشيء كذب محض وهو حرام، إلَّا إن ترتبت عليه محرّمات فقد يباح له ذلك دفعا لها حينئذ.

والياء المدغمة في قوله: (شيئاً) بدل من الهمزة للقافية.

[ذكر اسم الجلالة]

قوله:

73 - وَادْكُرْ اسْمَ الْجَلَالَةِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فِي الْمَلَا

74 - وَكَذَلِكَ فِي الْخَلَا سِرًّا وَعَلَانِيَا

(1) [في ذلك] ساقط من (ج).

(2) نهاية الورقة (27/ظ).

معطوف على قوله: (أَخْذُمُ)، من عطف الفعلية الطلبية على مثلها، يعني أَنَّ الشَّيْخَ بعدما يَلْقَنَ المريِدَ يوصيه ويعلِّمه كيفية ذكره ورده في سائر أوقاته، وذلك بأن يخبره بأنَّ ورده هو ذكر الله تعالى والصَّلَاةَ على سيدنا محمد ﷺ، ويأمره بذكر الجلالة إن لَقَّنه أستاذَه الاسم المفرد أو غيره ممَّا يَلْقَنه الشَّيْخ للمريِد، ففي الكلام حَذَفَ العاطف والمعطوف.

ويحتمل أَنَّهُ أراد باسم الجلالة ما يَعُمُّ جميع ما يَلْقَنه الشَّيْخ للمريِد⁽¹⁾، فيكون مجازاً، من إطلاق البعض وإرادة الكل.

ناوياً بذكره امتثال أمر الله تعالى وطلب مرضاته، والعمل بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١)، مبتدئاً من بعد صلاة عصر يوم الجمعة.

فقوله: (بَعْدَ الْجُمُعَةِ) فيه حذف مضافات ثلاثة، أي من بعد صلاة عصر يوم الجمعة⁽³⁾، بالسِّرِّ أو بالجهر، وحده أو مع ملاً من إخوانه، بالطَّهارة أو بدونها، وبالطَّهارة أفضل، بالسَّبحَة أو بدونها، وبالسَّبحَة أحسن، بالعدد أو بدونه، وبالعدد أتقن، لأنَّ السَّبحَة مُذَكِّرَةٌ والعدد مُنْشِطٌ.

(1) [ففي الكلام حذف الشَّيْخ للمريِد] ساقط من (ع).

(2) سورة الأحزاب: 41.

(3) [فقوله: بعد الجمعة عصر يوم الجمعة] ساقط من (ع).

[وقت ذكر الصلاة على النبي ﷺ]

ثم أشار إلى وقت الصلاة⁽¹⁾ على النبي ﷺ بقوله:

75 - إِلَى عَصْرِكَ الْخَمِيسِ فَالصَّلَاةَ عَلَى الرَّئِيسِ

76 - كَذَلِكَ بِالتَّذْرِيسِ وَاخْتِمَهَا بِالْأُمِّيَا

77 - بَعْدَ عَصْرِ الْجُمُعَةِ ثَمَانِينَ مَجْمُوعَهُ

78 - رَوَاهَا مَنْ قَدْ وَعَى لَمْ تَبْقَ عَنْكَ سِيًّا

يعني أنّ المرید ينتهي بذكره اسم الجلالة إلى عصر يوم الخميس، ثمّ يتدبّر ذكر الصلاة على النبي ﷺ، رئيس المرسلين وسيد الأولين والآخرين، والرواية المأثورة عندهم هي: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلّم؛ يذكرها كذكره كلمة الإخلاص على الكيفية المذكورة فيها، من عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة.

وبعد فراغه من صلاة عصرها يصلي على النبي ﷺ ثمانين مرّة قبل قيامه من مجلسه.

قال سيدي عبد الرحمن الثعالبي في الدرّ الفائق في فضل الصلاة على النبي ﷺ: «قال جبر بن محمد القرطبي⁽²⁾ في كتابه المُسمّى

(1) نهاية الورقة (28/و).

(2) هو أبو محمد جبر بن محمد بن جبر بن هشام القرطبي، من تلاميذ ابن بشكوال، صنف كتباً منها الملاذ والاعتصام، ومطالع الأنوار ومسالك الأبرار في فضائل الصلاة على النبي المختار، توفي رحمه الله سنة 615هـ - 1218م. له ترجمة في: إيضاح المكنون (4/497)، وهدية العارفين (1/249)، والأعلام (2/108)، ومعجم المؤلفين (3/109).

نزهة الأسرار ولوامع الأنوار في فضل الصلاة على النبي المختار ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ⁽¹⁾: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، ثَمَانِينَ مَرَّةً، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكُتِبَتْ لَهُ عِبَادَةُ ثَمَانِينَ سَنَةً»⁽²⁾.

وفي رواية أخرى عن سهل بن عبد الله⁽³⁾ قال: «مَنْ قَبَالَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ⁽⁴⁾ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، ثَمَانِينَ مَرَّةً، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ ثَمَانِينَ سَنَةً»⁽⁵⁾.

وإلى هذا الحديث أشار بقوله: (رَوَاهَا مَنْ قَدْ وَعَى)، البيت.

(1) [عن أبي هريرة صلى الله عليه وسلم] ساقط من (ع).

(2) الحديث ضعيف، رواه ابن شاهين في الترغيب (ص: 14 رقم: 22)، والدليمي (408/2 رقم: 3813)، واللفظ الذي أورده الشارح نسبه السخاوي في القول البديع (ص: 198) لابن بشكوال.

(3) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري، الإمام القدوة العارف بالله، كان زاهدا عابدا عالما عاملا، تخرج عن خاله محمد بن سوار ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم، وكان عامة كلامه في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعاييب والأعلال، توفي رحمه الله سنة 283هـ - 896م. له ترجمة في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/13 - 213)، وسير أعلام النبلاء (330/13 - 333)، وشذرات الذهب (2/182)، وشجرة النور الزكية (1/66).

(4) [النبي الأمي] ساقط من (ع).

(5) نسبه السخاوي في القول البديع (ص: 199) لابن بشكوال.

[من آداب الصلاة على النبي ﷺ]

ومن آداب الصلاة على النبي ﷺ⁽¹⁾ أن يقصد بها التوصل إلى مرضاة الله تعالى، والتحبب لرسوله ﷺ، والعمل بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا صَلَواتُ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ﴾⁽²⁾؛ وبقوله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»⁽³⁾.

وقوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ»⁽⁴⁾.

وقوله ﷺ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»⁽⁵⁾.

وفي رواية: «أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هِيَ اللَّيْلَةُ الْغَرَاءُ وَالْيَوْمُ الْأَزْهَرُ، قَالَ ﷺ: لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ»⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (28/ظ).

(2) سورة الأحزاب: 56.

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه أحمد (24/457 رقم: 15689)، وابن أبي شيبة (2/253 رقم: 8696)، وابن ماجه (1/294 رقم: 907)، وأبو داود الطيالسي (2/460 رقم: 1238)، وعبد بن حميد في المنتخب (ص: 130 رقم: 317)، والطبراني في الأوسط (2/182 رقم: 1654)، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/366): «أخرجه ابن ماجه من حديث عامر بن ربيعة بإسناد ضعيف، والطبراني في الأوسط بإسناد حسن».

(5) رواه ابن ماجه (1/524 رقم: 1637) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال البوصيري في مصباح الزجاجية (2/59): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع»، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (2/328): «إسناد جيد»، وقال ابن الملقن في البدر المنير (5/288): «إسناده حسن».

(6) رواه الديلمي في الفردوس (1/73 رقم: 215)، والبيهقي في الشعب (3/111 رقم: 3034) عن ابن عباس رضي الله عنه وقال: «هذا إسناد ضعيف بمرة».

ورواه الطبراني في الأوسط (1/83 رقم: 241) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (2/169): «وفيه عبد المنعم بن بشير الأنصاري وهو ضعيف».

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَلَّى الْعَبْدُ عَلَيَّ فِيهَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ طَائِرٌ أَخْضَرُ فَيَمُرُّ بِالصَّلَاةِ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، فَأَسْمَعُ بِأُذُنِي صَلَاةَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ»⁽¹⁾.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَهُوَ جَالِسٌ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَهُوَ قَائِمٌ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ»⁽²⁾.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَعْمَالُ مِنْهَا الْمَقْبُولُ وَمِنْهَا الْمَرْذُودُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّهَا مَقْبُولَةٌ غَيْرُ مَرْذُودَةٍ، وَمَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ فَقَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»⁽³⁾، اهـ.

قوله: (فَالصَّلَاةُ عَلَى الرَّئِيسِ) مفعول بفعل محذوف تقديره فَاذْكُرْ، معطوف على (اَذْكُرْ) السابق، والفاء للترتيب.

(1) لا وُجُودَ لهذا الحديث في كتب الحديث، وفي متنه نكارة شديدة، وألفاظه لا تشبه ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام.

(2) لم أقف على هذا الحديث فيما رجعت إليه من المراجع.

(3) روى ابن ماجه (294/1 رقم: 908)، والطبراني في الكبير (180/12 رقم: 12819)، وأبو نعيم في الحلية (91/3)، الشطر الثاني منه من طريق جُبَارَةَ بْنِ الْمُغَلِّسِ قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (112/1): «هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة بن المغلس»، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (387/1): «وهذا بهذا السند باطل»، وللحديث شواهد، أشار إليها ابن حجر في فتح الباري (168/11) وقال: «وهذه الطرق يشد بعضها بعضها».

[قراءة دلائل الخيرات في ليلة الجمعة ويومها]

وأشار رحمه الله تعالى بقوله:

79 - تَقْرَأُ دَلِيلَ الْخَيْرَاتِ مَرَّةً مِنْهُ الثَّبَاتُ

80 - وَتَأْتِي الْمُسَبَّحَاتُ صَبَاحًا وَمَسِيًّا

81 - تَنْظُرُ بِهَا خَيْرًا كَثِيرًا خُصُوصًا تَسْهِيلَ السَّيْرِ

82 - يَا حَلِيمُ يَا خَبِيرُ سَهِّلْ لِي سُلُوكِيَا

إلى أن من الوظائف اللازمة قراءة دليل الخيرات ليلة الجمعة أو يومها مرة واحدة، وقراءة المسبّحات، وهي:

- آية الكرسي⁽¹⁾ ، إلى قوله تعالى: ﴿خَلِدُوا﴾⁽²⁾ ، ثلاثا.

(1) نهاية الورقة (29/و).

(2) أي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢٥٧) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٢٥٨) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٢٥٩) . [سورة البقرة: 255 - 257].

. ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى آخر السورة⁽¹⁾، كذلك⁽²⁾.

. ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣٧)، ثلاثا.

. والفاتحة كذلك.

. والإخلاص والمعوذتين ثلاثا ثلاثا.

. والصلاة الكاملة، وهي: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضيين عليه، واجري يا رب لطفك الخفي في أموري، ثلاثا.

(1) أي قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣٨٤) ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^(٣٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^(٣٨٦) ﴿[سورة البقرة: 284 . 286].

(2) أي تقرأها كذلك ثلاثا.

(3) أي قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مِنْ شَاءَ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ شَاءَ وَتُعْزِزُ مَنْ شَاءَ وَتُذِلُّ مَنْ شَاءَ بِيَدِكَ الْخَبِيرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣٨٧) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(٣٨٨) ﴿[سورة آل عمران: 26 . 27].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين،
والحمد لله رب العالمين، مرة.

بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر، كل يوم، ففيها من
الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت الحصر، خصوصاً تسهيل السير
في طريق القوم الموصّل إلى مرضاة الله تعالى.

وقوله: (وَمُسِيًّا)، بضم الميم وكسرها، لغة في المساء، ضدّ
الصباح، يقال: أَتَيْتُهُ مَسَاءً أُمْسٍ، وَمُسِيَّةً، بالضم والكسر⁽¹⁾.

وقوله: (يَا حَلِيمُ يَا خَبِيرُ) إلخ، تتميم للبيت ودعاء.

[كشف الخواطر والمنامات للشيخ]

قوله:

83 - لَا تَكْتُمُ سِرَّ الْوَحْيَيْنِ عَنْ شَيْخِكَ يَا مُسْكِينُ

84 - تَكُنْ مِنَ الْخَائِنِينَ لَا تُفْلِحْ فِي الدُّنْيَا

المراد بالوَحْيَيْنِ ما تكرر من الخواطر والرؤيات المناميّة، يعني
أنّ من جملة الآداب اللازمة للمريد أن لا يكتُم عن شيخه ما تكرر
عليه من الخواطر والمنامات، لأنّها تُنبئ عن أحوال السالكين،
وتكشف عن درجات السائرين، وبذلك يعرف الأساتذة مزاج المريدين
وأنفسهم من أيّ الأنفس، الأمارة أو اللّوامة أو غيرهما، بل يحكي

(1) انظر القاموس المحيط (ص: 1334).

المريد لشيخه كل ما تكرر عليه من التوعين، من غير أدنى زيادة أو نقص، لئلا يدخل في قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾.

والكذب في ذلك خيانة وعدم صدق مع الله تعالى، وإلى ذلك أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (تَكُنْ⁽²⁾ مِنَ الْخَائِنِينَ)، والله جلّ وعلا لا يحبّ الخائنين.

وفي الحديث: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ الثُّبُوءِ»⁽³⁾.

[إخبار الشيخ بالخواطر والمنامات من غير استفسار]

قوله:

85 - وَالْقِيَامُ وَحَيْكَ يَا فَاقِيزُ لَا تَطْلُبْ مِنْهُ تَفْسِيرُ

86 - لِيَكُنْ بِكَ خَبِيرُ يَنْظُرْ لَكَ الْأَذْوِيَا

87 - مَحْمُودَاتٌ أَوْ مَذْمُومَاتٌ لَا تُخَفِ عَنْهُ هَيْهَاتَ

(1) رواه بهذا اللفظ أحمد (331/2 رقم: 1089) عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَذَبَ فِي الرُّؤْيَا مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

ورواه البخاري (369/3 رقم: 7042) عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُفِّ أَنْ يَغْقَدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ».

(2) نهاية الورقة (29/ظ).

(3) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (356/3 رقم: 6988)، ومسلم (1774/4 رقم: 2263).

88 - مَجْمُوعَاتٌ أَوْ مُفْرَدَاتٌ وَالْمُفْرَدُ لَا شَيْئًا

يريد أن من جملة الآداب أيضا أن يحكي المريد لشيخه وحيه ولا يطلب منه ردّ الجواب على ذلك، بل يحكي له ذلك بلسانه أو يكتبه له في ورقة، فإن أجابه بشيء فيها ونعمت، وإلا قبل يده وانصرف وأعرض بقلبه عن الجواب، لئلا يصير الشيخ مُغرما بالجواب.

ومن ثمرة عرض الخواطر والمنامات على الأساتذة تمييز أحوال المريدين وإرشادهم إلى أدوية علل نفوسهم⁽¹⁾ كما صرح به المصنّف رحمه الله تعالى، لأنّ الشّيوخ كالطّبيب الحاذق يعرف الدّاء وعلاجه، فكما أنّ الطّبيب طيب للأجسام والمباني، كذلك الأستاذ طيب الأرواح والمعاني، ولذلك أوجبوا على المريد عرض خواطره ومناماته على أستاذه، سواء كانت محمودة أو مذمومة، لأنّ الرّؤيا على أربعة أنواع:

- محمودة ظاهرا وباطنا، كرؤيا الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام والملائكة الكرام⁽²⁾ على صفة حسنة ونحو ذلك.

- ومحمودة في الظّاهر دون الباطن، كرؤية الأزهار ونحوها.

- ومذمومة ظاهرا وباطنا، كمَن رأى حية لسعته ونحو ذلك.

(1) [نفوسهم] ساقط من (ع).

(2) في (ع) زيادة عليهم السلام.

- ومحمودة باطنا مذمومة ظاهرا، كَمَن يرى أنه يذبح ولده ونحوه.

وأشار بقوله: (مَجْمُوعَاتٌ أَوْ مُمْفَرَدَاتٌ)، إلى أنّ بعض المرائي لا يشترط فيها التكرار، وذلك كرؤية النبي ﷺ، أو المَلِك، أو الصَّحَابِيّ، أو الصّالحين⁽¹⁾، أو المرشد.

تتمة.

ومن آداب عرض الوَحْيَيْنِ على المرَبِّي أن يكون سرّا، بحيث لا يُطْلَع المريد على ذلك أحدا غير شيخه، لأنّ ذكر⁽²⁾ ذلك في ملأ من النَّاس مُخَلّ بالآداب، بل يذكر له ذلك منفردا عن غيره.

[تخيّل الذاكر صورة شيخه وصورة النبي ﷺ]

قوله:

89 - وَخَيَّلَ الطَّرْفَيْنِ مَنْ بَاشَرَتْ فِي التَّلْقَيْنِ

90 - كَأَنَّمَا إِمَامَيْنِ فَالْأَوَّلُ نَبِيًّا

يعني أنّ من الآداب اللازمة للذاكر مُخَايَلَةُ الصّورتين، صورة الشَّيْخ المُبَاشِر في التَّلْقَيْنِ، لأنّه دليل المريد وطيبه، ليكون متيقّنا أن إمداده من مدده ونظره إلى مشهده، وصورة النبي ﷺ، الواسطة الكبرى والوسيلة العظمى، إذ لولا الواسطة لذهب المتوسط.

(1) نهاية الورقة (30/و).

(2) [ذكر] ساقط من (ع).

وما دام الذاكر متخيلاً للطرفين كان في حرز حصين من موانع لا تحصي، أدناها الغفلة، وعدم الحضور والمراقبة، وعدم الخضوع، ونحو ذلك؛ وإن لازم ما ذكر احتمى ممّا هنالك، وترقى في مقامات العُلا، ونال كلّ مدد بين الملاء، وهذا عندهم من آكد الآداب، لأنّ المرید يترقى به إلى الأدب مع الله والمراقبة.

وقوله: (كَأَنَّمَا إِمَامَيْنِ)، يعني أنّ الذاكر يخيّل شخص النبي ﷺ ما دام ذاكرًا بين عينيه بمنزلة الإمام للشيخ، ويخيّل شخص شيخه خلف النبي ﷺ بمنزلة المأموم به، والذاكر بمنزلة المأموم لشيخه، فالنبي ﷺ كالإمام للشيخ، والشيخ كالإمام للذاكر.

[ملازمة المرید لصيام الاثنين والخميس والأيام المرغب فيها]

قوله:

91 - إِنْ دَخَلْتَ فِي التَّلْقِينِ تَبْغِ نَهْجَ الْمُرِيدِينَ

92 - صُمْ خَمِيسَ مَعَ الْاِثْنَيْنِ وَالْأَيَّامَ الْمَرْوِيَّاتِ

يعني أنّ من دخل زمرة الطائفة الخلوتية، وسلك سبيل المریدين في تطهير نفوسهم وتزكيتها بالرياضة، فعليه بصيام⁽¹⁾ يوم الخميس ويوم الاثنين ولا يترك ذلك البتّة، ففي صيامهما فضل عظيم مع سهولته وبعده من الرّياء، إذ المواظب على ذلك محضّ لصيام ما يقرب من ثلث السنّة، مع الأيّام الفاضلة من السنّة المندوب صيامها، وهو يوم عاشوراء مع بقية عشر أوّل المحرمّ، والسّابع والعشرون من

(1) نهاية الورقة (30/ظ).

رجب، ويوم نصف شعبان، والخامس والعشرون من ذي القعدة، ويوم عرفة مع ما قبله من أيام العشر الأول من ذي الحجة، وهي الأيام المعلومات والمعدودات، وفي الخبر: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»⁽¹⁾ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَإِنْ صَوْمَ يَوْمٌ مِنْهُ يَغْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ»⁽²⁾.

وكذلك صيام ست من شوال، لما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي أيوب⁽³⁾ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصَوْمِ الدَّهْرِ»⁽⁴⁾.

(1) في (ع) تعالى.

(2) رواه الترمذي (122/3 رقم: 758)، وابن ماجه (551/1 رقم: 1728)، والبزار (242/14 رقم: 7818)، والبيهقي في فضائل الأوقات (ص: 343 رقم: 172)، والبغوي في شرح السنة (346/4) وقال: «إسناده ضعيف»، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البخاري (214/1 رقم: 969) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟ قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ».

(3) هو الصحابي الجليل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري الخزرجي، من السابقين، شهد العقبة وبعثاً وما بعدها، ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده شهراً حتى بنى بيوته ومسجده، ولزم أبو أيوب الجهاد بعد النبي ﷺ إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية سنة 50 هـ، وقيل 51 هـ. 671م، وقيل 52 هـ. 372م. له ترجمة في: الاستيعاب (2/ 424 - 426)، وأسد الغابة (1/ 571 - 573)، والإصابة (2/ 234 - 235).

(4) رواه مسلم (2/ 822 رقم: 1164)، ولفظه عنده عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ اتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ». أما اللفظ الذي أورده المصنف فهو للطبراني في الكبير (4/ 134 رقم: 3905)، والشاشي في مسنده (3/ 87 رقم: 1144).

وروى أبو داود من حديث حفصة⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنها «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، وَالْاِثْنَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى»⁽²⁾.

ورواه النسائي⁽³⁾ أيضا عنها⁽⁴⁾، ومن هنا استُحِبَّ صيام الخميس والاثنين.

وروى مسلم من حديث أبي قتادة⁽⁵⁾ رضي الله عنه «أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ وَالْمَاضِيَةِ»⁽⁶⁾.

(1) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، من المهاجرات، تزوجها النبي ﷺ بعد عائشة رضي الله عنها سنة ثلاث، توفيت رضي الله عنها في جمادى الأولى سنة 41هـ - 661م.

لها ترجمة في: الاستيعاب (4/1811)، وأسد الغابة (6/65).

(2) رواه أبو داود (2/328 رقم: 2451) بإسناد حسن.

(3) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، أصله من نساء مدينة بخراسان، الإمام الحافظ، صاحب السنن، كان إمام أهل عصره في الحديث، ثقة ثبتا حافظا، توفي رحمه الله سنة 303هـ - 915م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (14/125 - 135)، وتهذيب التهذيب (1/26 - 27)، ووفيات الأعيان (1/77 - 78).

(4) رواه النسائي (4/203 رقم: 2366)، ورواه أيضا أحمد (44/64 رقم: 26463)، والطبراني في الكبير (23/204 رقم: 352)، والبيهقي (4/486 رقم: 8446).

(5) هو الصحابي الجليل أبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري الخزرجي السلمي، اشتهر بكنيته، كان يقال له: فارس رسول الله ﷺ، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد كلها، ولما صارت الخلافة الى علي رضي الله عنه ولاه مكة، وشهد معه صفين، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 54هـ - 674م وهو ابن سبعين سنة.

له ترجمة في: الاستيعاب (1/289)، وأسد الغابة (5/250)، وسير أعلام النبلاء (2/449 - 456).

(6) رواه مسلم (2/819 رقم: 1162) عن أبي قتادة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ».

وَرُوي «أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَغْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ، وَيُكَفِّرُ ذُنُوبَ سَنَةٍ»⁽¹⁾.

وَرُوي «أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَقَعَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ»⁽²⁾.

وَرُوي «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ أَنْزَلَ عَلَى آدَمَ يَاقُوتَةَ مَجُوفَةٍ، وَقَالَ: يَا آدَمُ، هَذَا بَيْتِي أَنْزَلْتَهُ مَعَكَ يَطَافُ حَوْلَهُ كَمَا يَطَافُ حَوْلَ الْعَرْشِ»⁽³⁾.

(1) أشار بذلك إلى ما رواه مسلم رواه (819/2 رقم: 1162) عن أبي قتادة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ». ورواه ابن حبان (394/8 رقم: 3631) بلفظ: عن أبي قتادة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا يَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ صَوْمٌ سَنَةٍ».

(2) انظر السيرة النبوية لابن كثير (93/2)، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية (71/2).

(3) رواه عبد الرزاق في التفسير (401/2 رقم: 1911)، وفي المصنف (93/5 رقم: 9096)، وابن أبي حاتم (2485/8 رقم: 13872)، والطبري في التاريخ (123/1)، وفي التفسير (45/2)، كلهم عن قتادة.

ورواه الطبري في التفسير (58/3)، والطبراني في الكبير (342/13 رقم: 14157)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (288/3): «رواه الطبراني في الكبير موقوفا، ورجاله رجال الصحيح»، وعلق عليه الشيخ أحمد محمد شاكر في حاشيته على تفسير الطبري (58/3) فقال: «وهو كما قال، ولكن ليس فيه حجة، ولعله مما كان يسمع عبد الله بن عمرو من أخبار أهل الكتاب».

وفي ثالث المحرّم دعا زكريا عليه السّلام ربّه تعالى فاستجاب⁽¹⁾
له، فالإجابة تُرجى لمن صامه.

واليوم الخامس عشر من شعبان قيل: إنّ ليلته هي التي يُفارق فيها
كلّ أمر حكيم⁽²⁾.

وفي الخبر «أنّ صيّامَ يومِ التّزويرة - وهو الثامن من ذي الحجة
يوم منى - كصيّام سنة»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (31/و).

(2) رواه الطبري في التفسير (10/22)، وابن أبي حاتم (10/3287 رقم: 18531)، عن
عكرمة.

(3) رواه قوم السنة في الترغيب والترهيب (1/247 رقم: 370)، من طريق محمد بن
السائب بن بشر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً،
والكلبي وضاع، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (2/498) وقال: «هذا حديث
لا يصح، قال سليمان التيمي: الكلبي كذاب، وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه
أظهر من أن يحتاج إلى وصفه»، وأودره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في
الأحاديث الموضوعة (2/91) وقال: «لا يصح الكلبي كذاب».

[أركان الطريق]

[بلوغ مقام الإحسان بمخالفة النفس والشيطان]

ولمّا فرغ رحمه الله تعالى من تبين بعض الآداب اللازمة للمريد وغيرها، شرع في بيان أركان طريق القوم التي لا وصول للسالك بدونها، فقال:

93 - خَالَفَ نَفْسَكَ وَالشَّيْطَانَ تَبْلُغَ مَقَامَ الْإِحْسَانِ

94 - وَاسْتَغْمِلْ هَذِي الْأَرْكَانَ غُدَّهَا ثَمَانِيًا

قدّم الأمر بمخالفة النفس الأُمارة بالسوء، لأنّها معدن الأخلاق الذميمة، فمخالفتها وعصيانها واجب على كلّ عاقل، لأنّها لا تأمر إلاّ بالشرّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «أَعْدَى أَعَادِيكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»⁽²⁾.

وسيأتي الكلام على النفس إن شاء الله تعالى.

(1) سورة يوسف: 53.

(2) رواه البيهقي في الزهد الكبير (ص: 156 رقم: 343) عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/878): «وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضعيين»، ورواه الديلمي في الفردوس (3/408 رقم: 5248)، والخرائطي في إعلال القلوب (1/26 رقم: 32) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

و(الشَّيْطَانُ) إمّا من شاط بمعنى هلك، ووزنه فَعْلَان، أو من شطن بمعنى بَعَدَ ووزنه فَيَعَال⁽¹⁾.

ولا ريب في وجوب مخالفته، لأنّه عدوّنا وعدوّ أبينا آدم عليه السّلام، وأمرنا الله تعالى باتّخاذه عدوّا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾⁽²⁾.

وقد استنظر من الله تعالى لإغوائنا وأكّد بالقسم ما يريده منا من السّوء فقال: ﴿وَلَا تُمَيِّنْهُمْ وَلَا مُرْتَهُمْ﴾⁽³⁾، فربّما يدعوك إلى الطّاعات ويحثّك على العبادات ويزيّن عبادتك في عينيك حتّى يجعلها لك معبودا، ويصيرك عن حضرة الحقّ مطرودا مردودا⁽⁴⁾.

هذا حالك مع عدوّك المُظْهِر لعداوته، المريد منك بغيا وطغيانا، والحاضر عندك حيناً والغائب عنك أحيانا، فكيف يكون حالك مع أعدى أعادتك نفسك التي بين جنّبتك، وهي أقرب منك إليك، فلا تعتمد على ما تُبديه لك من النّصائح، فإنّها توقعك⁽⁵⁾ في عمى الفضائح، فالفوز والسّلامة في مخالفة النّفس والشّيطان، والمخالفة لهما بترك موافقتهما، فقله: (خَالَفَ نَفْسَكَ) إلخ، أي أترك موافقتهما، لأنّ الأمر بالشّيء نهْي عن ضده.

(1) انظر مادة شطن، في لسان العرب (237/13)، والمصباح المنير (313/1).

(2) سورة فاطر: 6.

(3) سورة النساء: 119.

(4) [مردودا] ساقط من (ع).

(5) نهاية الورقة (31/ظ).

[معنى «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»]

وقوله: (تَبْلُغُ مَقَامَ الْإِحْسَانِ)، أي إن أردت الوصول إلى مقام الإحسان المشار له بقوله ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»⁽¹⁾، الحديث، الذي هو في البدايات تهذيب القصد بعلم الشريعة والطريقة، فيكون قصد المريد معرّى⁽²⁾ من شوب الرّياء وطلب العوض، وتوطين النّفس على ثبات العزم وعدم الفتور، وتصفيته عن عدم النّظر إلى غير المقصود بشهود المعبود وعدم الالتفات إلى الغير ولو نفسه.

وصورته أن يعبد الله معتقدا أنّه بمرأى منه وهو يراقبه ويراه اعتقادا جازما، ورؤية ما يتلبّس به من الأخلاق الحميدة و يتيسّر له من العبادات من الله لا من نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾⁽³⁾.

[مخالفة النفس والشيطان سبيل الوصول إلى الحضرة القدسية]

فعليك بمخالفة النّفس والشّيطان مع استعمال هذه الأركان الآتي ذكرها، الموصوفة بقوله:

95 - هِيَ حَلِيَّةُ الْأَبْدَالِ صِفَةُ أَهْلِ الْكَمَالِ

96 - هِيَ سَبَبُ الْوَصَالِ لِلْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَا

(1) سبق تخريجه.

(2) في (ع) مبرر.

(3) سورة النحل: 127.

والأبدال سبعة.

قال ابن عربي الحاتمي: «البُدلاء سبعة، من خواصهم أن مَنْ سافر منهم إلى مكان ترك في مكانه المتقل منه جسدا على صورته، حتّى لا يعرف أحد أنّه فُقِد أو سافر، وهم على قلب سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السّلام».

قال شيخ مشايخنا سيّدي مصطفى البكري:

وَمِنْهُمْ الْأَبْدَالُ لِلْسِّيَادَةِ فَسَبْعَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا زِيَادَةِ
وَيَحْفَظُ اللَّهُ الْأَقَالِيمَ بِهِمْ قَوْمٌ لَقَدْ فَازُوا بِوَضَلِ حُجَّتِهِمْ
إِنْ فَارَقُوا الْمَوْضِعَ خَلَفُوا بَدَلَ فَالْقَصْدُ بِأَبْنِهِمْ هُنَا بَابُ الْبَدَلِ

وقوله: (صِفَةُ أَهْلِ الْكَمَالِ)، خبر مبتدأ محذوف، أو معطوف على (حُلِيَّة) بحذف العاطف، والظاهر الأوّل، بقرينة⁽¹⁾ قوله: (سَبَبُ الْوَصَالِ)، ليكون من عطف الجمل.

وأراد⁽²⁾ بقوله: (هِيَ سَبَبُ الْوَصَالِ) إلخ، أن بلوغ الحضرة القدسيّة والوصول إليها لا يرتقي إليه المرید إلاّ بتوفيق الله إيّاه، لاستعمال هذه الأركان الثمانية، كما قيل:

إِنَّ الطَّرِيقَ لَهَا أَرْكَانٌ وَاجِبَةٌ فَلَا وُصُولَ بِغَيْرِ الرُّكْنِ لِلرَّجُلِ

(1) نهاية الورقة (32/و).

(2) في (ع) وأفاد.

[معنى الحضرة القدسية]

والمراد بالحضرة القدسية عند السادات الصوفية دائرة القدس والطهارة والكمال، التي إذا وصل إليها السالك سُمِّيَ عارفاً وواصلاً.

ويُلقَّبونها بحضرة القدس والحضرة الربَّانية.

ومن وصل إليها كان قلبه عرشاً من عروش التجليات، وطوراً من أطوار المناجاة، وعيناً من عيون المشاهدات.

وصار ممَّن يُقَابَلُ بالفيض والإلهام، وأصبح صدره عيناً من عيون الحكمة، وباباً من أبواب العلوم اللدنية، يلتقط من بحر قلبه جواهر الحكم.

وصارت همته تابعة للأمر الإلهي، تدور مع الشرع حيث دار وصار، من الوارثين لرسول الله ﷺ، الراسخين الثابتين المطمئنين، حشرنا الله في زمرة أجمعين.

[أركان الطريق ثمانية]

ثم أشار رحمه الله تعالى إلى تفصيل الأركان المُجَمَّلة في قوله ثمانية، بقوله:

97 - تَقْلِيلُكَ لِلطَّعَامِ تَقْلِيلُكَ لِلْمَنَامِ

98 - تَقْلِيلُكَ لِلكَلَامِ عَزْلُكَ الْكُلِّيَا

99 - كَثْرَ ذِكْرِكَ يَا غَلَامَ فَرِّغْ فِكْرَكَ بِالثَّمَامِ

100 - طَهِّرْ بَدَنَكَ بِالدَّوَامِ صَحِّحْ رَبْطَكَ بِالنِّيَا

[الركن الأول: تقليل الطعام]

أشار إلى الأوّل بقوله: (تَقْلِيلُكَ لِلطَّعَامِ)، أي النَّاشئ عن الجوع الاختياريّ، وهو ضدّ الشّبع الذي هو امتلاء الجوف من كثرة الغذاء الحامل للقوّة البدنيّة، وقَدَّمَهُ على غيره لأنّه الأصل فيها، لما يترتّب عليه من المزايا والمنافع الكثيرة الّتي لا تُحصى، بخلاف ضده الذي هو الشّبع فإنّه يؤدّي إلى إعطاء النّفس⁽¹⁾ مُرادها ويُفْضي إلى موافقتها وعدم مخالفتها الذي هو ينبوع الرّياضة، لأنّ الامتلاء من الطّعام سبب انتشار الحرارة في البدن، النَّاشئ عنها غليظ البخارات المستلزمة لكثرة التّوم ولهيجان سورة الشّهوة، فالأوّل يترتّب عليه فوات الوظائف اللّيليّة من الأوراد والأذكار، والغفلة عن الأمور اللازمة للمريد في الطّريق، والثّاني يترتّب عليه ثوران الميل إلى العادات كاشتھاء الجماع وغيره، لأنّه من جملة قواطع الطّريق غالباً، وأنفع دواء له الجوع، وهو عدم الامتلاء المفرط بطريق الاقتصاد، بحيث لا يُخلُّ بالقوّة ولا يُوجِبُ إعطاء الشّهوة مُرادها، ولذلك قال عليه السلام: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْيَلَاتٌ يَقْمَنَ ضُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لَطْعَامِهِ، وَتُلْتُ لَشْرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ»⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (32/ظ).

(2) رواه أحمد (422/28 رقم: 17186)، والترمذي (590/4 رقم: 2380) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (1111/2 رقم: 3349)، والنسائي في الكبرى (268/6 رقم: 6737)، وابن حبان (449/2 رقم: 674)، والحاكم (135/4 رقم: 7139) وصححه ووافقه الذهبي، جميعهم عن المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه.

هذا إذا كان طعامه حلالاً، فليس له أن يملأ بطنه منه لإفضائه إلى ترك القيام بالليل كما تقدّم⁽¹⁾، الذي هو وعاء النّفحات الإلهيّة ومحلّ استجماع القوى الرّوحانية.

ومن قلّ منه الامتلاء ضعفت نفسه عن طلب شهواتها البشريّة، وانقطعت أطماع نفسه منها، ولذلك قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاءَةَ فَلْيُضْمْ»⁽²⁾، أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه⁽³⁾، فأمره ﷺ بالصّيام دليل على أنّه أنجح أدوية الأنام لا سيّما الباءة.

(1) [كما تقدم] ساقط من (ج).

(2) متفق عليه. رواه البخاري (415/1 رقم: 1905)، ومسلم (1018/2 رقم: 1400)، ولفظه عندهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالْضُّومِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ».

(3) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي نسبا الزهري حلّفا الكوفي موثلاً، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين إلى الحبشة والمدينة، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ولازمه ملازمة خدمة وجهاد، كان من أوعية العلم ومن أعلم الناس بمعاني القرآن، ومن المكثرين في الفتيا، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 32هـ - 652م، وقيل: 33هـ - 653م ودفن بالبقيع، وقيل: مات بالكوفة.

له ترجمة في: الاستيعاب (3/ 987-994)، وأسد الغابة (3/ 280-286)، والإصابة (4/ 233-236)، والرياض المستطابة (ص: 185-188).

وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيهِ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ»⁽¹⁾.

وفي الحديث: «أَفْضَلُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً أَطْوَلُكُمْ جُوعًا وَتَفَكُّرًا، وَأَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ كُلُّ أَكُولٍ نَوْمٍ شَرُوبٍ»⁽²⁾.
وروي «أَنْ سَيِّدَ الْأَعْمَالِ الْجُوعُ»⁽³⁾.

وروي «لَا تُمِثُّوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ»⁽⁴⁾.

(1) الحديث ثابت صحيح دون قوله: «فَضَيِّقُوا مَجَارِيهِ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ»، متفق عليه عن صفية بنت حيي رضي الله عنها، رواه البخاري (444/1 رقم: 2038)، ومسلم (1712/4 رقم: 2175).

وأما الزيادة التي أوردها فهي غير مروية، وقال في كشف الخفاء (250/1): «فإنه مدرج من بعض الصوفية»، وجمع السبكي في طبقاته الكبرى الأحاديث التي وردت في كتاب الإحياء للغزالي والتي لم يجد لها أصلاً فذكر منها في المجلد (299/6) هذا الحديث وقال: «لكن زاد فيه «فَضَيِّقُوا مَجَارِيهِ بِالْجُوعِ» وذلك لا يعرف»، وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (420/1) بأنها زيادة منكرة.

(2) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (80/3)، وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (965/1): «لم أجد له أصلاً»، وذكره الإمام السبكي في طبقاته الكبرى (434/6) في الأحاديث التي وردت في الإحياء ولم يجد لها أصلاً.

(3) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (80/3)، وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (965/1): «لم أجد له أصلاً»، وذكره الإمام السبكي في طبقاته الكبرى (434/6) في الأحاديث التي وردت في الإحياء ولم يجد لها أصلاً.

(4) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (81/3)، وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (966/1): «لم أقف له على أصل».

ومن هنا كان الجوع ركنا⁽¹⁾ من الأركان التي يتوصّل بها إلى تزكية النفس وتطهيرها من الأخلاق الذميمة التي من أصولها الشهوة المفرطة والرّعونات الظلمانية.

[فوائد الجوع]

وللجوع فوائد جمّة، منها الإنكسار والذلّ، وزوال البطر والمرح اللذين هما مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى، فلا تنكسر النفس بشيء كالجوع، إذ به تحصل الرّقة في القلب والصفاء، اللذان هما سبب التّرقّي إلى أوج الخشية من الله تعالى المانعة من الوقوع في المحرّم أو المكروه، اللذين هما ذريعة للهلاك عاجلا وآجلا، فالشّهوات باب من أبواب النّار وأصلها الشّبع، والانكسار والرّقة الموصّلا إلى الخشية من الله تعالى باب من أبواب الجنّة وأصله الجوع، ومن أغلق بابا من أبواب النّار فتح بابا من أبواب الجنّة بالضرورة، لأنّهما متقابلان كالمغرب والمشرق.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالتنا «الدّر المنتظم في فوائد قوله ﷺ: مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الْبَاءَةَ فَلْيُصُمْ»⁽²⁾.

وقال الغزاليّ في الإحياء: «إنّ البطن منبع المهلكات، وبسببه أُخْرِجَ آدَمُ عليه الصلاة والسلام من الجنّة بأكلة أكلها»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (33/و).

(2) سبق تخريجه في الصفحة (236).

(3) إحياء علوم الدين (80/3).

فتقليل الطعام سنة مؤكدة يتعين العمل بها في كل وقت وحين،
لما فيه من النفع العظيم شرعا وطبعاً.

أما الأول، فلما تقدم بعض شيء منه، فإن انكسار النفس بالجوع
مظنة اعتزال المنهمكين في شهوات أنفسهم، وذلك يفضي إلى النجاة
من قواطع كثيرة كالعُجب والحسد والكبر ونحوها، ولقد كان رسول
الله ﷺ مع ما هو عليه من المقامات العالية، والفضائل الكاملة
السامية، ومع ما خصّه الله تعالى به من المزايا الجليلة، والصفات
الحميدة الجميلة، بعصمته وتطهيره، يضع الحجر على بطنه الشريف
من الجوع اختياراً منه له ﷺ، مع أنه ﷺ أعطي مفاتيح كنوز الأرض،
كما قال⁽¹⁾ البوصيري⁽²⁾:

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

وأما الثاني، فلما فيه من دفع الأبخرة الكثيرة التي بسببها تحدث
الأمراض والعلل الموجبة ترك القربات، كالصلاة بالقيام وترك الأوراد
والصيام، لضعف الأعضاء أو بعضها عن القيام بمثل ذلك.

وَرُوي «جُوعُوا تَصِحُّوا»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (33/ظ).

(2) تمامه: وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّمَا شَمَمٍ

انظر الزبدة في شرح البردة (ص: 60).

(3) كذا أورده المصنف، والمروي «صُومُوا تَصِحُّوا»، رواه الطبراني في الأوسط
(174/8 رقم: 8312)، وأبو نعيم في الطب النبوي (1/236 رقم: 113) من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/973):
«بسند ضعيف».

وقال لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ، إِذَا امْتَلَأَتِ الْمَعِدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ، وَخَرَسَ لِسَانُ الْحِكْمَةِ، وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ»⁽¹⁾.

ولا ريب أن مدار الأمر في ذلك على حفظ الصّحة والمحافظة على عدم خراب المزاج، لأنّ القدرة على القيام بالمصالح المعاشيّة والمعاديّة لا تتمّ إلا بصحّة المزاج وسلامة البدن.

ومن فوائد الجوع صفاء القلب ورقّته، والتلذذ بالعبادة، وانكسار الشّهوة، وتيسّر المواظبة على العبادة، ودفع النّوم، ودفع الأمراض الشاغلة عن الطّاعة، وخفّة المؤنة، والاكتفاء بالقليل.

والمطلوب من ذلك الحالة الوسطى بين الإفراط والتّفريط، ولذلك قال الشّيخ رحمه الله تعالى: (تَقْلِيلُكَ لِلطَّعَامِ) ولم يقل ترك له.

[الركن الثاني: تقليل النّوم]

ثمّ أشار إلى الرّكن الثّاني بقوله: (تَقْلِيلُكَ لِلْمَنَامِ)، أي أنّ من جملة أركان الطّريقة تقليل النّوم، والمقصود منه السّهر.

وعبّر بالتّقليل تنبيها على أنّ المطلوب الاقتصاد فيه لا عدمه، لضعف البنية به وعدم الاستطاعة له، بل اللازم تقليل النّوم ليكون المرید قائما بوظائفه كلّها من التّطوّعات والفروض على حسب طاقته من ذلك، لما في كثرة النّوم من تضييع الأوقات سدى بالغفلة.

(1) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (82/3)، وأبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة (335/1).

وهو مستلزم تقليل الأكل والشرب، فالأمر به أمر بهما، ومعلوم أنّ قلّة ذلك تستلزم⁽¹⁾ السهر الذي به يكون القيام والتّهجد والأوراد والأذكار والمراقبة التي هي ثمرة قيام الليل وسهره.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾⁽³⁾، فإنّ الليل محلّ هدوء الأصوات، والتّنزلات الإلهيّة، والنّفحات الرّبانيّة، والمعارف القلبيّة الغيبيّة، وإبّان خلوّ القلوب واستجماع القوى الباطنيّة على نكات الغيوب، فإن صادف المريد وقتا منها وكان صادقا مستعدّا بما عنده من الإخلاص والاجتهاد، اتّجه له أن ينال منها بحسب قابليّته ما يناسب مقامه، بخلاف من يكون غارقا في يَمّ غفلته، فإنّه لا يدرك تلك الثّمرات، ولا يشمّ عبيق أولئك النّفحات.

[مفسد كثرة النوم]

قال الشّعرايّ في العهود: «واعلم يا أخي أنّ كثرة النّوم تميّت القلب عن تعاطي أسباب الدّين والدّنيا، وربّما استحكم في الإنسان حتّى يصير مخالفا لنوم الطّبيعة الذي جعله الله راحة للجسد، فيفسد على الإنسان أمر معاشه وصحّة مزاجه الأصليّ.

(1) في (ج): تستلزم في.

(2) سورة آل عمران: 17.

(3) نهاية الورقة (34/و).

(4) سورة السجدة: 16.

وأعظم مفسده إضعاف الرّوح، لكثرة ارتباطها بعالم الخيال وانفصالها عن الجسد، لا سيّما إن كان مظلما كثيفا بالأعمال الخارجة عن قوام السّنة النبويّة والطّبيعة الكلّيّة، فإنّ من ذلك الارتباط يتولّد ضعف الاعتقاد وفساد القوّة الخياليّة المصوّرة للأشياء في مرآة العقل، فلا يشهد شيئا إلّا قابلا للتّقييد والإشكال، حتّى يخلط عليه حاله فضلا عن حال غيره، فإنّ تمكّنت عادة النّفس بالنّوم في الأوقات المنهيّ فيها كالنّوم بعد صلاة الصّبح، ومن العصر إلى الغروب، حصل التّعريض للهلاك وفساد صحّة المزاج المادّي والصّوريّ».

تنبيه [في أنواع السهر].

السهر قسمان:

- سهر القلب، وهو يقظته من نوم الغفلة والبعد من منازل المشاهدة والقرب.

- وسهر العين، وهو إيقاظها لتعمير الوقت ولدوام التّرقّي في المنازل العالية، لأنّ نوم العين يبطل عمل القلب.

[حث الكتاب والسنة على قيام الليل]

وقد ورد الحثّ في الكتاب والسّنة على قيام اللّيل، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ ۝١ قُمْ لَيْلًا قَلِيلًا ۝٢﴾ (1) ﴿٢﴾ (2).

(1) نهاية الورقة (34/ظ).

(2) سورة المزمل: 1 - 2.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٨) (١).

وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ» (٢) قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ» (٣).

وَرُوي «مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهَهُ بِالنَّهَارِ» (٤).

(1) سورة الإسراء: 79.

(2) [وإن قيام الليل] ساقط من (ج) و (ع).

(3) رواه الترمذي (552/5 رقم: 3549)، وابن خزيمة (176/2 رقم: 1135)، والحاكم (451/1 رقم: 1156)، والطبراني في الكبير (92/8 رقم: 7466)، وفي الأوسط (311/3 رقم: 3253)، والبيهقي في سننه الكبرى (502/2 رقم: 4423)، كلهم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
ورواه الترمذي أيضا (552/5 رقم: 3549)، والبيهقي في الكبرى (502/2 رقم: 4424)، من حديث بلال رضي الله عنه، وحسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (421/1).

(4) رواه ابن ماجه (422/1 رقم: 1333)، والقضاعي في مسند الشهاب (252/1 رقم: 408)، والبيهقي في شعب الإيمان (471/4 رقم: 2830)، كلهم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا، والحديث لا يصح عن النبي ﷺ، لأن راويه ثابت بن موسى الزاهد غلط فيه، قال ابن الأثير في جامع الأصول (142/1): «دخل على شريك بن عبد الله القاضي والمستملي بين يديه، وشريك يقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ، ولم يذكر متن الحديث، فلما نظر إلى ثابت بن موسى قال: «مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ» وإنما أراد بذلك ثابت بن موسى لزهده وورعه، فظن ثابت بن موسى أنه روى الحديث مرفوعا بهذا الإسناد، فكان ثابت يحدث به عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، وليس لهذا الحديث أصل إلا من هذا الوجه».

وفي الخبر «شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»⁽¹⁾.

تتمة [في عدد ركعات التهجد].

ليس للتهجد قدر في عدد الركعات، لقوله عليه الصلاة والسلام: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، اسْتَكْبَرْتُ أَوْ أَقَلُّ»⁽²⁾.

وقيل: اثنتي⁽³⁾ عشر ركعة عدى الوتر.

وذكر شيخ مشايخنا سيدي مصطفى البكري في المنهل العذب أنّ عدد ركعات التهجد ستة عشر ركعة بدون الوتر، ركعتان سنة الوضوء، ويقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة الكافرون في الأولى

(1) رواه الحاكم (360/4 رقم: 7921) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (306/4 رقم: 4278)، والقضاعي في مسند الشهاب (435/1 رقم: 476)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (253/3)، والبيهقي في الشعب (125/13 رقم: 10058)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (219/10)، ولفظه كما في شعب الإيمان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْبَبَ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَأَعْمَلَ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَعَشَى مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».

(2) رواه أحمد (431/35 رقم: 21546)، وأبو داود الطيالسي (384/1 رقم: 480)، وابن حبان (76/2 رقم: 361)، والحاكم (652/2 رقم: 4166)، والبيهقي في الشعب (197/5 رقم: 3298)، وأبو نعيم في الحلية (166/1)، جميعهم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه مطولاً، واستشهد به ابن حجر في فتح الباري (479/2) وقال: «صححه ابن حبان» ولم يعلق عليه بشيء، وصححه الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (509/2)، والحق أنه يتقوى إلى رتبة الحسن وليس صحيحاً لذاته.

(3) في (ج) اثني.

والإخلاص في الثانية، ثم ركعتان يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية⁽¹⁾، وفي الثانية ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽²⁾، ويستغفر بعد الركعتين مرة، ثم يصلي ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة عشرا ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾، ويُعيد العشر في الركعة الثانية، وهكذا إن قدر على ذلك وإن خاف الوقت صلى بقيّة التهجد بما شاء، وذلك اثنا عشر ركعة، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة الإخلاص اثنتي عشر مرة، وينقص في الثانية من العدد واحدا، إلى تمام الركعات، أو يقسم سورة يس على الاثنى عشر ركعة، وإلا اقتصر على الإخلاص في كل ركعة مرة.

(1) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: 64].
(2) سورة النساء: 110.

(3) أي الآيات الآتية: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِتِنَا نَحْوِيلاً﴾^(٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا^(٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا^(٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا^(٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(٨١) وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا^(٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا^(٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا^(٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 77 - 85].

وأكثر ما رُوي عن النَّبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَتَهَجَّد بِثَلَاثِ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ آخِرَهُنَّ الْوُتْرَ⁽¹⁾.

[الركن الثالث: تقليل الكلام]

ثمَّ أشار إلى الرّكن الثّالث بقوله: (تَقْلِيلُكَ لِلْكَلامِ)، يعني أنّ من أركان الطّريقة الصّمت، وهو السّكوت، والمقصود به هنا عمّا لا يعني، لما رُوي عن النَّبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ⁽²⁾ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»⁽³⁾.

وقول الخير تارة يكون سُنّة وأخرى واجبا، وذلك باعتبار ما يترتّب عليه من المصالح ودرء المفاسد، وقد يكون مكروها أو حراما، باعتبار ما يترتّب عليه من المهالك والمضارّ، ويرشد لذلك قوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»⁽⁴⁾، فالقولان الأوّلان ممّا يعني كلّ إنسان، لما فيهما من الثّواب والخير، وإن كان من القسمين الأخيرين فالصّمت عنه عبادة.

(1) دلّ على ذلك عدة أحاديث منها ما رواه الشيخان البخاري (250/1 رقم: 1138)، ومسلم (531/1 رقم: 764) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً».

(2) نهاية الورقة (35/و).

(3) متفق عليه من حديث أبي شريح الخُزاعي رضي الله عنه. رواه البخاري (241/3 رقم: 6476)، ومسلم (69/1 رقم: 48).

(4) رواه أحمد (126/17 رقم: 11073)، ومسلم (69/1 رقم: 49)، وأبو داود (296/1 رقم: 1140)، والترمذي (469/4 رقم: 2172)، والنسائي (111/8 رقم: 5008)، وابن ماجه (1330/2 رقم: 4013).

وعن أبي ذر⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ عِلْمًا خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ⁽²⁾ ثَقِيلًا فِي الْمِيزَانِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّمْتُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَتَرْكُ مَا لَا يَغْنِيكَ»⁽³⁾.

(1) هو الصحابي الجليل أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري، أحد السابقين الأولين، ومن نجباء الصحابة، قيل: كان خامس خمسة في الإسلام، وهو أول من حيا النبي ﷺ بتحية الإسلام، وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه، توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان سنة 32 هـ - 652 م وقبره في الربرة.

له ترجمة في: الاستيعاب (1/ 252 - 256)، وأسد الغابة (1/ 357 - 358)، وسير أعلام النبلاء (2/ 46 - 78).

(2) في (ج): الإنسان.

(3) اللفظ الذي أورده المصنف رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان (ص: 95 رقم: 112)، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/ 1001): «أخرجه ابن أبي الدنيا بسند منقطع».

وورد الحديث من طرق عدة عن أنس بن مالك رضي الله عنه مقال: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصُّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجَمَّلُ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»، رواه أبو يعلى (6/ 53 رقم: 3298)، والبيهقي في شعب الإيمان (10/ 370 رقم: 7641)، والبزار (13/ 359 رقم: 7001)، والطبراني في الأوسط (7/ 140 رقم: 7103)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان (ص: 261 رقم: 554)، وذكر البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (6/ 18) حديث أبي يعلى وقال: «هذا إسناد رجاله ثقات»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 22): «رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، ورجال أبي يعلى ثقات»، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 274): «رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والبزار وأبو يعلى بإسناد جيد رواه ثقات».

وتأمل قوله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»⁽¹⁾.

وقوله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْأَجُوفَانِ الْفَمِ وَالْفَرْجِ»⁽²⁾، فإنه إنما أراد الكلام، فذكر اللسان والفم لكونهما سببا له ومحلا على سبيل التجوُّز، فأضيف إليه الإدخال من حيث إنه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل موبقات الكلام من أكثر ما يُدْخِلُ النَّارَ، وذلك يكون بالمسارعة إلى الذي لا يعني قائله فيترتب عليه ذلك إما بقائله وسامعه أو بقائله فقط.

وروي عن عيسى عليه الصلاة والسلام «الْعِبَادَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَجُزْءٌ فِي الْفِرَارِ مِنَ النَّاسِ»⁽³⁾.

(1) رواه الطبراني في الكبير (197/10 رقم: 10446)، وأبو نعيم في الحلية (107/4)، والشاشي في المسند (82/2 رقم: 602)، والبيهقي في الشعب (16/7 رقم: 4584)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان (ص: 18 رقم: 53)، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (998/1): «بسند حسن»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (300/10): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (342/3): «رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي بإسناد حسن».

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: 108 رقم: 289)، وأحمد (287/13 رقم: 9707)، والترمذي (363/4 رقم: 2004) وقال: حديث صحيح غريب، وابن ماجه (1418/2 رقم: 4246)، وابن حبان (224/2 رقم: 476)، والحاكم (360/4 رقم: 7919) وصححه ووافقه الذهبي.

(3) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (110/3)، والصفوري في نزهة المجالس ومنتخب النفائس (143/1).

وقال سيّدي مصطفى البكريّ في وصيّته: «وعلى المبتدئ أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث، وبقلبه عن جميع الخواطر، فإن صمت بلسانه وقلبه انكشفت له الأسرار، وفاضت عليه المعارف والأنوار».

[الركن الرابع: العزلة]

ثمّ أشار إلى الركن الرابع بقوله: (عُزِّلْتُكَ الْكَلْبِيَا)، يعني أنّ من الأركان أيضا الاعتزال، وهو عدم مخالطة النَّاس وترك مُداخلتهم، وخصوصا⁽¹⁾ أرباب الأهواء والشّهوات العاكفون على حبّها وفعلها، لأنّ في مخالطتهم ومجالستهم مشاركتهم فيما هم فيه، فيشوّشون على المريد مقاصده ويشغلونه عن مراماته في سيره وسلوكه، وربّما أنكروا عليه أحواله من مواجيد وغيرها.

والأصل في ذلك قوله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»⁽²⁾، إذ الغريب⁽³⁾ كما لا يليق به أن يشتغل بغير ما تغرّب لأجله، ولا أن يخالط النَّاس فيما لا يعنيه لغرابته بينهم، فكذلك الإنسان في هذه الدّنيا، وأنه يكون بينهم كعابر سبيل يتوجّه فيما يريده لا يشتغل بغيره ولا يلتفت إلّا إلى مطلوبه، فكذلك المريد يُندب له أن يكون بين النَّاس تاركا لهم خلف ظهره، غير مشارك لهم وغير داخل

(1) نهاية الورقة (35/ظ).

(2) رواه البخاري (228/3 رقم: 6416) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(3) [إذ الغريب] ساقط من (ع).

معهم فيما هم فيه من أحوالهم، خصوصا فيما لا يعنيه وما له عنه غنى، وذلك أمر لازم لا بدّ له منه في سلوك الطريق، وهذا شعار الصّالحين السّالفين، وعماد السّالّكين المجتهدين.

رُوي عن سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أنّه قال: «خُذُوا حَظَّكُمْ مِنَ الْعُزْلَةِ»⁽¹⁾.

[فوائد العزلة]

ومن فوائدها البعد عن الرّيبة والرّياء والغيبة، والبعد عن جلساء السّوء، وكفّ البصر عن زهرة الحياة الدّنيا، وقطع الطّمع عن النّاس وقطع النّاس عن طمعه، وعدم إذايته للنّاس وإذاية النّاس له، وغير ذلك ممّا لا يمكن استيفاءه ولا غنى لكلّ واحد عنه، خصوصا السّالّكين في طريق الله تعالى، لأنّ التّفرّغ للعبادة بالقلب والقالب لا يتأتّى مع الاختلاط بالنّاس، وقد كان ﷺ يتحنّث في غار حراء وينعزل فيه⁽²⁾، ولأنّ الإنسان ينال بالعزلة من البعد عن القواطع ما لا يدركه بغيرها.

(1) رواه وكيع في الزهد (ص: 517 رقم: 253)، وابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد (ص: 20 رقم: 13)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص: 48 رقم: 84)، وابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 81)، والخطابي في العزلة (ص: 11)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص: 93 رقم: 120)، وابن سعد في الطبقات (4/121)، الكل عن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطّاب أن عمر بن الخطّاب قال، وحفص لم يدرك جده عمر رضي الله عنه فالسند منقطع.

(2) الحديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري (9/1 رقم: 3)، ومسلم (139/1 رقم: 252).

وأقلّ نفعها التّخلص من الفتن وأسبابها، وصيانة الدّين والنّفس
والمال عن التّلف والضّياع، وعدم سماع نميمة أو غيبة.

ومن محاسن العزلة الاستتار⁽¹⁾ في الأمور الدّينية والدّنيويّة،
وعدم الانكشاف للخلق بما الإنسان مقرّر عليه، كما قال تعالى:
﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ الْعَقْفِ﴾⁽²⁾، حتى قال سفيان الثّوري⁽³⁾:
«أَقْلَلُ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ، فَإِنَّ التَّخْلُصَ مِنْهُمْ شَدِيدٌ، وَلَا أَحْسَبُ أَنِّي
رَأَيْتُ مَا أَكْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ عَرَفْتُ»⁽⁴⁾.

نعم، إذا تمكّنت الرّابطة القليبيّة من الإنسان، واتّجه له أن يكون
مختلياً في جلوته مجتلياً في خلوته، محمّديّ المنام
محله وهجيرته الجمع التّام، فلا بأس له بالمخالطة حينئذ، لأنّ العزلة
والاختلاط لديه سواء.

(1) نهاية الورقة (36/و).

(2) سورة البقرة: 273.

(3) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوري الكوفي، الفقيه
المجتهد والزاهد المتنسك والعابد الورع، كان بحراً من بحار العلم، توفي رحمه
الله بالبصرة سنة 161هـ.

انظر ترجمته في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/356 - 393)، وتهذيب
التهذيب (2/56)، وغاية النهاية في طبقات القراء (1/308).

(4) رواه ابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد (ص: 30 رقم: 43)، وفي المنامات (ص: 40
رقم: 44)، وفي التواضع والخمول (ص: 67 رقم: 39)، وأبو نعيم في الحلية
(389/6)، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (2/33 رقم: 2458)، وابن أبي حاتم في
مقدمة الجرح والتعديل (1/120).

وعن أبي أمامة الباهلي⁽¹⁾ قال: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟
قَالَ: احْفَظْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْنِكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»⁽²⁾.

تنبيهه [في أنواع العزلة].

العزلة نوعان: باطنة، وظاهرة، فالباطنة عزلة القلب مع الحقّ بحضوره معه وعدم ملاحظته الخلق بالكليّة، كما أشار إلى ذلك أبو يزيد قال: «لِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أُخَاطِبُ الْحَقَّ وَالنَّاسَ يَظُنُّونَ أَنِّي أُخَاطِبُهُمْ»⁽³⁾.

والظاهرة العزلة بالخلوة ثمّ الخلق بالفرار والبعد منهم، بحيث لا تدرك شرهم ولا يدركون شرك كما مرّ، مع التفرغ إلى عبادة الله تعالى، وفي ذلك قيل⁽⁴⁾:

(1) هو الصحابي الجليل أبو أمامة صُدِّي بن عَجْلان بن وهب الباهلي، سكن الشام، فتوفي رضي الله عنه في أرض حمص سنة 81هـ - 700م، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام.
له ترجمة في: الاستيعاب (736/2)، وأسد الغابة (398/2)، وسير أعلام النبلاء (359/3 . 363).

(2) رواه أحمد (570/36 رقم: 22235)، والترمذي (605/4 رقم: 2406) وقال: حديث حسن، وابن المبارك في الزهد (ص: 43 رقم: 134)، والطبراني في الكبير (270/17 رقم: 741)، والبيهقي في الشعب (238/2 رقم: 784).

(3) كذا نسبه المصنف لأبي يزيد البسطامي رحمه الله، ونسبه الغزالي في إحياء علوم الدين (227/2)، والشعراني في الطبقات الكبرى لأبي القاسم الجنيد رحمه الله.

(4) البيتان للإمام الحافظ أبي عبد الله الحميدي الأندلسي، انظر سير أعلام النبلاء (127/19)، ووفيات الأعيان (283/4)، ونفح الطيب (114/2).

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئاً سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَقَلِّلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لَأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِضْلَاحِ حَالِ

[الركن الخامس: كثرة الذكر]

ثم أشار إلى الركن الخامس بقوله: (كَثُرَ ذِكْرُكَ يَا غُلَامُ)، يريد رحمه الله تعالى أن من جملة أركان الطريق الإكثار من الأذكار أثناء الليل وأطراف النهار.

وفي إسناد الذِّكْرِ إلى المريد تنبيهه على أن المعنى كَثُرَ مِنَ الذِّكْرِ الذي لقَّنه الشيخ لك، لأنَّه طيب الأرواح يعرف الدَّاءَ والدَّوَاءَ.

وليس للمريد أن يذكر غير ما أمره به شيخه بوجه ما، لأنَّه يصير مخالفاً لأمره⁽¹⁾، فيذكر بذلك من دون تكاسل، بجِدِّ واجتهاد وتفرُّغ من الخواطر كلّها على حسب طاقته، مع مراعاة آداب الذِّكْرِ، من نحو طهارة كاملة وتمام حضور وتفهم معنى، عسى أنَّهُ ينال من المذكور بصدقه وإخلاصه⁽²⁾ كلَّ مرام ومنال عليه يدور.

(1) نقل محمد خليل المرادي الدمشقي في كتابة سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر (81/1) عن أحمد بن إبراهيم الجبالي الحسني العلوي الشاذلي الشافعي الإسكندري أنه كان يقول: «ينبغي لكل منتسب إلى شيخ من مشايخ الطريقة وأعلام الحقيقة أن يعرف من أذكار شيخه وأوراده وأحزابه أو ما تيسر أو قدر عليه، ليكون داخلاً معه بقدر ما عرفه منه وأخذ عنه، فإن الذي ينتسب إلى مذهب الشافعي مثلاً ولا يعرف ما تعبد به من مذهب الشافعي ليس له في تلك النسبة إلا اسمها فقط».

(2) نهاية الورقة (36/ظ).

والمطلوب من الذكر عمارة الباطن بمراقبة الله تعالى في كل زمان ومع كل حال، لأنّ الذكر يدل على المذكور لا محالة، فذكره دائماً يوجب المحبة له والمعرفة به.

وفي الحلية لأبي نُعَيْم قال يحيى بن معاذ الرّازي⁽¹⁾: «عَلَى قَدْرِ لَهْجِ الْعَبْدِ بِذِكْرِ رَبِّهِ يُدِيمُ لَهُ⁽²⁾ أَلْطَافَ بَرِّهِ»⁽³⁾.

قال السّاحلي⁽⁴⁾: «والذكر وإن اختلفت ألفاظه ومعانيه فلكل معنى من معانيه اختصاص بنوع من الحلية والتزكية، ولذلك كان استعمال الأذكار بحسب الأحوال، وهو على ثلاثة أقسام: ذكر اللسان في مقام الإسلام.

(1) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي نزيل بلخ، الإمام الحبر الواعظ، الصوفي الزاهد، حكيم زمانه وواعظ عصره، توفي رحمه الله في نيسابور سنة 258هـ . 872م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (14/212 . 215)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص: 98 . 103)، ووفيات الأعيان (6/165 . 168)، وسير أعلام النبلاء (13/15).

(2) [له] ثابتة في النسخ، وهي غير ثابتة في حلية الأولياء.

(3) حلية الأولياء (10/58).

(4) أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المالقي، المعروف بالمعظم، خطيب المسجد الأعظم بمالقة، صنف شعب الإيمان، والنفحة القدسية، وبغية السالك إلى أشرف المسالك في أحوال الصوفية، ونهضة التذكرة ونزهة التبصرة، ومنسك، توفي رحمه الله 754هـ . 1353م. له ترجمة في: الإحاطة في أخبار غرناطة (3/145)، والدرر الكامنة (5/423)، والضوء اللامع (9/52)، والأعلام (7/36).

- وذكر القلب في مقام الإيمان.

- وذكر الروح في مقام الإحسان.

ثم الذكر على قسمين: ذكر العامة، وذكر الخاصة.

أمّا ذكر العامة فهو ذكر الأجور، وهو أن يذكر العبد مولاه بما شاء من ذكره لا يقصد غير الأجر والثواب.

وأمّا ذكر الخاصة فهو ذكر الحضور، وهو أن يذكر العبد مولاه بأذكار معلومة على صفة مخصوصة، لينال بذلك المعرفة بالله سبحانه بطهارة نفسه من كلّ خلق ذميم وتحليتها بكلّ خلق كريم، طلباً للخروج من المعاني الجسمانيّة، وطمعاً في إدراك الأسرار الروحانيّة.

[شروط الذكر]

وله شروط، منها اتّخاذ سبحة يحصي بها ما أراد من الأعداد، ليسلم من تعب حصر الأحاد والعشرات والمئات والآلاف، مع أنّ ذلك من عادة السلف الصّالح وأهل الأوراد.

واعلم، أنّ الذكر يُطلق ويراد به مطلق القربات القولية تارة، ويطلق فيراد به التّلاوة، بأيّ اسم من الأسماء الرّبّانيّة أخرى، وهو من أجلّ أسباب السّلوّك والاقتراب، وأعلى مناصب أولي الألباب، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة البقرة: 152.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) (١).

وقال جلّ وعلا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (٢).

وقال عزّ شأنه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٣).

وقال ﷺ: «ذَا كَرَّ اللَّهُ بَيْنَ الْعَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ (٤) بَيْنَ الْفَارِسِ» (٥).

وقال ﷺ في الحديث القدسي: «أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ بِي» (٦).

(1) سورة الرعد: 28.

(2) سورة آل عمران: 191.

(3) سورة العنكبوت: 45.

(4) نهاية الورقة (37/و).

(5) رواه البزار (166/5 رقم: 1759)، والطبراني في الأوسط (90/1 رقم: 271)، وفي الكبير (16/10 رقم: 9797)، وأبو نعيم في الحلية (267/4)، والديلمي في الفردوس (242/2 رقم: 3140)، كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (80/10): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، ورجال الأوسط وثقوا»، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (338/2): «بإسناد لا بأس به».

ورواه البزار (301/12 رقم: 6139)، وابن شاهين في الترغيب والترهيب (ص: 60 رقم: 168)، وأبو نعيم في الحلية (181/6)، والبيهقي في الشعب (89/2 رقم: 561) وابن عدي في الكامل (167/6) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال ابن رجب في فتح الباري (376/4): «بإسناد ضعيف».

(6) رواه البخاري في صحيحه (481/3) في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ» تعليقا مجزوما، ووصله أحمد (572/16 رقم: 10976)، وابن ماجه (1246/2 رقم: 3792)، وابن حبان (97/3 رقم: 815)، والحاكم (673/1 رقم: 1824) وصححه ووافقه الذهبي.

فالذكر صقال قلوب المريدين، ومفتاح باب التفحات، وسبيل
توجه التجليات على القلوب، وبه يحصل التخلق لا بغيره.

وهو بالأسماء الإلهية على حسب مقام الذاكرين، فالمريد أولاً
يذكر كلمة الإخلاص والجلالة بقلبه ولسانه مع تأمل المعنى وإتقان
النطق، كما بينه الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في غنية المريد في شرح
نظم مسائل كلمتي التوحيد.

تنبيه: [في الذكر مع الخوف والهيبة والذكر مع الأمن والغفلة]

الذكر ذكران: ذكر خوف وهيبة، وذكر أمن وغفلة، فإذا كان الذكر
بالخوف والرّهبة خنس الشيطان وذهبت الوسوسة، وإذا كان بالأمن
والغفلة لم تفارقه الوسوسة، لأن قلب الغافل عليه غشاوة، فلا يجد
صاحبها لطعم الذكر حلاوة، ولذلك قيل: «لَا خَيْرَ فِي ذِكْرِ مَعَ قَلْبٍ
غَافِلٍ سَاهٍ»، يعني أن الذكر في هذه الحالة قليل الجدوى، وإلا فلا
ينفي عنه الخير مطلقاً.

وفي الحكم العطائية: «لَا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضُورِكَ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى فِيهِ، لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجُودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلَتِكَ فِي وُجُودِ
ذِكْرِهِ، فَعَسَى أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ غَفْلَةٍ، إِلَى ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ
يَقَظَةٍ، وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ يَقَظَةٍ، إِلَى ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ، وَمِنْ ذِكْرٍ
مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ، إِلَى ذِكْرٍ مَعَ غَيْبَةٍ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (1)» (2).

(1) سورة إبراهيم: 20.

(2) انظر الحكم لابن عطاء الله السكندري (ص: 114)، وشرح حكم ابن عطاء الله
السكندري لعبد المجيد الشرنوبلي (ص: 110).

ونحوه للغزالي⁽¹⁾.

[الركن السادس: تفريغ الفكر]

ثم أشار إلى الركن السادس بقوله: (فَرِّغْ فِكْرَكَ بِالثَّمَامِ)، يعني أنّ من أركان الطّريق أيضاً تفريغ الفكر من كلّ خاطر لا يُحدّثُ علماً، لأنّه حينئذ من الشّواغل المانعة للمريد عن مطلوبه الذي يتوصّل به إلى مرضاة ربّه وينال به ما يقبله استعداده من التّجليات الإلهيّة والتّفحات الرّبانيّة.

والفكر: قال الرّاغب: «قُوَّةٌ يَتَطَرَّقُ بِهَا إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَعْلُومِ»⁽²⁾.

وأراد المصنّف رحمه الله تعالى به القلب، الذي هو جوهر نورانيّ متوسّط بين الرّوح والنّفس، وهو الذي تتحقّق⁽³⁾ به الإنسانيّة، لأنّه من خواصّها دون الجسم الصّنوبريّ الشّكل الموجود في كلّ حيوان.

وفي الحِكم العطائيّة: «فَرِّغْ قَلْبَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ، تَمْلَأُهُ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ»⁽⁴⁾.

(1) انظر إحياء علوم الدين (301/1).

(2) انظر المفردات في غريب القرآن (ص: 643) مادة: فكر.

(3) نهاية الورقة (37/ظ).

(4) انظر الحِكم لابن عطاء الله السكندري (ص: 140)، وشرح حكم ابن عطاء الله السكندري لعبد المجيد الشرنوبلي (ص: 203).

وذلك لأنّ نور نبراس الأذكار على قدر البعد من الأغيار، وورود الإمداد على حسب الاستعداد، فتفريغ القلب من الخواطر يفضي إلى حلول الأنوار وتجلّي المعارف والأسرار وانمحاء صور الآثار.

وتعريف الخواطر وأقسامها وعدد ما يردّ على النفس في مدّة الدائرة الواحدة من دوائر الأزمان، سيجيء الكلام عليها عند تعرّض المصنّف رحمه الله تعالى لذلك.

[الركن السابع: المداومة على طهارة البدن]

ثمّ الركن السابع أشار له بقوله: (طَهِّرْ بَدَنَكَ بِالدَّوَامِ)، المراد بدوام الطهارة المواظبة عليها، ولها معنيان⁽¹⁾:

الأوّل: أن يكون محافظا على الطهارة، من نحو إسقاط الجنبات فوراً حين تحقّقها، لا يتراخى عنها إلى حين حتّى يعود نفسه التّكاسل في مثل ذلك والتّهاون في إسقاطها عنه، حيث إنّهُ ليس أضّرّ على الإنسان من بين سائر القواطع والموانع مثل حجاب الجنبات، لكونها أوّلاً قاطعة عن قراءة الأوراد والأذكار، وعن المساجد ونحوها من القربات، وبها يحصل كمال انقطاع المريد عن جُلّ وظائفه.

(1) قال الغزالي في إحياء علوم الدين (1/126): «الطهارة لها أربع مراتب:

المرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث، وعن الأخباث والفضلات.

المرتبة الثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

المرتبة الثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة.

المرتبة الرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصدّيقين».

وثانيا: فإنَّها أَجَلٌ وسيلة الشَّيْطَانِ إلى أغراضه ووساوسه، لعدم وجود الضوء الذي هو بمنزلة السُّورِ⁽¹⁾ للإنسان، فقد ورد «يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ وُضوءٍ، فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ»⁽²⁾، بمعنى أنَّه يحفظ صاحبه من المصائب، ومن أَجْلِهَا وسوسة الشَّيْطَانِ.

ونحو تطهير ثيابه وما يتعلَّق به من كلِّ شيء ممَّا تعافه الأحكام الشرعيَّة والتَّقوس الأبيَّة.

ونحو تطهير مكانه بما أمكن تطهيره، هذا هو المعنى الأوَّل وما يشاكله.

والثَّاني: هو طهارة أعضائه الظَّاهرة والباطنة من كلِّ ما يدنِّسها شرعا وحقيقة، بطهارة عينيه من نحو كفِّهما عن النَّظر إلى المحرَّمات وفعلها.

وطهارة اللِّسان من نحو كفِّه عن التَّميمة والغيبة⁽³⁾ والكذب ونقل ما لا يعني.

(1) السُّورُ: حائط المدينة، وجمعه أسوار، مثل: نُورٍ وَأَنْوَارٍ، انظر المصباح المنير (294/1) مادة: سور.

(2) رواه ابن أبي شيبة (352/2 رقم: 9817)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الخطب والمواعظ (ص: 129 رقم: 44)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/284 رقم: 2528) عن يزيد بن بشر السَّكْسَكِيِّ قال: «دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يُقَالُ لَهُ: السَّنِيُّ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ وُضوءٍ، فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ».

(3) نهاية الورقة (38/و).

وطهارة الأذنين من نحو سماع محرّم مطلقا بسائر أنواعه.

وطهارة الفم من نحو أكل الحرام ونحوه.

وطهارة اليدين من نحو عدم مسّهما الحرام أو تناوله.

وطهارة الرّجلين من نحو السّعي إلى حرام.

وطهارة القلب من نحو الرّياء والحقد والحسد والبُغْض والكِبَر والعُجْب، وحبّ الرّياسة والمال، والغضب بدون مسوغه، وحبّ الدّنيا والشّهرة، والغرور واليأس والقنوط، وعدم المبالاة بالذنوب، والشرّ وكثرة الأكل والقسوة، وأضراب ذلك والعياذ بالله.

وطهارة البطن من شبع مفرط وأكل فوق الحاجة.

وطهارة الفرج من إتيان حرام أو مباشرته، وما أشبه جميع ذلك.

فهذه أقسام الطّهارة التي تناسب أهل الطّريق، ويتعيّن أن يؤمروا بها، وهي المقصودة من أهل الله تعالى، فإذا تطهّر المرید بما أمكنه منها، إمّا بالتلبّس بأضدادها وموانعها، أو بترك المنهّي عنه من ذلك، تطهيراً حقيقياً لا رياء فيه ولا نفاق، كان حينئذ طاهراً ظاهراً وباطناً بالطّهارة المطلوبة شرعاً وحقيقة.

[الركن الثامن: ربط القلب بالشيخ]

ثمّ الرّكن الثّامن أشار له⁽¹⁾ بقوله رحمه الله تعالى: (صَحِّحْ رِبْطَكَ بِالنَّبِيِّ).

(1) في (ع) ثم أشار إلى الركن الثامن.

يعني أنّ المرید يتعیّن علیه ربط قلبه بأستاذہ کائنا من کان، لعلّہ بذلك الرّبط یهتدی فی سلوکه إلى ما هو المقصود من الاتّصاف بالصفّات العلیّیة والتّخلّق بالأخلاق المحمّدیّة، ویتوصّل إلى المعارف الرّبّانیة والتّوجّهات الإلهیّیة.

قال شیخ مشایخنا سیّدی مصطفی البکریّ رحمہ اللہ تعالیٰ:

وَالرَّبُّ مُغْنَاهُ بِأَنْ يُرَاقِبَا لِلشَّيْخِ كَيْ يَغْدُوَ لِلْقَلْبِ جَازِبًا

فالرّبط عبارة عن أن یكون المرید مراقبا لشیخه فی کلّ أحواله، کأنّہ ینظر إلیه ویطلّع علیه بدون ساتر، معتقدا فیہ أنّہ مکاشف له فی أحواله وأقواله وأفعاله.

وهذا مأخوذ من معنی المراقبة، ونتائجها کثیرة، منها دوام الأدب من المرید فی کلّ حال، حیث إنّ أستاذہ⁽¹⁾ یعرف أحواله بإطلاع اللہ تعالیٰ له من جهة وحيّة أو غیرها.

ومنها دوام حصول المدد منه إلیه.

ومنها أنّہ بها یندفع عنه القواطع، لأنّها تنشأ غالبا من عدم المراقبة، لكي بها یصیر أستاذہ لقلبه⁽²⁾ جاذبا عن أن یشتغل بشیء من الأغیار الكونیّة.

(1) نهاية الورقة (38/ظ).

(2) [قلبه] ساقط من (ع).

وذلك لأنّ الأساتذة في التسليك على أقسام، فمنهم من يسلك بالقول، ويرشد مريده إلى كلّ ما يلزمه في الطريق بأقواله، مع تعلّق همّته به في ترقّياته لدى مقامات الطريق وأحواله.

ومنهم من يسلك بالحال، وهو أعلى من الأوّل، لأنّه يدلّ على كمال همّة الأستاذ وسعة دائرته القليّة.

فلهذا وجب ربط القلب من المريد بأستاذه، لتّحد الهمّتان من كلا الطرفين.

قال سيّدي عبد الوهّاب الشّعرايّ في كتاب العهود والمواثيق: «واعلم يا أخي أنّ ربط أحدنا قلبه بشيخ حيّ أو ميّت ينفعنا ولو لم يكن ذلك الشّيخ في علم الله تعالى شيخاً، لأنّ ربطنا حقيقة إنّما هو لاستناده هو إلى الله تعالى لا لذاته»، اهـ.

والألف في قوله: (باليّنا) بدل عن التّاء للقافية.

[حث وتحضيض على الأركان الثمانية]

قوله:

101 - هَذِهِ الثَّمَانِيَّةُ الْأَرْكَانُ الْجُنَيْدِيَّةُ

102 - بِهَا بَلَّغُوا الصُّوفِيَّةَ حَضْرَةَ الْوَحْدَانِيَا

103 - بِهَا بَلَّغُوا الْمُرِيدِينَ مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ

104 - حَتَّى صَارُوا وَاصِلِينَ فِي مَقَامِ التَّرْقِيَا

اسم الإشارة مبتدأ، و(الثَّمَانِيَّةُ) بدل أو عطف بيان، و
(الْأَزْكَانُ) خبر⁽¹⁾، و (الْجُنَيْدِيَّةُ) صفة لمحذوف تقديره للطريقة.

وقوله: (الصُّوفِيَّةُ) فاعل بلغوا، على لغة أكلوني البراغيث.

و (حَضْرَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ) مفعوله ومضاف إليه.

والحضرة الواحدانية المرتبة المستهلكة فيها جميع الأسماء
والصفات.

وقد نظم هذه الثمانية أبو الفتوح سيدي محمد كمال الدين بن
شيخ مشايخنا سيدي مصطفى البكري فقال:

صَمْتُ وَجُوعٌ سَهْرٌ ثُمَّ اغْتَزَالَ دَوَامٌ طَهْرٌ ثُمَّ ذَكْرٌ بِكَمَالٍ
وَنَفْيٌ كُلِّ خَاطِرٍ قَدْ أُوجِبُوا وَزَيْطُ قَلْبٍ بِإِمَامٍ ذِي مَقَالٍ

و(المُرِيدِينَ)⁽²⁾ من قوله: (بِهَا بَلَّغُوا الْمُرِيدِينَ) مفعول بفعل
محذوف تقديره أعني، وفاعل (بَلَّغُوا) يعود على الصوفية.

[حَقِيقَةُ الْمُرِيدِ]

و (المُرِيدُ) هو السَّالِكُ في طريق الله تعالى، المفارق لأغراض
نفسه، المشتغل بمرضاة ربه المالك لأحواله كلها، والتَّارِكُ لكلِّ ما
سواه.

(1) في (ع) خبر المبتدأ.

(2) نهاية الورقة (39/و).

قال سيدي مصطفى البكري: «المريد هو من ملك نفسه وهواه، واستحكم فيه حبه ووجدته وجواه، وأقبل بكلّيته وحامى عن رعيته، وأطلق عنان جواده في ساحة جلاده، وترك كلّ مألوف وألوف، وصار عن الغير مخطوفا، عرف مقدار ما هو طالبه فجداً، وبدت له كنوز المطالب ففي طلبها كذا، قطع حبال الآمال، وقلع آثار الإهمال، واستعدّ لهواتف الحقّ ودواعي الصدق، وصحب من الأخلاق أعلاها ومن الأوصاف أغلاها، لم يجنح لكسل ولا لبطالة، ولا مال لسُلُو ولا ملاله، سَمَّته⁽¹⁾ الأدب والإطراق، وعليه لوائح القبول والإشراق، أنفاسه معدودة، وأفعاله محدودة».

وقيل: المريد⁽²⁾ هو المراقب لأنفاسه، المحافظ على حفظ حواسه.

[مقامات السالكين]

وقوله: (مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ) مفعول (بَلَّغُوا)، جَمْعُ مَقَامٍ بفتح الميم، وهو ما يتحقّق به العبد بمنزلته من الآداب، ممّا يُتوصّل إليه بنوع تصرّف، ويتحقّق به بضرب تطلّب ومقاساة تكلف، فمقام كلّ أحد موضع إقامته.

وشرطه عند القوم أن لا ينتقل للثاني حتى يستوفي أحكام الأوّل. والفرق بينه وبين الحال، أنّ الأحوال مواهب والمقامات مكاسب.

(1) في (ج): شيمته.

(2) [المريد] ساقط من (ع).

و(السَّالِكِينَ) جمع سالك، والسَّالِك هو الدَّاخل بروحه في المقامات الإلهية بطريق الجدِّ والاجتهاد، ومخالفة الشهوات والجهاد، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽¹⁾، وبقوله ﷺ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»⁽²⁾.

وأشار بقوله: (حَتَّى صَارُوا وَاصِلِينَ)⁽³⁾ إلخ، إلى أنَّ سلوك طريق القوم يوصل إلى الترقى في المقامات التي لا تُحصى، والتَّلَقَّى من التَّفَحَات التي لا تُستقصى، لأنَّ الفيض الإلهي لا ينقطع ولا يفنى فالتَّرَقَّى كذلك، فَمَنْ ظَنَّ أنَّ السُّلُوك يوصل إلى غاية أو إلى نهاية فهو جاهل بمقاصدهم في عباراتهم، بل السُّلُوك إنما يوصل إلى معرفة الحقِّ جلَّ وعلا، فالواصل مَنْ عرف الحقَّ سبحانه وتعالى حقَّ معرفته، بمعرفة تجلياته ونعمائه الإلهية، فاستعدَّ قلبه إلى تمييزها ومعرفتها ومعرفة ما معها من الواردات بجلاء مرآته وقطع مطامع نفسه وقهرها، والتَّقَرَّب إليه سبحانه وتعالى بامثال مأموراته والوقوف عند منهيَّاته والعمل بالتَّوافل والإقتداء بالسَّلف الصَّالح.

جعلنا الله تعالى مِمَّنْ التحق بذلك الفريق، وذاق من المعارف الربانية حلاوة التَّحقيق.

(1) سورة العنكبوت: 69.

(2) رواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير (ص: 165 رقم: 373) وقال: «هذا إسناد فيه ضعف»، وابن الجوزي في ذم الهوى (ص: 39)، والخطيب في تاريخ بغداد (498/13)، عن جابر رضي الله عنه، وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (489/1).

(3) نهاية الورقة (39/ظ).

[شروط الورد]

105 - اخْذْ يَا أَخِي الشُّقُوطُ وَاحْفَظْ هَذِهِ الشُّرُوطُ

106 - عَدُّهَا تَسَعٌ مَضْبُوطٌ عِنْدَ أَهْلِ التَّرْبِيَا

ولمّا فرغ من الكلام على أركان الطريق الموصل إلى مرضاة الله تعالى، شرع في ذكر شرائط الورد، محدّثاً من الانحطاط عن مراتب المجتهدين في طاعة الله تعالى بقوله: (اخْذْ) إلخ، وأمراً بحفظ شروط الورد لأجل العمل بها، مُصَرِّحاً بأنّها تسع شرائط معلومة عند الأساتذة أرباب التربية.

[الشرط الأول: الاستكثار من الذكر في الليل والنهار]

أشار إلى الأوّل بقوله:

107 - أَوَّلُهَا الْإِسْتِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِكَ بِالِاسْتِهْثَارِ

108 - فِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ سَبْعُونَ أَلْفَ فِذْيَا

عملاً بقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) (1).

وقوله تعالى (2): ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ (3).

(1) سورة الأحزاب: 41.

(2) الآية ساقطة من (ج).

(3) سورة آل عمران: 41.

وقوله تعالى: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧) ﴿٢﴾.

وبما أخرجه الإمام مالك رحمه الله تعالى في الموطأ عن معاذ ابن جبل ^(٣) رضي الله تعالى عنه «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٤) مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى» ^(٥).

(1) سورة الأحزاب: 35.

(2) سورة محمد: 7. وردت في المطبوع وفي نسخة (ج) «إِنْ تَذَكَّرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»، وهو سهو من المصنف أو خطأ من الناسخ.

(3) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي المدني البصري، أسلم وله ثمان عشرة سنة، شهد العقبة شاباً أمرد، وجمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وشهد له النبي ﷺ بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام، توفي رضي الله عنه سنة 17هـ - 638م، وقيل: سنة 18هـ - 639م، وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

له ترجمة في: الاستيعاب (3/ 1404 - 1407)، وأسد الغابة (4/ 418 - 421)، والإصابة (6/ 136 - 138).

(4) نهاية الورقة (40/و).

(5) رواه مالك (1/ 211 رقم: 24)، وابن المبارك في الزهد (ص: 340 رقم: 960)، وابن ماجه (2/ 1245 رقم: 3790)، والحاكم (1/ 673 رقم: 1825) وصححه، وأبو نعيم في الحلية (1/ 235)، والبيهقي في الشعب (2/ 59 رقم: 516)، الكل رووه موقوفاً على معاذ رضي الله عنه، ورفع غيرهم، رواه أحمد (36/ 396 رقم: 22079)، وعبد بن حميد في المنتخب (ص: 73 رقم: 127)، والطبراني في الكبير (20/ 166 رقم: 352)، والبيهقي في الشعب (2/ 61 رقم: 518)، وحسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/ 349)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 73): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

وقوله: (مِنْ ذِكْرِكَ) يتعلّق بـ (الاستِثْكَارِ).

و (الاستِثْكَارُ بِالذِّكْرِ) المواظبة عليه عن حبّ ورغبة فيه.

والفاء في قوله: (فَفِي اللَّيْلِ) داخلة على فعل محذوف، والتقدير فتذكر في مدّة الليل والنّهار سبعين ألفاً من كلمة التّوحيد.

و (أَلْفٌ فِدْيًا) بدل من التّاء رعاية للقافية.

وأشار بذلك إلى ما دار بين محقّقِي الصّوفيّة، واعترف بتجربته أكثر الأئمة السّنيّة، مِنْ أَنْ مَنْ ذَكَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ كَانَتْ فِدَاةً مِنَ النَّارِ جَمَعَتْ أَوْ أَفْرَدَتْ، وكذا من ذكرها وصرف ثوابها للغير كان ذلك فداءً له من النّار.

قال الغزالي في الإحياء⁽¹⁾: «قال رسول الله ﷺ: «لَوْ جَاءَ قَائِلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِثُرَابٍ⁽²⁾ الْأَرْضِ دُنُوبًا غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ»⁽³⁾.

(1) إحياء علوم الدين (297/1).

(2) كذا وردت عند المصنف، والذي في الإحياء «بِقُرَابٍ»، مصدر قارب يقارب، أي بما يقارب ملأها.

(3) لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ، وقد ذكره الإمام السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (302/3) من جملة الأحاديث الواردة في الإحياء ولم يجد لها إسناداً. ومعناه صحيح، يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه (4/2068 رقم: 2687) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

قوله:

- 109 - وَالْأَوْسَطُ نِصْفُهَا عُدَّ لَهُ نَقْطُهَا
 110 - لَا يَنْبَغِي نَقْضُهَا هَكَذَا قَدْ رُويَا
 111 - وَاسْمَعْ مِنِّي يَا عَلِيلُ اثنِي عَشَرَ قَلِيلُ
 112 - لَا تُنْقِضْ مِنْهَا قَلِيلُ وَلَوْ كُنْتَ شَاقِيَا
 113 - هَذَا لِأَهْلِ السُّلُوكِ وَالْقَاصِدِينَ الْمُلُوكِ
 114 - أَمَّا أَهْلُ التَّبَرُّكِ تَكْفِيهِمْ وَلَوْ مَيَا

لَمَّا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْأَوَّلَ مِنْ شَرَائِطِ الْوَرْدِ الْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الذِّكْرِ، بَيَّنَّ أَنَّ الذَّاكِرِينَ عَلَى قَسَمَيْنِ، أَصْحَابِ سُلُوكٍ، وَأَرْبَابِ تَبَرُّكِ.

أَمَّا أَصْحَابُ السُّلُوكِ فَعَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ:

— مَكْثَرِينَ: وَهُمْ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ أَوْ اسْمَ الْجَلَالَةِ أَوْ غَيْرَهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى سَبْعِينَ أَلْفًا كُلَّ يَوْمٍ.

- وَمَتَوَسِّطِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ نِصْفَ السَّبْعِينَ أَلْفًا خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (عُدَّ لَهُ نَقْطُهَا)، لِأَنَّ اللَّامَ بِحَسَبِ الْجَمَلِ ثَلَاثُونَ وَالْهَاءُ خَمْسَةُ.

- وَمَقْلِّينَ، وَهُمْ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى ذِكْرِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا كُلَّ يَوْمٍ.

وأشار بقوله: (اسْمَعْ مِنِّي يَا عَلِيل) إلخ، إلى أنه لا ينبغي لمريد سلوك طريق القوم الاقتصار على الاثني عشر ألف⁽¹⁾، وأنه لا يسوغ نقص شيء منها ولو كان المريد فقيراً معسراً لا يستغني عن السعي والاكتساب للقيام بضروريات نفسه أو أهله، فقوله: «وَلَوْ كُنْتُ شَاقِيًا»، أي صاحب شدة⁽²⁾ وعسر، يقال: شقاه يشقوه غلبه، لأنّ الفقير يعالج الأسباب، ويكابد أحوال الاكتساب.

والشَّقَا: الشَّدة والعسر بالقصر والمدّ، اهـ قاموس بتصرف⁽³⁾.

وأما أصحاب التَّبرِّك فحسبهم ما رتّبوه لأنفسهم بواسطة شيخهم، بعد القيام بالمأمورات وترك المحذورات، ولو مائة بعد كلّ صلاة، وإن كان المطلوب الإكثار من ذكر الله عزّ وجلّ لِمَا مرّ.

[الشرط الثاني: المذاكرة]

قوله:

115 - ثَانِيهَا الْمَذَاكِرَا تَبْلُغُ ذِكْرَكَ لِلْحَضَرَا

116 - تَفْتَحُ عَيْنَ الْبَصِيرَا تُثْمِرُ فِي الْقَلْبِ النَّيَا

117 - رَاسِيَةَ كُرَاسِيِهِ وَعَظِيَّةَ أَدْبِيهِ

118 - تَغْشِيْقِيَا تَنْشِيْطِيَا جَلْبَ شَوْقِي هَدِيهِ

(1) [ألف] ساقط من (ع).

(2) نهاية الورقة (40/ظ).

(3) انظر القاموس المحيط (ص: 1300).

يعني أنّ الشرط الثاني من شرائط الورد المذاكرة، أي التذاكر بمعنى الوعظ، لأنّه يقتضي تكميل الناقص وهداية الجاهل، والناس متفاوتون في الانتفاع به، فكلّ أحد ينتفع بقدر ما وُفِّقَ إليه، وقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بذلك فقال عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ (١).

قال بعض المفسّرين⁽²⁾: «أو لم تنفع، فما عليك إلّا البلاغ، فتكون الآية من باب الاكتفاء، على⁽³⁾ حدّ قوله تعالى: ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾»⁽⁴⁾، أي والبرد، ولما كان ﷺ مبعوثاً للخلق كافّة أمر بتذكيرهم كذلك، سواء نفعتهم الذكرى أو لم تنفعهم»، قاله الرّازي⁽⁵⁾.

والدّاعون إلى الله تعالى المحبّيون عباد الله إلى الله، الماشون في الأرض بالنّصيحة، يجب عليهم التذكير لأنّه من النّصيحة، وقد قال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»⁽⁶⁾.

(1) سورة الأعلى: 9.

(2) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (133/31).

(3) في (ج) عن.

(4) سورة النحل: 81.

(5) هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي، الإمام المفسر، أوحّد زمانه في المعقول والمنقول، أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري، ترك مصنفات مهمة منها المحصول في أصول الفقه، ومفاتيح الغيب في تفسير القرآن، توفي رحمه الله بهراة سنة 606 هـ - 1210 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (501. 500/21)، ووفيات الأعيان (248/4 . 252)، وطبقات الأُسوي (124 . 123/2)، وشذرات الذهب (22 . 21/5).

(6) رواه البخاري في صحيحه (24/1) تعليقا، ووصله مسلم (74/1 رقم: 55) عن تميم الدّاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

[ثمرات المذاكرة]

وللمذاكرة ثمرات:

أحدها: بلوغ الذّكر إلى حضرة القبول ودائرته بتلبّسه بالإخلاص.

ثانيهما: فتح عين البصيرة التي هي قوّة للقلب المنوّر تُدرك بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للجسم يدرك به صور الأشياء وظواهرها.

ثالثها: قصد الشّيء المأمور به واجبا كان أو مندوبا، والرّغبة في عمله والقيام به.

قال شيخنا سيّدي مُحَمَّد بن عبد الرّحمن: «المُذَاكَرَةُ تَنْفِي الشَّكَّ وَالْوَهْمَ وَالْمَلَلْ، وَتَجْلِبُ الْقَرِيحَةَ وَالنَّشَاطَ»، اهـ.

[أقسام المذاكرة]

وقسّمها المصنّف رحمه الله تعالى إلى قسمين:

- رَأْسِيَّة⁽¹⁾: وهي عبارة عمّا يليق به المُذَكِّرُ على غيره من حفظه.

- وكراسِيَّة: وهي ما يسرده على غيره من الدّفاتر وبطون الكتب.

وفي كلّ منهما:

- إمّا وعظِيَّة وهي ما اشتملت على ذكر ترغيب أو ترهيب.

(1) نهاية الورقة (41/و).

- أو أدبيّة وهي ما اشتملت على ذكر الآداب الواجبة على المريد أو المستحبّة.

- أو تعشيقيّة وهي ما اشتملت على ذكر التّغيب في كلّ أمر مرغوب فيه شرعا، فهي أخصّ من الوعظيّة.

- أو تنشيطيّة وهي ما اشتملت على تأهيل النّفس وتطويبها للعمل أو التّرك، وهي مغايرة للوعظيّة كما لا يخفى.
فجملة الأقسام ثمانية.

وقوله: (رَاسِيّة) حال من خبر ثانيها وهو المذاكرة، وما بعده معطوف عليه بحذف العاطف.

وتسكين الهاء من قوله: (رَاسِيّه) وما عطف عليه للوزن.

وقوله: (جَلْبَ شَوْقٍ) منصوب بنزع الخافض، وهو اللّام التّعليّة.

وقوله: (هَدِيّة) معطوف على شوق، يعني أنّ من ثمره التّذكير نزوع النّفس إلى الطّاعة وحلول الهداية في القلب.

قال البوصيريّ رحمه الله تعالى⁽¹⁾:

وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ

(1) انظر قصيدة الهمزية (ص: 15).

[الشرط الثالث : زيارة الشيخ]

ثم قال رحمه الله تعالى :

- 119 - ثَالِثُهَا الزِّيَارَةُ نُوَارِيهِ ثِمَارُهُ
120 - مَنْ كَثُرَ مِنْهَا يَبْرَأَ مِنْ أَمْرَاضِ قَلْبِيَا
121 - زِيَارَةُ لِلْمَكَانِ وَخَلِيفَةِ السُّلْطَانِ
122 - زِيَارَةُ لِلإِخْوَانِ وَالْمُقَدِّمِ تَالِيَا

يعني أنّ الشرط الثالث من شرائط الورد زيارة الشيخ ولو مرتين في السنة.

- مرّة في زمان النُّوَارِ على وزن رُمان⁽¹⁾، وهو الزَّهَر مطلقاً، أو الأبيض خاصّة، وذلك في فصل الربيع.

- ومرة في زمان الثِّمَارِ على وزن جِبَال، جمع ثَمَرٍ على وزن جَبَل⁽²⁾ وهو حمل الشَّجَر، وذاك فصل الخريف غالباً.

وخصّ هذين الزّمانين تفاعلاً بحصول نور الورد وثمرته للزّائر بحول الله تعالى وقوّته.

(1) النُّوَارُ: مَضْمُومًا مُشَدَّدًا، نَوْرُ الشَّجَرِ، الْوَاحِدَةُ نُوَارَةٌ، وَهُوَ الزَّهَرُ، وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ (306/14): «الْأَبْيَضُ مِنْهُ، أَيْ مِنَ الزَّهَرِ، وَالزَّهَرُ الْأَصْفَرُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَبْيَضُ ثُمَّ يَصْفَرُ».

(2) [على وزن جبل] ساقط من (ع).

[فضل الزيارة وثمراتها]

وفيها فضل عظيم، يشهد له قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَارَ رَجُلٌ رَجُلًا فِي اللَّهِ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ، إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ: طِبْتَ وَطَابَ سَفْرُكَ، وَطَابَتْ⁽¹⁾ لَكَ الْجَنَّةُ»⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (41/ظ).

(2) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (247 رقم: 709) بهذا اللفظ من قول سعد الطائي.

وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (613/1): «أخرجه ابن عدي من حديث أنس دون قوله «شوقا إليه ورغبة في لقائه».

والحديث الذي ذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (9/3) في ترجمة حماد بن جعفر، ونصه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَيُّمَا عَبْدٍ يَزُورُ أَخَاهُ فِي اللَّهِ إِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: عَبْدِي زَارَنِي عَلَيَّ قِرَاهُ»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ الدُّورِيُّ: «وَلَنْ أَرْضَى لِعَبْدِي بِقِرَاهِ دُونَ الْجَنَّةِ»، وقال: «إِلَّا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ»، قال ابن عدي: «حماد بن جعفر أظنه بصريا منكر الحديث».

وورد من طريق آخر عند البزار (101/13 رقم: 6466) قال عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (500/10): «بسند جيد»، ونصه: عن أنس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ أَتَى أَخَاهُ لَهْ يَزُورُهُ فِي اللَّهِ، إِلَّا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: عَبْدِي زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ».

وله شاهد حسن رواه أحمد (216/14 رقم: 8536)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 126 رقم: 345)، والترمذي (365/4 رقم: 2008)، وابن ماجه (464/1 رقم: 1443)، وابن حبان (228/7 رقم: 2961)، ونص الحديث كما في الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْسَاكَ، وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا».

وورد عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي»⁽¹⁾، فهي من شعائر الدين وسنن الأنبياء والمرسلين.

ومن ثمرتها حصول اللقاء والنظرة من المربي، فإنّ الأساتذة في التسليك على أقسام، فمنهم من يُسَلِّكُ المريد بأقواله، ومنهم من يُسَلِّكُهُ بنظره وهِمَّتِهِ وحاله⁽²⁾.

وقوله: (مَنْ كَثُرَ مِنْهَا يَبْرَأ) إلخ، يريد إما بسبب ما يسمعه من شيخه من المواعظ والتّصائح المشتملة على أدوية تلك الأمراض، أو

(1) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن المبارك في الزهد (ص: 249 رقم: 716)، وأحمد (183/32 رقم: 19438)، وعبد بن حميد في المنتخب (ص: 125 رقم: 304)، والبيهقي في شعب الإيمان (11/313 رقم: 8583) عن عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي».

ورواه مالك (2/953 رقم: 16)، وأحمد (36/359 رقم: 22030)، وابن حبان (2/335 رقم: 575)، والحاكم (4/186 رقم: 7314) وصححه ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

(2) يقول أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (2/247): «والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء، وبركة النظر إليهم، فإن النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة؛ وفيه أيضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم، هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم، كيف ومجرد زيارة الأخوان في الله فيه فضل»..

بسبب نفحة من نفحات الله تعالى تشفيه من علته وتُرقيهِ بملاحظة شيخه ببصره وبصيرته.

وقوله: (زِيَارَةُ لِلْمَكَانِ) إلخ معناه ظاهر، أو المراد بالمكان مقام الشيخ ومحلّ سكناه، وخليفته هو مَنْ أقامه مقامه وعَهْدَ له بالتربية بعد وفاته.

وكما يندب زيارة الشيخ كذلك تندب زيارة الإخوان لعموم الحديث.

والمراد بالمُقَدَّم مَنْ يُجِيزُهُ الشيخ المربي ويأذن له في تلقين الأوراد لِمَنْ أراد، بشرط أن تكون فيه أهليّة للإرشاد.

[الزيارة ترقّي وتربي]

قوله:

- | | | |
|-------|----------------------------------|--------------------------|
| 123 - | زِيَارَةُ الْمُـرَبِّي | تُرْقِي وَتُـرَبِّي |
| 124 - | بَعْدَ مَوْتِهِ حُـبِّي | كَيْفَمَا كَانَ حَيًّا |
| 125 - | تَعَرَّضُوا يَا إِخْوَانُ | لِنَفَحَاتِ الرَّحْمَانِ |
| 126 - | زُورُوا بَنَ عِبْدَ الرَّحْمَانِ | لَمْ تَكُونُوا أَشْقِيَا |

قصد بذلك المبالغة في الحثّ على زيارة شيخ التربية، لأنّ زيارة الشيخ مطلوبة سواء كان شيخ تعليم أو شيخ ترقية أو شيخ تربية، إلّا أنّ زيارة المربي أكد وأفيد، لأنّها ترقّي الزائر من حال إلى حال وتنقله

من مقام إلى مقام، بما يسمعه من أقواله ويشاهده من أفعاله وأحواله إن كان حيًّا، ولا يترك زيارته ولو ميّتًا.

وأشار بقوله: (تَعَرَّضُوا) إلخ إلى حديث⁽¹⁾: «إِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»⁽²⁾.

ومن التعرّض لها زيارة الصّالحين ومشايخ التّربية الذين منهم الشّيخ الإمام شيخنا سيّدي مُحَمَّد بن عبد الرّحمن رحمه الله تعالى، فإنّه يُرَجَى لِمَن زاره السّعادة.

وروى أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَتِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ»⁽³⁾، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَيُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ»⁽⁴⁾.

(1) [حديث] ساقط من (ع).

(2) رواه والطبراني في الأوسط (180/3 رقم: 2856)، وفي في الكبير (233/19 رقم: 519) من حديث محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (231/10): «وفيه من لم أعرفه، ومن عرفتهم وثقوا».

(3) نهاية الورقة (42/و).

(4) رواه أبو نعيم في الحلية (162/3)، والطبراني في الكبير (250/1 رقم: 720)، والقضاعي في مسند الشهاب (407/1 رقم: 701)، والبيهقي في شعب الإيمان (370/2 رقم: 1083)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (231/10): «رواه الطبراني، وإسناده رجاله رجال الصحيح، غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة».

تنبيه [في أن زيارة الحي أفيد وزيارة الميت أسلم].

زيارة الحيّ أفيد لما يوجد معه من المشافهة والمخاطبة والتّعليم ورؤية الأفعال والأحوال كما مرّ، وزيارة الميت أسلم من حيث أنّ الرّائر لا تصنّع له مع الميت ولا يأتيه بقصد الاختبار والميزان، إلّا أنّ التمسك بالأموال وهجران الأحياء من قلة الاعتقاد في الأحياء.

قال في تاج العروس⁽¹⁾: «الأولياء كثيرون لا ينقص عددهم ولا مددهم، فلو نقص واحد منهم لنقص نور النّبوة»، انظر تمام كلامه. وفي ذلك قيل:

زِيَارَةُ أَرْبَابِ الثَّقَى بِرُحْمٍ يُبْرِي وَمِفْتَاحُ أَبْوَابِ الْهِدَايَةِ وَالْخَيْرِ
وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَرُبُوهُ بِجَذْبَةٍ فَفَاجَأَهُ الْفَتْحُ الْمُبِينُ مِنَ الْبَرِّ

ولابن باديس⁽²⁾ في سِينِيَّتِهِ:

وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْ قَاصِدِ النَّفْعِ فِيهِمْ عَلَى مَنْ يَكُنْ حَيًّا فَلَاكَ مِنَ الطُّمَسِ

(1) كتاب تاج العروس الهادي لتهذيب النفوس، لابن عطاء الله السكندري .

(2) هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب، وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة، محبا لأهل العلم كثير العطاء، وكان مالكي المذهب، صنف النفحات القدسية في تراجم مشائخ الصوفية، وهي منظومة سينية، توفي رحمه الله في شعبان سنة 454هـ . 1062م.

له ترجمة في: وفيات الأعيان (233/5 . 235)، وسير أعلام النبلاء (140/18).

فَإِنَّ شُهُودَ النَّفْعِ يَنْفِي مَقَالَهُ وَلَا سِيَّمَا وَالْقَوْمُ نَصُّوا عَلَى الْعَكْسِ

[الشرط الرابع: الفرار من الأضداد]

ثم قال رحمه الله تعالى:

127 - رَابِعُهَا يَا زُهَّادُ هُرُوبُكُمْ مِنَ الْأَضْدَادِ

128 - جَانِبُوهُمْ بِالْبِعَادِ خَوْفَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ

129 - كُلُّ مَا يَقْطَعُكُمْ عَنْ حَضْرَةِ رَبِّكُمْ

130 - كُلُّ مَا يَمْنَعُكُمْ عَنِ الصِّدْقِ وَالنِّيَا

هذا هو الشرط الرابع من شرائط الورد، وهو الفرار من الأضداد وصحبة الدُّون، أعني مَنْ لَا يُنْهَضُكَ حَالُهُ وَلَا يَدُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ، فَإِنَّهَا ضَرَرٌ مُحْضٌ، وَحِجَابٌ يَغْطِي عَنْكَ عِيوبَكَ وَيَحْجُبُ نَقْصَكَ وَتَقْصِيرَكَ، وَذَلِكَ⁽¹⁾ مِنْ أَعْظَمِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، وَلِهَذَا جَعَلَ خَشْيَةَ التَّلَبُّسِ بِأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ عِلَّةً لِلْفَرَارِ مِنَ الْأَضْدَادِ وَالاجْتِنَابِ مِنْهُمْ، فَقَوْلُهُ: (خَوْفَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ) مَنْصُوبٌ عَلَى الْغَرَضِ⁽²⁾.

وفي ذلك قيل:

(1) [وذلك] ساقط من (ع).

(2) في هامش الأصل: قوله: (الغرض) لعل مراده أنه منصوب على أنه مفعول لأجله، وهو علة وغرض لفاعل الفعل، اهـ.

وَجَانِبِ الْأَضْدَادِ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالْاِغْتِرَارِ إِنْ أَرَدْتَ فَضْلَهُ

لأن الغافل عن يوم حلوله في رmse انغمر بحفظ نفسه، ضدّ لليقظان الساعي بالجدّ والاجتهاد في القيام بحقوق ربّه.

ولأنّ المرید متوجّه إلى الله⁽¹⁾ عزّ وجلّ، ولا يتحقّق له ذلك إلّا بالإعراض عن كلّ ما سواه ولا سيّما الأضداد، إذ المطلوب رفع الهمة عن الخلق وتعلّقها بالملك الحقّ، ولذلك قيل: «الْعَارِفُ مَنْ لَا يَعْرِفُ فِي الدَّارَيْنِ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَشْهَدُ مَعَ اللَّهِ سِوَى اللَّهِ».

وقد نهى سبحانه عن ضُحْبَةِ الأضداد فقال جلّ وعلا: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَّ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾⁽²⁾.

وإنّما أمروا بمجانبتهم لأنّ الطبع يسرق من النفس مجبولة على ذلك، والطريق مؤسّس على مخالفتها، وتحمل الأثقال ومفارقة الأشكال، ومعالجة الأخلاق وممارسة المشاقّ.

وقوله: (كُلُّ مَا يَقْطَعُكُمْ) خبر مبتدأ محذوف أو مفعول بفعل محذوف تقديره أعني، و (مَا) مصدرية.

و (حَضْرَةُ الرَّبِّ) تعالى هي حضرة⁽³⁾ التّقدس المطلق.

(1) نهاية الورقة (42/ظ).

(2) سورة الكهف: 28.

(3) في (ط) دائرة التّقدس.

و (كُلُّ مَا يَمْنَعُكُمْ) عطف على (كُلِّ) قبله، فأفاد أنَّ الأمراض
القلبية هي كل قاطع عن حضرة الرَّبِّ، وكل مانع من الاتِّصاف
بالصدق والنتية في الأعمال الصالحة.

[أوصاف الأضداد الذين يتعيَّن الفرار منهم]

ثم بيَّن الأضداد وهم أهل الغفلة الذين يجب على المريد
الهروب منهم بقوله:

131 - مَنْ لَا يَرَى طَرِيقَكَ وَالطَّاعِنُ فِي شَيْخِكَ

132 - مَنْ لَا يَتَّبِعِي إِخْوَانَكَ جَانِبُهُمْ بِالْكُلِّيَا

133 - أَصْحَابُ الْقِيلِ وَالْقَالَ الْمُتَهَمِّكِينَ فِي الْمَالِ

134 - الْمُشْغُولِينَ بِالْأَمَالِ فِي هَذِهِ الْفَانِيَا

يعني أنَّ المراد بالأضداد الذين يتعيَّن الفرار منهم ولا تجوز
مصاحبته:

- كلَّ مَنْ لَا يَسْتَحْسِنُ طَرِيقَكَ، و يرى أنَّ هناك من الطُّرق ما هو
أكمل وأفضل منها.

- وكلَّ مَنْ يَتَلَبَّسُ بِالطَّعْنِ فِي شَيْخِكَ تَصْرِيحًا أَوْ تَعْرِيزًا، بأن
يمدح غير شيخك من مشايخ العصر، حتَّى إذا سمع المريد من أحد
شيئا يكرهه في حقَّ شيخه فعليه ردّه ما استطاع، والجواب عنه
بالأجوبة الحسنة، وإقامة الدليل والحجّة إن قدر، فإن رجع وأنصف
فيها، وإلّا لزم البعد منه وترك المجالسة له.

.وَكُلٌّ مِّنْ لَا يَحِبُّ إِخْوَانَكَ وَيَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَلَيْهِمْ، وَيَتَعَرَّضُ
لِلْإِطْلَاعِ عَلَى سِقَطَاتِهِمْ⁽¹⁾ وَزَلَّاتِهِمْ، إِذْ كُلٌّ ذَلِكَ عَلَامَةٌ عَلَى الْبَغْضِ،
لَأَنَّ عَيْنَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ.

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله تعالى عنه: «لَا يُؤْمِنُ
أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽²⁾.

وقوله: (بِالْكُلِّيَّاتِ) بإبدال التاء ألفاً صفة لمصدر محذوف،
أي مجانبَةً كُلِّيَّةً بترك مجالستهم في كل وقت ما داموا متّصفين بما
ذكر.

وقوله: (أَصْحَابُ الْقِيلِ وَالْقَالِ) معطوف على (مَنْ لَا يَرَى
طَرِيقَكَ) بحذف العاطف، وكذا ما بعده.

وأراد رحمه الله تعالى بذلك أنّه كما يتعيّن الفرار من مصاحبة كلِّ
مَنْ اتّصف بصفة من الصّفات الثلاثة المتقدّم ذكرها، كذلك يجب
الهروب من كلِّ مَنْ اتّصف بصفة من هذه الصّفات أيضاً وهي:

- كثرة الكلام، أي فيما لا يعني وفي المواطن التي يُطلَبُ فيها
الصّمت، فإنّ ذلك يؤدّي إلى الهلاك والخروج عن موجبات الكمال،
ومن المعلوم أنّ كثير الكلام إن أصاب فهو ملوم، وإن أخطأ فحظّه
المصيبة من الشّوم.

(1) نهاية الورقة (43/و).

(2) متفق عليه. رواه البخاري (14/1 رقم: 13)، ومسلم (67/1 رقم: 45).

قيل: إِنَّ أَبَا حَمْزَةَ الْبَغْدَادِيَّ⁽¹⁾ كَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: تَكَلَّمْتَ فَأَحْسَنْتَ، فَإِذَا سَكَتَ فَأُخْسِنُ، فَمَا تَكَلَّمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ⁽²⁾.

وكان السلف الصالح يكرهون كثرة الكلام ويحذرون منه⁽³⁾.

ومن ذلك التَّشَدُّقُ فِي الْكَلَامِ وَتَكْلُفُ السَّجْعِ وَالْفَصَاحَةِ، لِأَنَّ الْحَامِلَ عَلَى ذَلِكَ حُبَّ الْعُلُوِّ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالرِّيَاسَةِ عَلَى الْأَمْثَالِ، وَالشَّهْرَةِ بَيْنَ الْأَنَامِ.

(1) هو أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي البزار، صاحب السري السقطي، وحسنا المسوحي، وبِشْرًا الحافي، كان فقيهاً عالمياً بصيراً بالقرآن، كثير الرباط والغزو، وكان الإمام أحمد إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم يقول لأبي حمزة رحمه الله تعالى: ما تقول في هذا يا صوفي، توفي رحمه الله تعالى سنة 270 هـ - 883 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (320/10 - 322)، وتاريخ بغداد (390/1 - 394)، وسير أعلام النبلاء (165/13 - 168)، والطبقات الكبرى للشعراني (85/1).

(2) انظر الرسالة للقشيري (248/1).

(3) من ذلك ما رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (ص: 68 رقم: 53)، وابن حبان في روضة العقلاء (ص: 44)، والطبراني في الأوسط (370/2 رقم: 2259)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (315/24)، والبيهقي في الشعب (59/7 رقم: 4640) عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ كَثُرَ مِرَاحُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ».

وقد ذمَّ ﷺ الذين حالهم كثرة الكلام، وأخبر ببعدهم من الله تعالى ومن رسله عليهم الصلاة والسلام فقال ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرَاوُونَ، الْمُتَفَيِّهُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ»⁽¹⁾.

وقال سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «إِنَّ شَقَاشِقَ الْكَلَامِ مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ»⁽²⁾.

(1) رواه أحمد (267/29 رقم: 17732)، وابن حبان (231/2 رقم: 482)، والطبراني في الكبير (221/22 رقم: 588)، والبيهقي في السنن (326/10 رقم: 20799)، وفي الشعب (40/7 رقم: 4616)، وأبو نعيم في الحلية (97/3)، جميعهم عن أبي ثعلبة الخُشَنِي رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (21/8): «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح».

ورواه الترمذي (370/4 رقم: 2018) وقال: حديث حسن عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ».

(2) رواه البخاري في الأدب (ص: 302 رقم: 876)، وابن وهب في الجامع (ص: 438 رقم: 322)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (ص: 112 رقم: 152)، وفي كتاب ذم الغيبة والنميمة (ص: 9 رقم: 14)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (2/986 رقم: 1880) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفا بسند صحيح.

ورواه أحمد (498/9 رقم: 5687)، والبخاري في الأدب (ص: 302 رقم: 875)، وابن حبان (26/13 رقم: 5718) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ خَطِيْبَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَا فَتَكَلَّمَا، ثُمَّ قَعَدَا، وَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَعَدَ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، فَإِنَّمَا تَشْفِقُ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْطَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ»⁽¹⁾.

وعن معاذ بن جبل: «كَلِمَةُ النَّاسِ قَلِيلًا وَكَلِمَةُ رَبِّكَ كَثِيرًا»⁽²⁾.

(1) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (ص: 56 رقم: 108)، والطبراني في الكبير (71/5) رقم: 4615، والبغوي في معجم الصحابة (417/2)، وابن منده في معرفة الصحابة (ص: 658)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (1129/2 رقم: 2833)، والخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (3/1754 رقم: 1298)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (ص: 64 رقم: 43)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/306 رقم: 7783)، جميعهم عن ركب المصري رضي الله عنه، وحسنه ابن عبد البر في الاستيعاب (508/2).

قال المنذري في الترغيب والترهيب (3/350): «رواه الطبراني، ورواته إلى نصيح ثقات، وقد حسن هذا الحديث أبو عمر النمري وغيره، وركب قال البغوي: لا أدري سمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا، وقال ابن منده: لا نعرف له صحبة، وذكر غيرهما أن له صحبة، ولا أعرف له غير هذا الحديث».

ونسبه ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراح الكبائر (1/124) إلى الطبراني وقال: «بسنده صحيح حسن».

وروي الحديث أيضا عن طريق أنس بن مالك رضي الله عنه بسند ضعيف جدا، فيه أبان بن أبي عياش متروك الحديث.

(2) رواه القشيري في الرسالة (1/248) ولم يسنده.

ورواه أبو نعيم في الحلية (6/94) عن ثور بن يزيد قال: «قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، كَلِّمُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَكَلِّمُوا النَّاسَ قَلِيلًا، قَالُوا: كَيْفَ نَكَلِّمُ اللَّهَ كَثِيرًا؟ قَالَ: اخْلُؤْا بِمُنَاجَاتِهِ، اخْلُؤْا بِدُعَائِهِ».

وقيل لذي النون⁽¹⁾ المصري⁽²⁾: «مَنْ⁽³⁾ أَضَوَّنَ النَّاسَ لِنَفْسِهِ؟
فَقَالَ: أَمْلَكُهُمْ لِللِّسَانِ»⁽⁴⁾.

وقال شقيق⁽⁵⁾: «لَا شَيْءَ بِطُولِ السِّجْنِ أَحَقُّ مِنَ اللِّسَانِ»⁽⁶⁾.

(1) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري الأخميمي، المعروف بذِي النون، من أهل الطريقة، كان أَوْحَدَ وقته علما وورعا وحالا وأدبا، أخذ الموطأ عن مالك، وعنه أخذ شيخ العارفين سهل بن عبد الله التستري، توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة 245هـ - 859م، ودفن بالقرافة.

له ترجمة في: حلية الأولياء (9/331 - 397)، وتاريخ بغداد (8/390 - 394)، وتاريخ دمشق (17/398 - 442)، ووفيات الأعيان (1/315 - 318)، وسير أعلام النبلاء (11/532 - 536).

(2) في (ع) زيادة رحمه الله.

(3) نهاية الورقة (43/ظ).

(4) انظر الرسالة للقسيري (1/248).

(5) هو أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي الزاهد، من مشاهير مشايخ خراسان، روى عن إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريقة، روى عنه حاتم الأصم، توفي رحمه الله شهيدا في غزوة كولان سنة 149هـ - 810م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (21/96)، وتاريخ دمشق (23/131)، وسير أعلام النبلاء (9/313 - 316)، وطبقات الصوفية للسلمي (1/63 - 67).

(6) كذا نسبه لشقيق، والقول مشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقد أورده القسيري في رسالته (1/248) من قول ابن مسعود رضي الله عنه وذكره بين قولِي ذِي النون وعلي بن بكار كما فعل المصنف هنا.

وأثر ابن مسعود رضي الله عنه رواه ابن المبارك في الزهد (ص: 129 رقم: 384)، ووکیع في الزهد (1/549)، وابن وهب في الجامع (ص: 419 رقم: 305)، والبيهقي في الشعب (7/64 رقم: 4649)، ولفظه: قال عبد الله رضي الله عنه: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ».

وقال علي بن بكّار⁽¹⁾: «جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابَيْنِ، وَجَعَلَ لِلِّسَانِ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ، فَالشَّفَتَانِ مِصْرَاعَانِ وَالْأَسْنَانُ مِصْرَاعَانِ»⁽²⁾.

وأخرج الطبراني من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ»⁽³⁾.

قال المُنَاوِي: «أَيُّ يَجْعَلُ فِيهِ خَزَانَةً، فَلَا يَفْتَحُهُ إِلَّا بِمِفْتَاحِ إِذْنِ اللهِ، وَ (مِنْ) لِلتَّبَعِضِ، أَيُّ يَخْزَنُ مِنْ لِسَانِهِ مَا كَانَ بَاطِلًا وَلَغْوًا عَاطِلًا، فَإِنَّ الْبَاطِلَ يُوَدِّي إِلَى الْعِقَابِ، وَالْمَبَاحُ مِنَ الْقَوْلِ يُوَدِّي إِلَى الْعِتَابِ»⁽⁴⁾.

(1) هو أبو الحسن علي بن بكّار البصري سكن مرابطا في طرسوس والمصيصة، وصحب إبراهيم بن أدهم وأبا إسحاق الفزاري وغيرهما، كان من العلماء العاملين، من أصحاب الكرامات الماثورة والمناقب المشهورة، وكان فارسا مرابطا مجاهدا كثير الغزو، توفي رحمه الله سنة 207 هـ - 822 م.

له ترجمة في حلية الأولياء (317/9 - 322)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (331/20 - 332)، وسير أعلام النبلاء (584/9).

(2) انظر الرسالة للقشيري (248/1).

(3) رواه الطبراني في الصغير (165/2 رقم: 964)، وفي الأوسط (378/5 رقم: 5613)، والبيهقي في الشعب (65/7 رقم: 4652)، والمقدسي في المختارة (164/7 رقم: 2595)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: 138 رقم: 405)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (302/10): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه داود بن هلال، ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه ضعفا، وبقية رجاله رجال الصحيح غير زهير بن عباد وقد وثقه جماعة»، وحسنه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (503/2).

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير (443/6).

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(١)؛ إذا علمت ما في القيل والقال من الآفات، وما ينشأ عنه من الخطأ والزلات، عرفت أنه من أعظم الأمراض القلبية.

وإلى صفة الأضداد الثانية من الثلاثة الأخيرة أشار بقوله: (الْمُنْهَمِكِينَ فِي الْمَالِ)، أي المجتهدين في تحصيله، من الإنهماك في الأمر بمعنى الجد فيه.

يعني أنه يتعين على المريد الهروب من أصحاب هذه الصفة لأنها من الأمراض القلبية.

يشهد لذلك^(٢) قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا

أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^(٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «حُبُّ الْمَالِ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ»^(٥).

(١) سورة ق: ١٨.

(٢) في (ع) يشهد له.

(٣) سورة المنافقون: ٩.

(٤) سورة التغابن: ١٥.

(٥) قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١١٣٥): «لم أجده بهذا اللفظ».

وذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرى (٦/٣٤١) في الفصل الذي جمع فيه الأحاديث الواردة في كتاب الإحياء والتي لم يجد لها إسنادا.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «دَعُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا، مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ أَخَذَ حَتْفَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ»⁽¹⁾.

وقيل: «إِنَّ أَوَّلَ مَا ضُرِبَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ رَفَعَهُمَا إِبْلِيسُ ثُمَّ وَضَعَهُمَا عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَبَّلَهُمَا وَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّكُمَا فَهُوَ عَبْدِي حَقًّا»⁽²⁾.

وفي الحديث: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»⁽³⁾.

وإلى الصِّفة الأخيرة أشار بقوله: (الْمَشْغُولِينَ بِالْأَمَالِ فِي هَذِهِ الْفَانِيَةِ)، يعني أَنَّ الاتِّصاف بطول الأمل منشأ الغفلة عن قرب الأجل، وقد علمت⁽⁴⁾ أَنَّ الأضداد هم أصحاب الغفلة مطلقا، ولذلك كان الفرار منهم شرطا من شرائط الورد، فطول الأمل وصف ذميم، قادح في حال النَّفس، مُوجبٌ لنفسي كمالها، لآته عائق عن كلِّ خير وجالب لكلِّ شرٍّ، يُقسي القلب ويُنسي الآخرة.

(1) رواه تمام في فوائده (297/1 رقم: 746)، والديلمي في الفردوس (108/1 رقم: 363)، والبزار (89/13 رقم: 6444) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1136/1) والهيتمي في مجمع الزوائد (254/10) «وفيه هائئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان»، وقال العجلوني في كشف الخفاء (46/1): «هو حسن لغيره».

(2) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (233/3)، وابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (295/1).

(3) رواه البخاري (36/2 رقم: 2886)، وابن ماجه (1385/2 رقم: 4135)، وابن حبان (12/8 رقم: 3218)، والبيهقي (159/9 رقم: 18279) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) نهاية الورقة (44/و).

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾⁽¹⁾.

وقوله ﷺ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ»⁽²⁾.

وقوله ﷺ: «مَنْ عَدَّ غَدًا مِنْ أَجَلِهِ فَقَدْ أَسَاءَ»⁽³⁾.

وقوله ﷺ: «يَا بَنِي آدَمَ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ الْمَوْتَى»⁽⁴⁾، اهـ.

ولا ريب في أنّ مَنْ بَعْدَ أَمَلِهِ قَلَّتْ طَاعَتُهُ وَكَثُرَتْ مَعْصِيَتُهُ وَتَأَخَّرَتْ تَوْبَتُهُ، وَأَيُّ مَرَضٍ لِلْقَلْبِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا.
وفي الْحِكْمِ الصُّغْرَى: «أَوْهَامُ طُولِ الْأَمَالِ مَانِعَةٌ لِيُرُوزِ صُورِ الْأَعْمَالِ، فَالْغَافِلُ هُوَ بَعِيدُ الْأَمَلِ نَاسِي الْأَجَلِ».

(1) سورة الحديد: 16.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان (370/7 رقم 10616)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص: 27 رقم: 4)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (813/2 رقم 1361) وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ»، كلهم عن جابر رضي الله عنه، وضعفه ابن حجر في الفتح (236/11)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (1130/1).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان (13 / 144 رقم: 10082) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً وقال: «هذا إسناد مجهول، وروي من وجه آخر ضعيف».

(4) رواه أبو نعيم في الحلية (91/6)، والبيهقي في الشعب (143/13 رقم: 10080)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص: 28 رقم: 6)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1131/1).

وَرُوي عن الحسن البصري قال: قال ﷺ: «أَكُلْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟»

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: فَاقْصِرُوا أَمَالَكُمْ، وَتَبَثُّوا أَجَالَكُمْ، وَاسْتَخَيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»⁽¹⁾.

وعن حذيفة⁽²⁾: «مَا مِنْ صَبَاحٍ وَلَا مَسَاءٍ إِلَّا مُنَادٍ يُنَادِي: أَيُّهَا النَّاسُ، الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ»⁽³⁾.

وقيل في ذلك:

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ لَا تَزَكِّنْ إِلَى الْأَمَلِ وَبَادِرِ الْخَيْرِ وَاعْنَمِ فُسْحَةَ الْأَجَلِ
وَاذْكُرْ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ مُكْتَبًا مِمَّا تَقْدِّمُ مِنْ جُزْمٍ وَمِنْ زَلَلِ

(1) رواه ابن المبارك في الزهد (107/1 رقم: 317)، وأبو نعيم في الحلية (185/8) عن الحسن مرسلاً.

(2) هو الصحابي الجليل أبو عبد اللخ حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي اليماني، حليف الأنصار، من كبار الصحابة وأعيان المهاجرين، وهو صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، توفي رضي الله عنه سنة 36هـ . 656م.
له ترجمة في: الاستيعاب (1/334 . 335)، وأسد الغابة (1/468 . 469)، والإصابة (2/361 . 369).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (ص: 44 رقم: 53)، وفي ذم الدنيا (ص: 32 رقم: 47)، وقصر الأمل (ص: 101 رقم: 135) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه موقوفاً.

قال أبو زكريا التميمي⁽¹⁾: «بَيْنَمَا سُلَيْمَانُ⁽²⁾ بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ⁽³⁾ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ أَتَى بِحَجَرٍ مَكْتُوبٍ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ، فَطَلَبَ مَنْ يَفْرَأُهُ، فَأَتَى بِهِ بَنُ مُنَبِّهِ⁽⁴⁾ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ رَأَيْتَ قُرْبَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ لَزَهَدْتَ فِي طُولِ أَمَلِكَ، وَلَرَغَبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ، وَلَقَصَّرْتَ مِنْ حِرْصِكَ وَحِيلِكَ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدْمُكَ، وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ، فَفَارَقَكَ الْوَلَدُ وَالْقَرِيبُ، وَرَفَضَكَ الْوَالِدُ وَالنَّسِيبُ، فَلَا أَنْتَ لِدُنْيَاكَ عَائِدٌ، وَلَا فِي⁽⁵⁾ حَسَنَاتِكَ زَائِدٌ، فَاعْمَلْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ»، اهـ⁽⁶⁾.

(1) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (368/63) وقال: «الصواب عبد الرحمن بن يحيى بن عمارة، وكذلك وجدته في نسخة بخط الكتاني»، ولم يترجم له، كما لا توجد له ترجمة في كتب التاريخ والتراجم.

(2) في جميع النسخ هشام بن عبد الملك والصواب ما أثبتناه من مصادر الرواية.

(3) هو الخليفة الأموي أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، دامت خلافته ستين وثمانية أشهر إلا أياماً، توفي رحمه الله سنة 99هـ - 717م. له ترجمة في: وفيات الأعيان (420/2 - 427)، وأسد الغابة (111/5 - 113)، وفوات الوفيات (68/2 - 70).

(4) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل اليماني الذماري الصنعاني، من التابعين، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء، كانت له معرفة بالإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب، وإمام بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء عليهم السلام وسير الملوك، توفي رحمه الله سنة 114هـ - 732م.

له ترجمة في: وفيات الأعيان (35/6 - 36)، وسير أعلام النبلاء (544/4 - 557)، وتهذيب التهذيب (166/11 - 168).

(5) نهاية الورقة (44/ظ).

(6) رواه ابن أبي الدنيا في القبور (ص: 188 رقم: 254)، وفي قصر الأمل (ص: 62 رقم: 68)، وأبو نعيم في الحلية (4/69)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (368/63)، وابن الجوزي في ذم الهوى (ص: 668) وفي المقلق (101/1 رقم: 108)، ونقله الغزالي في إحياء علوم الدين (4/455)، وعبد الحق في العاقبة في ذكر الموت (ص: 64).

[دعاء الله للحفظ من أمراض القلوب]

ولمّا كانت أزمّة الأمور بيد الله تعالى، أمر المريد بالتّضرع إلى الله تعالى، فقال رحمه الله تعالى:

135 - وَادْعُ رَبَّكَ يَا حَفِيزُ لَا يَكُنْ قَلْبُكَ مَرِيضُ

136 - تَنْزِلُ مَقَامَ الْحَضِيضِ لَمْ تَزُقْ إِلَى الْعُلْيَا

أي أدع الله تعالى في حصول الشّفاء من أمراض القلوب، التي منها عدم استحسان طريق من الطرق الموصلة إلى معرفة الله، والطعن في المشايخ وعباد الله الصالحين والبغض للإخوان، وكثرة القيل والقال، والجدّ في تحصيل المال، وطول الآمال، فهذه ستّ صفات يجب الفرار من المتّصف بشيء منها، وإنّ المتّصف بها لا عروج له من سجين النفس الأمّارة، ولا طمع له في الوصول إلى الاتّصاف بصفات الملائة الأعلى.

[تتمة] في الحذر من صحبة المداهنين والجاهلين والغافلين

قال سهل بن عبد الله: «اخْذَرْ ضُحْبَةً ثَلَاثَةً أَصْنَافٍ: الْقُرَاءُ الْمُدَاهِنِينَ، وَالْمُتَصَوِّفَةَ الْجَاهِلِينَ، وَالْجَبَابِرَةَ الْغَافِلِينَ»⁽¹⁾.

قال بعضهم: «فَمَنْ ابْتَلِيَ بِهِؤْلَاءَ فَلْيَعْمَلِ الْأَوَّلِينَ بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْمُتَوَسِّطِينَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِحْتِشَامِ، وَالْآخِرِينَ بِالْحَذَرِ وَالِاسْتِسْلَامِ، مَعَ خُلُوقِ قَلْبِهِ عَنْهُمْ وَإِلَّا هَلَكَ دِينَا وَدُنْيَا»، اهـ.

(1) رواه أبو سعيد السمعاني في المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص: 1205)، وأورده الغزالي في إحياء علوم الدين (172/2)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص: 327).

قوله:

- 137 - فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ وَجَبَتْ مُجْتَمِعَةً⁽¹⁾
 138 - عَنْ مُتَوَسِّطٍ مَعَهُ مُبْتَدِئٍ مُنْتَهِيًا
 139 - فَهِيَ مَعْدَنُ الشُّرُوزِ وَبِعَكْسِهَا يَبُوزُ
 140 - وَزَدُكَ مِنَ الصُّدُوزِ خُذْ مَنْشُورَ الْوَلَايَا

الإشارة راجعة إلى الشروط المتقدم ذكرها.

وقوله: (مُجْتَمِعَةً) حال من فاعل وجبت.

و (عَنْ) بمعنى على، صلة (وَجَبَتْ)، يعني أنها متعينة على المبتدئ والمتوسط في السلوك والمنتهي.

والمراد بالمبتدئين أصحاب النفوس الأمارة، والمنتهين أصحاب النفوس الكاملة، والمتوسطين أولوا النفوس التي بينهما.

وقوله: (فَهِيَ مَعْدَنُ الشُّرُوزِ) أي منبت جواهر المعارف التي يحصل بها الابتهاج بمعرفة الله تعالى والترقي إلى مرضاته.

والمراد⁽²⁾ (بِعَكْسِهَا) تركها وعدم التلبس بها.

(1) في (ج) مجمعة.

(2) نهاية الورقة (45/و).

و (بَوْرُ الْوَرْدِ) كساده، كَتَى به عن عدم الانتفاع به على سبيل الاستعارة.

و (الْمَنْشُورُ) ما كان غير مختوم من كتب السلطان، وأشار به إلى حديث: «مَنْ أُعْطِيَ الذِّكْرَ فَقَدْ أُعْطِيَ مَنْشُورُ الْوَلَايَةِ»⁽¹⁾.

[الآداب مع الشيخ]

ثم أشار إلى بقية شرائط الورد بقوله:

- | | | |
|-------|---------------------------|----------------------------|
| 141 - | وَعَلَيْكُمْ بِالشُّرُوطِ | عَدُّهَا خَمْسٌ مَضْبُوطٌ |
| 142 - | مَعَ شَيْخِكُمْ مَنُوطٌ | عَلَامَةُ الصِّدْقِ يَا |
| 143 - | اتَّبَاعُ أَمْرِهِ | الْقِيَامُ بِحَقِّهِ |
| 144 - | وَحِفْظُ حُزْمَتِهِ | مَيِّتًا كَانَ أَوْ حَيًّا |
| 145 - | وَعَزْلُ عُقُولِكُمْ | وَكَسْرُ مِيزَانِكُمْ |
| 146 - | لِمِيزَانِ شَيْخِكُمْ | إِنْ نَهَى فَاَنْتَهُ يَا |

تخصيصه رحمه الله تعالى هذه الآداب الخمسة بالشيخ لتأكيده في حقه، ورُبَّ أخ بمنزلة شيخ فيُعْطَى حقوقه، ولتفاوت الحقوق اقتصر على ذكر الشيخ، وأخبر بأن ملاحظة هذه الآداب علامة صدق المرید.

(1) رواه القشيري في الرسالة (375/2) من قول أبي علي الدقاق رحمه الله، ونصه: «الذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوَلَايَةِ، فَمَنْ وَفَّقَ لِلذِّكْرِ فَقَدْ أُعْطِيَ الْمَنْشُورُ، وَمَنْ سَلِبَ الذِّكْرَ فَقَدْ عَزَبَ».

و (يَا) من قوله: (الصِّدْقُ يَا) للدَّاءِ، والمنادى محذوف لقرينة السِّياق، والتَّقدير يا مريد، فتُكتب غير متّصلة بلفظ الصِّدق.

[اتباع أمر الشيخ]

الأوّل: إِتِّباع أمر الشيخ.

قالوا: وإنّ ظهر خلاّفه.

وهو أكد الشُّروط الخمسة، لما فيه من المصالح العامّة.

قال القشيري رحمه الله تعالى: «شرط المريد أن لا يتنفس نفْسًا إلّا بإذن شيخه، ومَن خالف شيخه سرًّا أو جهرا لا يشم رائحة الصِّدق».

ومَن صدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار ليبيّن له شيخه ما فيه كفّارته، وإنّ رجع المريد إلى شيخه بالصِّدق وجب على شيخه جَبْرُ قلبه بهمّته، فإنّ المريدين عيال شيوخهم، فيجب عليهم أن ينفقوا من قوّة أحوالهم ما يكون جَبْرًا لتقصيرهم.

قيل: وإنّما يتعيّن هذا في حقّ الشيخ الوارث الرِّبّانيّ، الذي هو نائب عن الله في عبادته⁽¹⁾، وخليفته في بلاده، المتكلّم بالله والله وفي الله. ولا شكّ أنّ مَن خالف هذا لا يفلح أبدا، لأنّ مخالفته مخالفة لله ولرسوله ﷺ.

(1) نهاية الورقة (45/ظ)، اشتملت هذه الورقة على خمسة أسطر فقط.

[القيام بحق الشيخ]

الثاني: القيام بحق الشيخ.

وحقوقه على التلميذ كثيرة، والقيام بها عسيرٌ جدًا لا يَتيسرُ إلاَّ لِمَنْ وهبَ لشيخه شخصه، وحمل شيخه⁽¹⁾ عنه كلَّه، واعترف مع ذلك بالتقصير.

وسيتكلَّم المصنِّف رحمه الله تعالى على بعضها في آداب المريـد مع الشيخ، وضابط ذلك أن لا يفعل إلاَّ ما يُرضي شيخه، ولا يتلبَّس في حركاته وسكناته بخلاف ذلك البتَّة، وفي ذلك قيل:

أَقْدِمُ أَسْتَاذِي عَلَى حَقِّ وَالِدِي وَإِنْ نَالَنِي مِنَ وَالِدِي الْعِزُّ وَالشَّرَفُ
فَذَاكَ مُرِّي الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ جَوْهَرٌ وَهَذَا مُرِّي الْجِسْمِ وَالْجِسْمُ مِنْ صُلْفِ

[حفظ حرمة الشيخ]

الثالث: حفظ حرمة الشيخ، حاضرا كان أو غائبا، حيّا كان أو ميّتا، كما هو صريح كلامه رحمه الله تعالى، لأنَّ حُرْمَتَهُ من حُرْمَةِ الله تعالى وحُرْمَةِ رسوله ﷺ، من حيث أنه نائبٌ عنهما، فمَنْ حفظ حُرْمَةَ شيخه حفظه الله تعالى وحفظ حُرْمَتَهُ، ومَنْ أهان حُرْمَةَ شيخه أهانه الله تعالى وحُرْمَتَهُ، وما تضرَّر كثير من المريدين إلاَّ لعدم حفظ حُرْمَةِ مشايخهم، فحَرِّمُوا بذلك من بركاتهم، ويدخل في حفظ الحُرْمَةِ اعتقاد الكمال فيهم.

(1) نهاية الورقة (46/و).

[موافقة الشيخ]

الرَّابِع: عزل عقل المريد وعلمه ورياسته، وكسر ميزانه إلى ما يوافق شيخه من ذلك.

لأنَّهم نصَّوا على أنَّه لا يجوز للمريد أن يحسِّن الشَّيء بعقله أو علمه أو سياسته ورياسته، إذ قلَّما ينج فاعل ذلك.

وإنَّما يرجع المريد إلى نظر شيخه، إذ هو أعلم به من نفسه، وبذلك يكون الفتح ويحصل المقصود، حتَّى لو وافق ما عنده ما عند شيخه لا يرجع إلى ما عنده إلا بالمشورة والإذن، إذ هو محجور عليه في الحركات والسَّكنات كما قاله الإمام القشيري رحمه الله تعالى، إذ في ذلك خروج عن المراد، لأنَّ المطلوب خمود النَّفس تحت قهر الأمر⁽¹⁾، وبذلك يحصل الفتح والظَّفَر.

[اجتناب ما نهى عنه الشيخ]

الخامس: اجتناب المريد كلَّ ما نهى الشيخ عنه.

لأنَّه كما التزم اتِّباع أمره لزمه أيضا اجتناب نهيه.

وإنَّ ظهر للمريد في الأمر والنَّهي خلاف ما قصده الشَّيخ فالواجب عليه ترك نظره لنظر شيخه فيما أمره به أو نهاه عنه، لأنَّه أعلم منه بالمصالح⁽²⁾ والمضارَّ، وبذلك تتجلَّى الأنوار وتنكشف

(1) في (ع) الأمير.

(2) نهاية الورقة (46/ظ).

الأسرار، فليمثل المريد أمر شيخه ويجتنب نهيه وإن كان في ذلك حثف أنفه، وهذا معنى قوله رحمه الله تعالى: (إِنْ نَهَى فَاَنْتَهُ يَا).

وقوله: (فَاَنْتَهُ)⁽¹⁾ جواب (إِنْ)، و (يا) حرف نداء.

ثم قال رحمه الله تعالى:

147 - هَذَا وَصْفُ الْأَصْدِقَا أَهْلِ السَّيْرِ وَالثَّقَى

148 - أَهْلُ الْمَخْرِ وَالْبَقَا السَّالِكِينَ الْأَتْقِيَا

149 - هَذِهِ التَّسْعُ وَفَتْ شُرُوطَ وَزْدِ سَمَتْ

150 - غَدَّهَا لَقَدْ ثَبَتْ مِنْ طَرِيقِ الصُّوفِيَا

يعني أنّ العمل بالخصال التسعة هو نعت الأصدقاء، جمع صديق.

و (أَهْلِ السَّيْرِ) بدل أو بيان، والسَّائِرُونَ هم المسافرون بأفكارهم في المعقولات ليعبروا من العُدوة الدُّنيا إلى العُدوة القصوى.

و (الثَّقَى) التَّجَنَّبَ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْثِمُ مِنْ فَعَلٍ أَوْ تَرَكٍ، وهو أدنى مراتبه، وهو تقوى العوام.

وَأَمَّا تَقْوَى الْخَوَاصِّ فَهُوَ تَنْزِيهِ الْقَلْبِ عَمَّا يَشْغَلُ عَنِ الْحَقِّ.

وَأَمَّا تَقْوَى خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ فَهُوَ حِفْظُ السِّرِّ مِمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

(1) [قوله: فَاَنْتَهُ] ساقط من (ج).

وقوله: (أَهْلُ الْمَخْرِ) معطوف بحذف العاطف للوزن، و (الْمَخْرُ) في اصطلاحهم هو رفع أوصاف العادة، ومراتبه ثلاثة: محو الزَّلَّة عن الظواهر، ومحو الغفلة عن الضمائر، ومحو العلة عن السرائر.

وقوله: (وَالْبَقَا) معطوف عليه، وهو عند القوم أن يفنى العبد بِمَا لَهُ ويبقى بما لله تعالى.

وقيل: رؤية العبد قيام الله بكل شيء.

و(السَّالِكُونَ) الماشون على المقامات بحالهم لا بعلمهم وتصويرهم، ويكون العلم الحاصل لهم عيانا يأمن ورود الشُّبُه المضلَّة عليه.

وقوله: (هَذِهِ التَّسْعُ) إلخ، تصريح وبيان لتعداد شرائط الورد، وهي كثيرة، ولكنَّ أكدها هذه التسع، حتَّى إنَّه لا يَطْمَع في حصول ثمرة ورده مَنْ تخلَّى عنها وأهمل العمل بها.

ومرادَه رحمه الله تعالى ضبط ما يتعيَّن على طالب سلوك سبيل النِّجاة علمه والعمل به، لأنَّ ثمرة العلم العمل، وأنَّ غير العامل بعلمه مُنَزَّل منزلة الجاهل شرعا وعُرُفا.

[أصول الطريق]

ولمّا فرغ رحمه الله تعالى من الكلام على بيان شروط الورد،
شرع في بيان أصول الطريق فقال⁽¹⁾:

151 - هَاكَ أَصُولُ الطَّرِيقِ ثَالِثَ عَشَرَ بِالتَّحْقِيقِ

152 - اِسْمَعْ مِنِّي يَا عَشِيقُ وَاحْفَظْهَا نَسَقِيًا

(هَآك) اسم فعل بمعنى خذ، والكاف للخطاب.

و (الأُصُول) جمع أصل، وهو ما ينبنى عليه غيره.

و (الطَّرِيقُ)، قال سيدي مصطفى البكري: «هي تتبّع أفعال النبي
ﷺ والعمل بها».

و (العَشِيقُ) فعيل بمعنى فاعل، من العشق، وهو إفراط الحبّ في
عفاف.

و (النَّسَقُ) بالتحريك، ما جاء من الكلام على نظام واحد،
وَأَلَفَ (نَسَقِيًا) بدل من الهاء.

[الأصل الأول: التوبة]

الأوّل منها أشار له بقوله:

(1) نهاية الورقة (47/و).

153 - تَوْبُتُكَ يَا عَانِي تَزُكُّكَ مَا لَا يَغْنِي

154 - قَوْلًا فَعَلًا بَدَنِي وَالْأَخْوَالَ الْقَلْبِيَا

التَّوْبَةُ هِيَ النَّدَمُ، وَالْإِقْلَاعُ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعُودَةِ إِلَى الزَّلَّةِ،
فَإِذَا صَحَّتِ الثَّلَاثَةُ تَحَقَّقَتِ التَّوْبَةُ، فَإِذَا عَادَ لَمْ يَتَبَيَّنْ بَطْلَانُهَا لَكِنْ تَجِبُ
التَّوْبَةُ ثَانِيًا، وَهَكَذَا.

نَعَمْ، يُخْشَى مِنْ تَكَرُّارِ مُوجِبِهَا عَدَمَ قَبُولِهَا، لِأَنَّ مَنْ أَذْمَنَ
الْمَعْصِيَةَ أَوْرَثَتْ لَهُ تَهَاوُنًا قَدْ يُوجِبُ الْمَقْتِ وَالْبُعْدَ.

وَفِي مَخْتَصَرِ الْإِحْيَاءِ: «التَّوْبَةُ مَعْنَى يَنْتَظِمُ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ، عِلْمٌ
وَحَالٌ وَفِعْلٌ، فَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ ضَرَرِ الذُّنُوبِ وَكُونِهَا حِجَابًا عَنِ
الْمَحْبُوبِ، وَبِالْمَعْرِفَةِ يَحْصُلُ حَالٌ فِي الْقَلْبِ هُوَ الْعِلْمُ بِفَوَاتِ
الْمَحْبُوبِ وَهُوَ النَّدَمُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»⁽¹⁾»⁽²⁾.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْأَدْلَةُ الْكَثِيرَةُ عَلَى فَضْلِهَا، قَالَ
تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾⁽³⁾.

(1) رَوَاهُ أَحْمَدُ (422/1 رَقْم: 4012)، وَابْنُ خَالِيٍّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ (373/3)، وَابْنُ مَاجَهَ
(1420/2 رَقْم: 4252)، وَابْنُ حِبَانَ (377/2 رَقْم: 612)، وَالحَاكِمُ (271/4 رَقْم:
7612)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (386/5 رَقْم: 7029) جَمِيعُهُمْ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي مُصْبَحِ الزَّجَاجَةِ (248/4): «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ
رِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(2) انْظُرْ إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ (3/4)، وَمَوْعِظَةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ (ص:
269).

(3) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 222.

ومما ينبغي تجديد التوبة حتى عن المكروه وخلاف الأولى كالغفلة في كل وقت.

وينبغي الغسل والصلاة لها ركعتين، يقول بعدهما: اللهم إني أتوب إليك من ذنب⁽¹⁾ كذا، اللهم إن هذا آخر العهد به.

وفي حكم ابن عطاء الله: «كَيْفَ يَطْمَعُ قَلْبٌ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ مِنْ جَنَابَةِ غَفَلَاتِهِ، أَمْ كَيْفَ يَزْجُو حَقَائِقَ الْأَسْرَارِ وَهُوَ لَمْ يَتُبْ عَنْ هَفَوَاتِهِ»⁽²⁾.

وتعريف الشيخ الإمام المصنف رحمه الله تعالى لها بترك ما لا يعني من الأقوال والأفعال البدنية والقلبية تعريف باللازم. و (العاني) اسم فاعل من عناهُ الأمرُ يَعْنِيهِ وَيَعْنُوهُ عُنْيًا وَعِنَايَةً: أَهْمُهُ وَقَصْدُهُ⁽³⁾.

[الأصل الثاني: جهاد النفس]

الثاني⁽⁴⁾ أشار له بقوله:

155 - جَهَادُكَ الْأَكْبَرَا فِي نَفْسِكَ الْأُمَارَا

156 - بِفِعْلِكَ الْمَأْمُورَا وَتَرْكِكَ الْمَنْهِيَا

(1) في (ج) ذنوب.

(2) انظر الحكم لابن عطاء الله السكندري (ص: 106)، وشرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري (ص: 78).

(3) انظر القاموس المحيط (ص: 1316).

(4) نهاية الورقة (47/ظ).

ضَمَّنَ فِي كَلَامِهِ حَدِيثَ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ جِهَادُ النَّفْسِ»⁽¹⁾.

والمراد بمجاهدة النفس إيتابها في الأمر الجائز.

وقال الشيخ المصنّف: (هِيَ فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكُ الْمَنْهِيَّاتِ).

وقيل: ترك المألوفات والعادات، وتحمل المشقّات.

قال الشعراني: «أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلْمُرِيدِ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ، وَأَنَّ مَنْ رَامَ الطَّرِيقَ بِغَيْرِ مَجَاهِدَةٍ فَقَدْ رَامَ الْمَحَالَ».

قال أبو علي الدقاق⁽²⁾: «مَنْ زَيَّنَ ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهِدَةِ، زَيَّنَ اللَّهُ بَاطِنَهُ بِالْمُشَاهَدَةِ»⁽³⁾.

ومن لا مجاهدة له لا مشاهدة له، وفي ذلك قيل:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمَحَالِ

(1) سبق تخريجه.

(2) هو أبو علي الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري، الأستاذ، العارف، الزاهد، شيخ الصوفية، وشيخ أبي القاسم القشيري، توفي في ذي الحجة سنة 405 هـ . 1015 م.

له ترجمة في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (151/15)، والوافي بالوفيات (103/12)، والبداية والنهاية (16/12)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (178/1).

(3) رواه القشيري في الرسالة (216/1).

وَاتَّقُوا عَلَى أَنَّ مَجَاهِدَةَ النَّفْسِ أَصْعَبُ مِنْ مَجَاهِدَةِ الشَّيْطَانِ،
لَأَنَّ النَّفْسَ عَدُوٌّ مَحْبُوبٍ وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ مَبْغُوضٌ، وَالْمُحِبُّ⁽¹⁾ يَغْمَى
عَنْ عَيُوبِ مَحْبُوبِهِ، وَعَنْهُ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى صَاحِبٍ إِنْ أَنْتُمْ
أَهْتَمُّوهُ أَكْرَمَكُمْ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَكْرَمْتُمُوهُ أَفْضَى بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ؟ قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَشَرُّ صَاحِبٍ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا
لِنُفُوسِكُمُ الَّتِي بَيْنَ جُنُوبِكُمْ»⁽²⁾.

قيل: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: «عَادِ نَفْسَكَ، فَلَيْسَ لِي مُنَازَعٌ
فِي الْمَمْلَكَةِ غَيْرُهَا»⁽³⁾.

وسياتي الكلام على النفس وما يتعلق بها.

[الأصل الثالث: حُزْنُ الْقَلْبِ]

الثالث أشار له بقوله:

157 - ثَالِثُهَا حُزْنُكَ وَهُوَ قَبْضُ قَلْبِكَ

158 - عَنْ تَفْرِيقِ فِكْرِكَ فِي الْغَفْلَةِ كَالْأُودِيَا⁽⁴⁾

(الْحُزْنُ) بَضْمُ الْحَاءِ لُغَةُ الْغَمِّ الْحَاصِلُ لَوْقُوعِ مَكْرُوهِ أَوْ فَوَاتِ
مَحْبُوبٍ فِي الْمَاضِي.

(1) في (ع) المحبوب.

(2) لم أقف على تخريجه.

(3) لم أقف عليه.

(4) في (ع) الأوديا.

وعند القوم هو: قبض القلب عن التفرقة في أودية الغفلة.

وصاحبه يقطع في طريق الله ما لا يقطعه فاقده في سنين، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ»⁽¹⁾.

[الأصل الرابع: الدعاء]

الرَّابِعُ أَشَارَ لَهُ بِقَوْلِهِ:

159 - وَالِدُعَا بِالتَّضَرُّعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ

160 - لَا بِمَعْنَى التَّضَلُّعِ⁽²⁾ قَالُوا هَذَا مِنْهَا

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه⁽³⁾ عن النبي ﷺ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»⁽⁴⁾.

(1) رواه الحاكم (351/4 رقم: 7884) وقال: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بأنه منقطع، والبزار (83/10 رقم: 4150)، والطبراني في مسند الشاميين (351/2 رقم: 1480) والقضاعي (149/2 رقم: 1075)، وأبو نعيم في الحلية (90/6)، والبيهقي في شعب الإيمان (515/1 رقم: 892)، والديلمي (156/1 رقم: 572) الخرائطي في اعتلال القلوب (17/1 رقم: 7) جميعهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (309/10)، وقال الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة (575/12): «بل منقطع ضعيف».

(2) نهاية الورقة (48/و).

(3) [رضي الله تعالى عنه] ساقط من (ج) و (ط).

(4) متفق عليه. رواه البخاري (451/3 رقم: 7405)، ومسلم (2061/4 رقم: 2675).

وروى الحاكم⁽¹⁾ في المستدرک عن أبي هريرة قال: قال
 ﷺ: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ»⁽²⁾.

وروى الترمذي⁽³⁾ عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال
 ﷺ: «لَا يَزُودُ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءَ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ»⁽⁴⁾.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الضبي الطهاني المعروف
 بالحاكم النيسابوري، وبابن البيع، وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء، كان إماما
 حافظا عالما عارفا واسع العلم كثير الشيوخ، صنف كتباً متقنة منها المستدرک على
 الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث، وتاريخ علماء نيسابور، توفي رحمه الله سنة
 405هـ - 1014م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (473/5)، وسير أعلام النبلاء (162/17 - 177)، ووفيات
 الأعيان (280/4 - 281).

(2) رواه الحاكم (669/1 رقم: 1812) وقال: صحيح، وأبو يعلى (344/1 رقم: 439)،
 والقضاعي (116/1 رقم: 143)، والديلمي (223/2 رقم: 3085)، قال الهيثمي
 (147/10): «فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو متروك».

(3) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ولإمام الحافظ، لقي البخاري
 وأخذ عنه، من أهم ما تركه من المصنفات كتابه الجليل الجامع الصحيح، توفي
 رحمه الله سنة 279هـ - 892م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (270/13 - 277)، وتذكرة الحفاظ (633/2 - 635)،
 وتهذيب التهذيب (868/3)، ووفيات الأعيان (278/4).

(4) رواه الترمذي (448/4 رقم: 2139) وقال: حسن غريب، والطبراني في الكبير
 (251/6 رقم: 6128)، والبزار (502/6 رقم: 2540).

وعن النعمان بن بشير⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَرَأْ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾»⁽²⁾ «الآية»⁽³⁾.
وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه⁽⁴⁾ عنه قال: قال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

(1) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد من بني الأنصاري الخزرجي، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، وكان أول مولود من الأنصار بالمدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، وكان النعمان كريماً جواداً شاعراً خطيباً، وكان أميراً على الكوفة لمعاوية تسعة أشهر، ثم كان أميراً على حمص لمعاوية، ثم ليزيد، فلما مات يزيد صار زُبَيْرياً، فخالفه أهل حمص فأخرجوه منها واتبعوه فقتلوه رضي الله عنه سنة 64هـ. 683م.

له ترجمة في: الاستيعاب (4/ 1496 - 1500)، وأسد الغابة (4/ 550 - 553)، والإصابة (6/ 440).

(2) سورة غافر: 60.

(3) رواه أحمد (30/ 297 رقم: 18352)، وابن أبي شيبة (6/ 21 رقم: 29167)، والبخاري في الأدب المفرد (1/ 249 رقم: 714)، وأبو داود (2/ 76 رقم: 1479)، والترمذي (5/ 211 رقم: 2969) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (6/ 450 رقم: 11464)، وابن ماجه (2/ 1258 رقم: 3828).

(4) [تعالى] ساقط من (ع).

(5) في (ع) من العبادة.

(6) رواه أحمد (14/ 360 رقم: 8748)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 249 رقم: 712)، والترمذي (5/ 455 رقم: 3370)، وقال: حسن غريب، وابن حبان (3/ 151 رقم: 870)، وابن ماجه (2/ 1258 رقم: 3829)، والحاكم (1/ 666 رقم: 801) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 38 رقم: 1106).

وعنه صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»⁽¹⁾.
 وَرُويَ «مَنْ فُتِحَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ مِنْكُمْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ»⁽²⁾.
 وفي رواية: «أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ»⁽³⁾.
 وَرُويَ «الدُّعَاءُ مُخُ الْعِبَادَةِ»⁽⁴⁾.
 وفي رواية «الدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ، وَالدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الْحَاجَةِ»⁽⁵⁾.

- (1) رواه أحمد (448/15 رقم: 9719)، والترمذي (456/5 رقم: 3373)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 229 رقم: 658)، وابن ماجه (1258/2 رقم: 3827)، ونقله ابن كثير في تفسيره (140/7) من مسند أحمد وقال: «وهذا إسناد لا بأس به».
- (2) رواه الحاكم (675/1 رقم: 1833) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد.
- (3) رواه بهذا اللفظ أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (381/4 رقم: 1567)، وقال محققه: «إسناده ضعيف».
- (4) رواه الترمذي (456/5 رقم: 3371) وقال: غريب، والطبراني في الأوسط (293/3 رقم: 3196) عن أنس رضي الله عنه، وفيه عبد الله بن لهيعة ضعيف.
- وله شاهد صحيح عند أحمد (297/30 رقم: 18352)، وأبي داود (76/2 رقم: 1479)، والترمذي (211/5 رقم: 2969) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (1258/2 رقم: 3828) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- وله شاهد آخر رواه الحاكم (667/1 رقم: 1805) عن ابن عباس رضي الله عنهما «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ هُوَ الدُّعَاءُ»، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- (5) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

وَرُوي «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالْدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وَرُوي «إِنَّ الدُّعَاءَ لَيَذْفَعُ مُبْرَمَ الْقَضَاءِ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ لَيَتَلَقَّى الْبَلَاءَ مُنْزَلًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُوقِفُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا قُدِّرَ وَمِمَّا لَمْ يَقْدَرْ»⁽²⁾.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «الْحَذَرُ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ، وَالْدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَدَرَ»⁽³⁾.

ثم قال: «وتفسير ذلك أَنَّ الدَّعَاءَ مِنَ الْقَدَرِ، أَي قَضَى اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقَدَرِ أَنْ يَدْعُو الْعَبْدَ فَيَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ فَيَصْرِفَ عَنْهُ مَا كَانَ قَدَرُهُ مِنْ أَمْرِهِ».

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «جِدُّوا بِالْدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ مَنْ⁽⁴⁾ يُكْثِرُ قَرَعَ الْبَابِ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ»⁽⁵⁾.

(1) رواه الحاكم (669/1 رقم: 1813) وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في الأوسط (66/3 رقم: 2498)، والقضاعي (48/2 رقم: 859) عن عائشة رضي الله عنها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (146/10): «فيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح المصري وضعفه الجمهور وبقيته رجاله ثقات».

(2) لم أقف عليه.

(3) رواه البيهقي في القضاء والقدر (ص: 214 رقم: 253)، والآجري في الشريعة (871/2 رقم: 450).

(4) [من] ساقط من (ع).

(5) رواه ابن أبي شيبة (22/6 رقم: 29175)، وأبو داود في الزهد (ص: 207 رقم: 225)، والبيهقي في شعب الإيمان (384/2 رقم: 1102).

تنبيه.

لَمَّا كَانَ مِنْ أَشْرَفِ الطَّاعَاتِ الدَّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ فَضلاً⁽¹⁾ وَكُرْماً، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ.

عن سفيان الثوري فيما رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «يَا مَنْ أَحَبَّ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُكَ»⁽³⁾.

وفي معناه قيل⁽⁴⁾: [الكامل]

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَتَرَى ابْنَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عنه عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «يَدْعُو اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: عَبْدِي إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ».

(1) نهاية الورقة (48/ظ).

(2) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الإمام الحافظ العلامة، والفقيه، الأصولي، والمتكلم المفسر، صنف كتباً كثيرة منها تفسير القرآن، والجرح والنعديل، والرد على الجهمية، ومناقب الشافعي، والمسند، توفي رحمه الله بالري في المحرم سنة 327هـ - 938م. له ترجمة في سير أعلام النبلاء (13/263 - 269)، وفوات الوفيات (2/287 - 288)، والطبقات الكبرى للسبكي (3/324 - 328).

(3) نقله ابن كثير في تفسيره (7/153).

(4) رواه الخطابي في العزلة (ص: 66) قال: أنشدني الحزيمي، وذكره.

فَيَقُولُ: أَمَّا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَبْتُ لَكَ، أَلَيْسَ دَعَوْتَنِي
يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أَفْرِجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عَنْكَ؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ
نَزَلَ بِكَ⁽¹⁾ أَنْ أَفْرِجَ عَنْكَ، فَلَمْ تَرَ فَرَجًا؟
قَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ إِنِّي ادْخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا، وَدَعَوْتَنِي فِي
حَاجَةٍ أَفْضِيهَا لَكَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فَقَضَيْتُهَا؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا
فِي حَاجَةٍ أَفْضِيهَا فَلَمْ تَرَ قَضَاءَهَا؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: إِنِّي ادْخَرْتُهَا لَكَ فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا؛ فَلَا يَدْعُ اللَّهُ دَعْوَةً
دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيَّنَّ لَهُ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُجِّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا
أَنْ يَكُونَ أُدْخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ: فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ: يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عُجِّلَ لَهُ فِي
شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ»، رواه الحاكم في المستدرک⁽²⁾.

(1) [نزل بك] ساقط من (ع).

(2) رواه الحاكم (671/1 رقم: 1819)، والبيهقي في شعب الإيمان (379/2 رقم:
1093)، وفي سنده ضعف.

وقوله: (لَا بِمَغْنَى التَّضَلُّعِ)، في القاموس: «ضَلَعَ كَمَنَعَ، مَالَ وَجَنَفَ وَجَارَ»⁽¹⁾.

وأراد بذلك التنبيه على أن من آداب الدعاء أن لا يجوز الداعي في دعائه ولا يتعدى فيه، لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁽²⁾.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «أَيُّ فِي الدُّعَاءِ وَفِي غَيْرِهِ»، رواه البخاري تعليقا⁽³⁾.

قال القسطلاني: «كالذي يسأل درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو الذي يرفع صوته عند الدعاء»⁽⁴⁾.

وعن سعد بن أبي وقاص⁽⁵⁾ رضي الله تعالى عنه عند أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَغْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ»⁽⁶⁾.

(1) القاموس المحيط (ص: 742) مادة: ضَلَعَ.

(2) سورة الأعراف: 55.

(3) رواه البخاري تعليقا (426/2) كتاب تفسير القرآن، ووصله الطبري في التفسير (486/12).

(4) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري (124/7).

(5) هو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، كان سابع من دخل في الإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتا، ولآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إمرة الجيش لفتح بلاد فارس ففتح الله على يده أكثرها، توفي رضي الله عنه سنة 55هـ - 675م. له ترجمة في: الاستيعاب (606/2 - 610)، وأسد الغابة (214/2 - 218)، والإصابة (76 - 73/3).

(6) رواه أحمد (79/3 رقم: 1483)، أبو داود (77/2 رقم: 1480)، وأبو داود الطيالسي (164/1 رقم: 197)، وأبو يعلى (71/2 رقم: 715)، وهو وإن كان فيه ضعف لجهالة مولى سعد، فإنه يتقوى بحديث ابن مغفل رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن مُغَفَّل⁽¹⁾ رضي الله تعالى⁽²⁾ عنه أنه سمع ابنه يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَعُذِّ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَغْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ»⁽³⁾.

تتمة [في آداب الدعاء].

للدَّعاء آداب، منها تقديم الوضوء، والصَّلاة، والتَّوبة، والإخلاص، واستقبال القبلة، وافتتاحه بالحمد والصَّلاة على النبي ﷺ، وختمه بالطَّابع وهو آمين، والتَّعميم، واتِّقاء الشَّبهات، وأن يسأل الله بعزم ورغبة وحضور، وأن لا يدعو بإثم أو قطيعة رَحِمَ أو أَمَرَ قد فُرِّغَ منه، وأن لا يستبطئ الإجابة.

(1) هو الصحابي الجليل أبو سعيد وأبو زياد عبد الله بن مغفل بن نهم بن عفيف المزني، من أهل بيعة الرضوان، وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقَّهوا الناس بالبصرة، توفي رضي الله عنه بالبصرة سنة 59هـ - 679م.
له ترجمة في: الاستيعاب (3/996)، وأسد الغابة (3/294)، وسير أعلام النبلاء (2/483 - 485)، وتهذيب الكمال (16/173 - 176).

(2) نهاية الورقة (49/و).

(3) رواه أحمد (27/351 رقم: 16796)، وابن ماجه (2/1271 رقم: 3864)، وابن حبان (15/166 رقم: 6763)، والحاكم (1/724 رقم: 1979) وقال صحيح الإسناد، وحسنه ابن كثير في التفسير (3/429).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى⁽¹⁾ عنه أن النبي ﷺ قال «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»⁽²⁾.

ومنها بسط اليدين ورفعهما ومسح الوجه بهما.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِبُطُونِ أَكْفِكُمْ، وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا، وَامْسَحُوا بِهَا وَجُوهَكُمْ»، رواه ابن ماجه وغيره⁽³⁾.

[الأصل الخامس: الخوف من الله تعالى]

الخامس أشار إليه بقوله:

161 - وَالْخَامِسُ خَوْفُكَ وَفَزَعُ قَلْبِكَ

162 - مِنْ سَطْوَةِ رَبِّكَ مِنْ شُرُوطِ إِيْمَانِيَا

الخوف والخشية والوجل والهبة والرَّهبة ألفاظ متقاربة، وبين صاحب المواهب ما بين عدم ترادفها، وهو كما قال المصنّف رحمه الله تعالى: (فَزَعُ الْقَلْبِ مِنْ سَطْوَةِ الرَّبِّ).

(1) [تعالى] ساقط من (ط).

(2) متفق عليه. رواه البخاري (212/3 رقم: 6340)، ومسلم (2095/4 رقم: 2735).

(3) رواه أبو داود (78/2 رقم: 1485) وضعفه، وابن ماجه (1272/2 رقم: 3866)، والحاكم (719/1 رقم: 1968)، وعبد بن حميد (ص: 236 رقم: 715)، والطبراني في الكبير (319/10 رقم: 10779)، والبيهقي (301/2 رقم: 3151) وضعفه.

[مراتب الخوف من الله]

وهو على ثلاث مراتب:

الأولى: خوف الوعيد وسطوة الاقتدار وعدم قبول العمل.

وفي الحديث «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَأْمَنُ قَلْبُهُ وَلَا تَسْكُنُ رَوْعَتُهُ»⁽¹⁾.

وروي «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَغْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبْكَيْتُمْ كَثِيرًا»⁽²⁾.

وروى الحاكم «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ أَحَدًا»⁽³⁾.

الثانية: خوف المكر وسوء الخاتمة وسلب الأحوال.

قال تعالى⁽⁴⁾: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽⁵⁾.

الثالثة: خوف السابقة من حيث كونه ما يُفَعَّلُ به لم يعلمه.

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (31/10)، والديلمي في الفردوس (371/5 رقم: 8469)،

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا، بسند ضعيف.

(2) متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها. رواه البخاري (589/2 رقم: 5221)، ومسلم

(618/2 رقم: 901).

(3) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (171/31)، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول

(80/3)، والديلمي في الفردوس (544/5 رقم: 9040)، وأبو بكر الكلاباذي في

بحر الفوائد (ص: 216) عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا.

(4) سورة الأعراف: 99.

(5) [خوف المكر وسوء القوم الخاسرون] ساقط من (ع).

لما رُوي⁽¹⁾ «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»، الحديث⁽²⁾.

وهو من شروط الإيمان وشُعْبِهِ، كما صرَّح به المصنّف رحمه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

وعن أبي سليمان الداراني⁽⁴⁾: «مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرَبَ»⁽⁵⁾.

[الأصل السادس: الرجاء]

السادس أشار له بقوله:

163 - وَسَادِسُهَا الرِّجَى شَفَاعَةُ الْمُزْتَجَى

164 - وَرَحْمَةُ تُزْتَجَى قَبُولُ الْأَعْمَالِ يَا

(1) نهاية الورقة (49/ظ).

(2) متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه. رواه البخارى (3/133 رقم: 3332)، ومسلم (4/2036 رقم: 2643).

(3) سورة آل عمران: 175.

(4) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني، الإمام الكبير المشهور الزاهد، أحد رجال الطريقة، توفي رحمه الله سنة 215هـ - 830م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (9/254 - 280)، وتاريخ بغداد (10/248 - 250)، وسير أعلام النبلاء (10/182 - 186)، ووفيات الأعيان (3/131).

(5) رواه القشيري في الرسالة (1/254).

(الرَّجَاءُ) بالمدّ، وقصّره الشَّيْخ رحمه الله تعالى للقافية، وهو
ترقّب الانتفاع بما تقدّم له سبب، قاله الحَرَالِيُّ⁽¹⁾.
وقال غيره: هو لغة الأمل.

وعرفا: توقّع أمر محبوب على سبيل الاقتراب.
وأفضله عند طائفة أن يساوي الخوف في الصّحة، وعند آخرين
أن يغلب الخوف، أمّا في المرض فرجحان الرّجاء أفضل.
قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾⁽²⁾.

ورُوي عن النبي ﷺ قال: «قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي، مَا
عَبَدْتَنِي وَرَجَوْتَنِي وَلَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ،
وَإِنْ اسْتَقْبَلْتَنِي بِمِلءِ الْأَرْضِ خَطَايَا وَذُنُوبًا لَأَسْتَقْبِلْتَكَ بِمِلْءِهَا مَغْفِرَةً،
وَأَغْفِرُ لَكَ وَلَا أَبَالِي»⁽³⁾.

(1) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم التجيبي الحرّالي،
وحرّالة من أعمال مرسية بالأندلس، أخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف،
ورحل إلى المشرق، وكان مفننا، صنف في التفسير، وفي المنطق، وفي شرح
الأسماء الحسنى، الإمام توفي رحمه الله سنة 638هـ - 1241م.
له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (47/23)، وتاريخ الإسلام (336/46 - 337)،
والوفاي بالوفيات (120/20).

(2) سورة العنكبوت: 5.

(3) رواه الترمذی (548/5 رقم: 3540) وقال: حسن غريب، والضياء في المختارة
(399/4 رقم: 1571) وقال: إسناده صحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في الكبير (19/12 رقم: 12346) عن ابن عباس رضي الله عنه.
ورواه أحمد (296/35 رقم: 21368)، والدارمي (414/2 رقم: 2788)، والبيهقي في
شعب الإيمان (235/2 رقم: 1010) عن أبي ذر رضي الله عنه.
ورواه البيهقي في شعب الإيمان (234/2 رقم: 1009) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

[أنواع الرجاء⁽¹⁾]

وهو على ثلاثة أنواع:

الأول: رجاء الشفاعة مع حالة الإسراف وقلة العمل، فيرجو شفاعته الشافعين.

الثاني: رجاء قبول الأعمال بتخليصها من الرياء والسمعة والعجب وطلب الثواب والدراجات، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَمْ أَكْفَرُ بِكُمْ﴾ (2).

الثالث: رجاء الرحمة والمعارف اللدنية، ومنشأ ذلك سعة الرحمة والمنّة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (3).

(1) يقول الحارث المحاسبي في آداب النفوس (ص: 67 - 68): «وأما الرجاء فهو أن ترجو قبول الأعمال وجزيل الثواب عليها، وتخاف مع ذلك أن يرد عليك عملك أو يكون قد دخلته آفة أفسدته عليك. والراجون ثلاثة:

رجل عمل حسنة وهو صادق في عملها مخلص فيها، يريد الله بها ويطلب ثوابه، فهو يَرْجُو قَبُولَهَا وَثَوَابَهَا وَمَعَهُ الْإِشْفَاقُ فِيهَا.

ورجل عمل سيئة ثُمَّ تَابَ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ يَرْجُو قَبُولَ تَوْبَتِهِ وَثَوَابَهَا، وَيَرْجُو الْعَفْوَ عَنْهَا وَالْمَغْفِرَةَ لَهَا، وَمَعَهُ الْإِشْفَاقُ أَلَا يُعَاقِبُهُ عَلَيْهَا.

وأما الثالث فهو الرجل يتمادى في الذنوب وَفِيمَا لَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحِبُّ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِهِ، وَيَرْجُو الْمَغْفِرَةَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ تَائِبٍ مِنْهَا وَلَا مَقْلَعٍ عَنْهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْجُو، فَهَذَا يُقَالُ لَهُ مَفْتَرٌ مُتَعَلِّقٌ بِالرَّجَاءِ الْكَاذِبِ وَالْأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ وَالطَّمَعِ الْكَاذِبِ».

(2) سورة الكهف: 110.

(3) سورة الأعراف: 156.

وقوله: (قَبُولُ الْأَعْمَالِ يَا) عَظَفَ عَلَى سَابِقِهِ بِحَذْفِ الْعَاطِفِ.

[الأصل السابع: الورع]

السَّابِعُ أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ:

165 - وَسَابِغُهَا الْوَرَعُ حَظَرًا وَمَكْرُوهًا مَعَ

166 - مُشْتَبِهٍ مُبَاحًا دَعًى وَالْأَغْيَارَ الْكُلِّيًّا

روى الخطيب⁽¹⁾ وابن عساكر⁽²⁾ عن النبي ﷺ⁽³⁾ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ أَسٌّ، وَأَسُّ الْإِيمَانِ الْوَرَعُ»⁽⁴⁾.

(1) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، الإمام الحافظ الناقد، العلامة الفقيه المفتي، صاحب التصانيف، قال الذهبي: «جمع وصنف وصحح، وعلل وجرح، وعدل وأرخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق»، توفي رحمه الله سنة 463هـ - 1072م.

له ترجمة في: تاريخ دمشق (31/5 - 41)، وسير أعلام النبلاء (270/18 - 296)، ووفيات الأعيان (92/1 - 93)، وطبقات الشافعية الكبرى (29/4 - 39).

(2) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، الإمام الحافظ، ناصر السنة وخدامها، إمام أهل الحديث في زمانه، أحد من اشتهر ذكره وشاع علمه وعرف حفظه وإتقانه، صاحب تاريخ دمشق الكبير، توفي رحمه الله سنة 571هـ - 1176م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (295/15)، والوافي بالوفيات (216/20 - 222)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (215/7 - 223).

(3) نهاية الورقة (50/و).

(4) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الخطيب (345/26)، وقال: «قال الخطيب: الحكم بن ظهير ذاهب الحديث»، والدليمي (333/3 رقم: 5001)، قال المناوي في فيض القدير (284/5): «وفيه من لا يعرف».

وروى الطبراني وابن حبان⁽¹⁾: «اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرًا مِنَ الْحَلَالِ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزَّضَهُ»⁽²⁾.

وروي عن النبي ﷺ «رَكْعَتَانِ مِنْ رَجُلٍ وَرَعٍ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنْ مُخَلِّطٍ»⁽³⁾.

[أقسام الورع]

وهو خمسة أقسام:

الأول: الورع عن الحرام، وهو المشار إليه بقوله: (حَظْرًا).

الثاني: الورع عن المكروهات، وإليه أشار بقوله: (مَكْرُوهًا).

الثالث: الورع عن الشبهات، وهو المعني بقوله: (مُشْتَبِهًا).

(1) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي، الإمام العلامة الحافظ المجود، شيخ خراسان، صنف المسند الصحيح المسمى بكتاب الأنواع والتقاسيم، وكتاب التاريخ، وكتاب الضعفاء، ولد في بستان من بلاد سجستان وتوفي رحمه الله بها سنة 354 هـ - 965 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (92/16 - 104)، والوافي بالوفيات (317/2 - 318)، وشذرات الذهب (16/3).

(2) رواه ابن حبان (380/12 رقم: 5569)، والطبراني في الأوسط (19/9 رقم: 9003)، وأبو عوانة (399/3 رقم: 5468)، وابن المقرئ في المعجم (ص: 45 رقم: 45) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (293/10): «رجاله رجال الصحيح، غير شيخ الطبراني المقدم بن داود، وقد وثق على ضعف فيه».

(3) رواه الديلمي في الفردوس (265/2 رقم: 3234)، والبيهقي في شعب الإيمان (406/10 رقم: 7704) وقال: «هذا إسناد ضعيف».

الرَّابِع: الورع عن المباحات، وهو المراد بقوله: (مُبَاحًا).

الخامس: الورع عن الأغيار، وهو المقصود بقوله: (وَالْأَغْيَارَ الْكَلِيًّا).

وثمره الأول السَّلامة عن كلِّ ما يطعن الشَّارع فيه، والثاني السَّلامة عن الوقوع في العطب، والثالث ثمرته استبراء العِرض والدين، والرَّابع ثمرته تحصيل فضيلة الكمال، والخامس ثمرته التَّرقِّي لمقام الإحسان وتفريغ القلب من كلِّ ما سواه تعالى.

وقال يونس بن عُيَيْدٍ⁽¹⁾: «الْوَرَعُ الْخُرُوجُ عَنْ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ مَعَ كُلِّ طَرْفَةٍ»⁽²⁾.

وحكي «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَكْتُبُ رُقْعَةً وَهُوَ فِي بَيْتٍ بِكَرَاءٍ، فَأَرَادَ أَنْ يُتَرَّبَ الْكِتَابَ مِنْ جِدَارِ الْبَيْتِ، فَخَطَرَ بِبَالِهِ أَنْ الْبَيْتَ بِالْكَرَاءِ، ثُمَّ خَطَرَ بِبَالِهِ إِنَّهُ لَا حَظَرَ لَهُ فَتَرَّبَ الْكِتَابَ، فَسَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ: سَيَلْقَى الْمُسْتَحِفُّ بِالثَّرَابِ مَا يَلْقَى غَدًا مِنْ طُولِ الْحِسَابِ»⁽³⁾.

(1) هو أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدي البصري، الإمام القدوة الحجة، من صغار التابعين وفضلائهم، رأى أنس بن مالك، وحدث عن الحسن، وابن سيرين، وعطاء، وعكرمة، وغيرهم، وكان ثقة كثير الحديث، توفي رحمه الله سنة 139 هـ - 756 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (3/15 - 27)، وسير أعلام النبلاء (6/288 - 296)، وتهذيب الكمال (32/517 - 534).

(2) رواه القشيري في الرسالة (1/234).

(3) رواه القشيري في الرسالة (1/237).

وَرَهَنَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَطْلًا لَهُ عِنْدَ بَقَالٍ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا أَرَادَ فِكَكَاهُ أَخْرَجَ الْبَقَالَ إِلَيْهِ سَطْلَيْنِ وَقَالَ لَهُ: خُذْ أَيُّهُمَا لَكَ، فَقَالَ الْإِمَامُ: أَشْكَلُ عَلَيَّ سَطْلِي فَهُوَ لَكَ، وَالذَّرَاهِمُ لَكَ، فَقَالَ الْبَقَالُ: سَطْلُكَ هَذَا، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُجَرِّبَكَ، فَقَالَ: لَا أَخُذُ، وَمَضَى وَتَرَكَ السَّطْلَ عِنْدَهُ»، اهـ⁽²⁾.

وفي المصباح: «وَرَعَ عَنِ الْمُحَرَّمِ يَرُوعُ بِكَسْرَتَيْنِ، وَرَعًا بِفَتْحَتَيْنِ، وَرِعَةً مِثْلُ عِدَةٍ فَهُوَ وَرِعٌ، أَيْ كَثِيرُ الْوَرَعِ»⁽³⁾.

[الأصل الثامن: التقوى]

الثامن أشار له بقوله:

167 - وَثَامِنُهَا التَّقْوَى حَلِيَّةُ أَهْلِ الصَّفْوَا⁽⁴⁾

168 - خَالَفَ نَفْسَكَ وَالْهَوَى بِاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَا

التَّقْوَى لغة: اسم للحذر، يقال اتَّقَيْتُ الشَّيْءَ وَتَقَيْتُهُ حذرته.

(1) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، الإمام الحافظ حبر الأمة وناصر السنة، مناقبه أشهر من أن تذكر، توفي رحمه الله ببغداد سنة 241هـ - 855م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (9/ 161 - 233)، والجرح والتعديل (1/ 292 - 313) و (68 - 70)، وتذكرة الحفاظ (2/ 431 - 432)، وطبقات الفقهاء للشيرازي (ص: 91 - 92).

(2) رواه القشيري في الرسالة (1/ 237).

(3) المصباح المنير (2/ 655).

(4) نهاية الورقة (50/ظ).

وَعُزْفًا التَّحَرُّزُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَنْ عِقُوبَتِهِ، أَيِ صَيَانَةِ النَّفْسِ عَمَّا
تَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةُ، وَتَجَنُّبُ الْقَبِيحِ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽¹⁾.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: «قِيلَ: يَا مُحَمَّدُ،
مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ كُلُّ تَقِيٍّ»⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري⁽³⁾ رضي الله تعالى عنه قال «جَاءَ رَجُلٌ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ
جَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ»⁽⁴⁾.

(1) سورة الحجرات: 13.

(2) رواه الطبراني في الأوسط (338/3 رقم: 3332)، وفي الصغير (199/1 رقم: 318)،
والبيهقي (218/2 رقم: 2873)، والديلمي (418/1 رقم: 1692)، وابن عدي في
الكامل (293/8) و(306/8)، والعقيلي (286/4) وضعفه، وقال الحافظ في الفتح
(161/11): «سنده واه جدا».

(3) هو الصحابي الجليل أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري من
مشاهير الصحابة المكثرين في الرواية، وكان معدودا في أهل الصفة فقيها نبيلًا،
وقد قيل: لم يكن في أحداث الصحابة أفقه منه، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة
غزوة أولها غزوة الخندق، واستُصْعِرَ يوم أحد فَرُدَّ، وهو أحد الذين بايعوا تحت
الشجرة، روى عن النبي ﷺ ألفا ومائة وسبعين حديثًا، توفي رضي الله عنه
بالمدينة سنة 74 هـ - 693 م.

له ترجمة في: الاستيعاب (602/2)، وأسد الغابة (213/2)، والإصابة (78/3 - 80)،
والرياض المستطابة (ص: 100).

(4) رواه أحمد (249/18 رقم: 11774)، وأبو يعلى (283/2 رقم: 1000)، والطبراني في
الصغير (156/2 رقم: 949)، والخطيب في تاريخ بغداد (392/7)، وقال الهيثمي في
مجمع الزوائد (215/4): «ورجال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي
سليم وهو مدلس».

قال القشيري⁽¹⁾: «أصل التَّقوى اتَّقَاءُ الشَّرِّ، ثمَّ بعده اتَّقَاءُ المعاصي والسَّيِّئات، ثمَّ بعده اتَّقَاءُ الشَّبهات، ثمَّ يَدْعُ بعدها الفضلات».

وقيل في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾⁽²⁾: «أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَ يُشْكَّرَ فَلَا يُكْفَرُ»⁽³⁾.

وقوله: (بِاجْتِنَابِ الْمُنْهَيَّاتِ) بألف الإشباع للقافية، يريد وامتنال المأمور به، وأشار بذلك إلى أَنَّ التَّقوى عبارة عن اجتناب المنهيات وفعل المأمورات، وذلك يستلزم مخالفة النفس.

[الأصل التاسع: الزهد]

التاسع أشار إليه بقوله:

169 - تَاسِعُ زُهْدُكَ يَا وَلِيَّيْ وَهُوَ قَضْرُ الْأَمَلِ

170 - أَفْسَامُهُ خَمْسٌ قُلِّيْ خَامِسٌ سِوَى مَوْلَايَا

الزُّهْدُ لغة: ترك الشَّيء والإعراض عنه، ضدَّ الرَّغبة فيه.

(1) في (ع) زيادة رحمه الله تعالى.

(2) سورة آل عمران: 102.

(3) رواه ابن المبارك في الزهد (8/1 رقم: 22)، وابن أبي شيبة (106/7 رقم: 34553)، والنسائي في الكبرى (404/10 رقم: 11847)، والحاكم (323/2 رقم: 3159) وقال: «حديث صحيح» ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية (238/7) موقوفاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَعُزْفًا: قصر الأمل، كما قال رحمه الله تعالى، وبغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾⁽¹⁾.

وفي الحديث «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»⁽²⁾.

وروى الدَّيْلَمِيُّ: «أَتْرَكُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا، فَإِنَّهُ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ أَخَذَ مِنْ حَتْفِهِ»⁽³⁾.

(1) سورة النساء: 77.

(2) الحديث مروى عن سهل بن سعد رضي الله عنه، رواه ابن ماجه (2/1373 رقم: 4102)، والطبراني في الكبير (6/193 رقم: 5972)، والحاكم (4/348 رقم: 7873) وقال: صحيح الإسناد، والقضاعي (1/373 رقم: 643)، والبيهقي في شعب الإيمان (13/116 رقم: 10044) وقال: «خالد بن عمرو هذا ضعيف»، وأبو نعيم في الحلية (3/252).

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (4/210): «هذا إسناد ضعيف»، وحسنه النووي في الأذكار (ص: 407)، وابن حجر في بلوغ المرام (2/210).
ورواه أبو نعيم في الحلية (8/41) عن أنس رضي الله عنه.

(3) رواه البزار (13/89 رقم: 6444)، والديلمي (1/108 رقم: 363)، والشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (2/226 رقم: 2221) عن أنس رضي الله عنه، قال المناوي في الفيض (1/119): «فيه من لا يعرف، لكن فيه شواهد تصيره حسنا لغيره»، وقال العجلوني في كشف الخفاء (1/38): «رواه الديلمي، وهو حسن لغيره».

وَرُوي: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَمَنْطَقًا فَتَقَرَّبُوا⁽¹⁾ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ»⁽²⁾.

[أقسام الزهد]

وهو كما صرَّح به المصنِّف رحمه الله تعالى خمسة أقسام:

الأول: أن⁽³⁾ تزهد فيما يتنافس فيه النَّاسُ يحبُّكَ النَّاسُ.

الثاني: أن تزهد في الدُّنْيَا يحبُّكَ الله.

الثالث: أن تزهد أقوالُكَ وأفعالُكَ وأحوالُكَ، وترحل عن علمك وعملك.

الرابع: أن تزهد المقامات والتَّصَرُّفات والكرامات عند الواردات.

الخامس: أن تزهد عما سوى الله.

والزَّاهدون هم الآمنون.

(1) كذا في النسخ، وفي كتب الرواية فاقتربوا.

(2) رواه ابن ماجه (1373/2 رقم 4101)، وأبو بكر الشيباني في الأحاد والمثاني (152/5 رقم: 2690)، وابن سعد في الطبقات (130/6)، والطبراني في الكبير (392/22 رقم: 975)، وأبو نعيم في الحلية (405/10)، والبيهقي في شعب الإيمان (119/13 رقم: 10048)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (96/53) عن أبي خلاد وكانت له صحبة رضي الله عنه.

والحديث منقطع الإسناد، انظر بيان الوهم والإيهام لابن القطان (638/4)، وفيه أبو فروة قال الذهبي في الميزان (562/4) «تفرد بهذا يحيى بن سعيد بن أبان عن أبي فروة، وهو الجزري واه».

(3) نهاية الورقة (51/و).

[الأصل العاشر : الصبر]

العاشر أشار إليه بقوله رحمه الله تعالى :

171 - عَاشِرُ صَبْرِكَ عَنْ بَلَوَى حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشُّكْوَى

172 - تَرْكُ الْمُنْهَيِّ وَالْخُلُوعِ حُضُورُكَ وَالْجَمْعِيَا

الصَّبْرُ لغة: حبس النفس عن الجزع.

وقيل: هو القوة على مقاومة الآلام.

وعُرفاً: الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى، وهو معنى قوله: (حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشُّكْوَى).

قال تعالى ⁽¹⁾: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ⁽³⁾.

[مراتب الصبر]

وهو على مراتب:

أولها: الصبر على ترك المخالفات، وعن شكوى البلياء والمحن عن كل أحد إلا عن الشيخ.

وروي «أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَصَابَتْهُ بَلَايَا وَكَانَ يَعْرِفُ الْاسْمَ الْأَعْظَمَ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْبَلَايَا هَدَايَا اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ أَرُدَّ هَدَايَا رَبِّي» ⁽⁴⁾.

(1) [تعالى] ساقط من (ع).

(2) سورة النحل: 127.

(3) سورة الزمر: 10.

(4) لم أقف عليه بعد طول بحث.

ثانيها: الصّبر بالعزلة والخلوة، والفرار من الخلق.

ثالثها: الصّبر على مراقبة الحقّ، وعدم التّفرقة بالخواطر الموجبة للتّشتيت، وبه يحصل التّرقّي عن ملاحظة الأغيار ورؤية الآثار.

وفي الحديث: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيْمَانِ»⁽¹⁾.

وفي رواية: «بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»⁽²⁾، رواه البيهقي⁽³⁾.

(1) رواه الحاكم (484/2 رقم 3666) وقال: صحيح الإسناد، والطبراني (104/9 رقم 8544)، والبيهقي في شعب الإيمان (74/1 رقم 48)، والقضاعي (126/1 رقم 158) والديلمي (415/2 رقم 3841)، والخطيب (0/13)، وقال المنذري (140/4): «رواته رواية الصحيح وهو موقوف، وقد رفعه بعضهم»، وقال الهيثمي (57/1): «رجاله رجال الصحيح»، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (815/2 رقم 1364).

(2) رواه الديلمي (414/2 رقم 3840) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: 1400).

ورواه ابن أبي شيبة (172/6 رقم 30439)، وأبو نعيم في الحلية (75/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (146/1 رقم 40)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (842/4 رقم 1569)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (510/42) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفاً عليه، وسنده ضعيف.

(3) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي، الإمام الحافظ، من أعلام الحديث والفقه والأصول، من مصنفاته السنن الكبرى والصغرى، وشعب الإيمان، وغيرها، ولد سنة 384 هـ. 994 م، وتوفي رحمه الله سنة 458 هـ. 1066 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (163/18 - 170)، وطبقات الشافعية للأسنوي (98/1 - 99)، وشذرات الذهب (304/3 - 305).

وفيه عنه صلى الله عليه: «مَنْ ابْتَلِيَ فَصَبْرٌ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرٌ، وَظَلِمَ فَغَفَرَ، وَظَلِمَ فَاسْتَغْفَرَ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾» (1) (2).

وأشار بقوله: (وَالْخُلُوعُ) بإبدال الهاء ألفاً إلى الثاني من مراتب الصبر، وبقوله (حُضُورُكَ) إخ إلى الثالث، يعني حبس النفس عن الحضور وعدم الخروج من مقام الجمع.

[الأصل الحادي عشر: الشكر]

الحادي عشر أشار إليه بقوله:

173 - حَادِي عَشَرَ شُكْرُكَ فَاعْرِفْ فَضْلَ رَبِّكَ

174 - وَاسْتَغْمِلْ أَرْكَانَكَ فِي الطَّاعَاتِ الْكُلِّيَا (3)

قال تعالى: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (4).

وروى الطبراني حديثاً قدسياً: «عَبْدِي إِذَا ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي، وَإِذَا نَسِيتَنِي كَفَرْتَنِي» (5).

(1) سورة الأنعام: 82.

(2) رواه الطبراني في الكبير (138/7 رقم: 6613)، والبيهقي في شعب الإيمان (248/6 رقم: 4117)، وابن أبي الدنيا في الشكر (ص: 57 رقم: 167)، وفي الصبر والثواب (ص: 35 رقم: 33)، عن سَخْبَرَةَ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (284/10): «وفيه أبو داود الأعمى، وهو متروك».

(3) نهاية الورقة (51/ظ).

(4) سورة إبراهيم: 7.

(5) رواه الطبراني في الأوسط (200/7 رقم: 7265)، وأبو نعيم في الحلية (337/4)، والدليمي (181/3، رقم 4491)، وابن الجوزي العلل المتناهية (830/2 رقم 1387) وقال: «لا يصح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (79/10): «وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف».

وروى ابن عساكر: «لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بِكَفِّ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ»⁽¹⁾.

«أَوَّلُ مَا يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»⁽²⁾، اهـ.

والشكر لغة: الوصف بالجميل على النعمة، باللسان أو الجنان أو الأركان.

وعُرفا: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خُلِقَ له وأُعْطِيَ من أجله.

وعند أهل الحقيقة: الاعتراف بنعمة المُنعم على وجه الخضوع. وكلام المصنّف رحمه الله⁽³⁾ مفيد لتعريفه على الوجهين.

(1) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (16/54) عن أنس رضي الله عنه مرفوعا، وفيه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله الشيباني الكوفي، قال الخطيب في تاريخ بغداد (499/3): «وكان يروي غرائب الحديث، وسؤالات الشيوخ، فكتب الناس عنه بانتخاب الدارقطني، ثم بان كذبه فمزقوا حديثه وأبطلوا روايته».

(2) رواه الحاكم (681/1 رقم 1851) وقال: صحيح على شرط مسلم، والطبراني في الكبير (19/12 رقم 12345)، وفي الأوسط (240/3، رقم 3033)، وفي الصغير (181/1، رقم 288)، والبيهقي في شعب الإيمان (115/4 رقم 4483)، وأبو نعيم في الحلية (69/5) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، وقال الهيثمي (95/10): «رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقيّة رجاله رجال الصحيح».

(3) في (ع) زيادة تعالى.

[الأصل الثاني عشر : القناعة]

الثاني عشر أشار له بقوله:

175 - ثَانِي عَشَرَ قَنَعُكَ تَكْتَفِي بِمَا مَعَكَ

176 - تَرْضَى مَا قَسَمَ لَكَ هِيَ الْكَنْزُ الْبَاقِي يَا

القَنَعُ بفتحين مصدر قَنَعَ من باب تَعَبَ، الرِّضَا بالقسمة كَمَا صرَّح به المصنّف رحمه الله تعالى، والقَنَاعَةُ مثله.

وعن جابر بن عبد الله: «القَنَاعَةُ كَنَزٌ لَا يَفْنَى»⁽¹⁾.

وروى الطبراني: «عَلَيْكُمْ بِالْقَنَاعَةِ، فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ»⁽²⁾.

وفيه: «مَنْ أَضْبَحَ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»⁽³⁾.

(1) رواه البيهقي في الزهد الكبير (ص: 88 رقم: 104) وقال: «هذا إسناد ضعيف»،
والقشيري في الرسالة (294/1) عن جابر مرفوعا، وقال المنذري في الترغيب
والترهيب (335/1): «وَرَفَعَهُ غَرِيبٌ».

(2) رواه الطبراني في الأوسط (84/7 رقم: 6922)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد
(256/10): «وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي، وهو متروك».

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد (112/1 رقم 300)، والترمذي (574/4 رقم 2346)
وقال: حسن غريب، وابن ماجه (1387/2 رقم 4141)، والقضاعي (320/1)، رقم
540، والبيهقي في شعب الإيمان (294/7 رقم 10362) عن عُبيدِ الله بن مِخْصَنٍ
الأنصاري رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في الأوسط (230/2 رقم: 1828) عن ابن عمر رضي الله عنه.

وإلى حديث جابر أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (هِيَ الْكَزْزُ الْبَاقِي يَا)، و (يَا) للنداء، والمنادى محذوف.

وقيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾⁽¹⁾، «الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي الدُّنْيَا الْقَنَاعَةُ»⁽²⁾.
ولبعضهم:

الرِّزْقُ يَأْتِي وَإِنْ لَمْ يَسْعَ صَاحِبُهُ حَتْمًا وَلَكِنْ شَقَاءُ الْمَرْءِ مَكْتُوبٌ
وَفِي الْقَنَاعَةِ كَنْزٌ لَا نَفَادَ لَهُ وَكُلُّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مَسْلُوبٌ

[الأصل الثالث عشر: التوكل]

الثالث عشر أشار إليه بقوله:

177 - ثَالِثُ عَشَرَ تَوَكَّلْ تَزَكُّ تَذِيرَ الْعُقُولِ

178 - لَا يُنَافِي التَّوَسُّلُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ

التَّوَكَّلْ على الله لغة: الوثوق به والاعتماد عليه.

وعُرفًا: الخروج عن الأسباب ثقة بمُسَبِّبِ الأسباب.

(1) سورة النحل: 97.

(2) رواه الطبري في التفسير (290/17) عن الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله.
ورواه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه (72/1 رقم: 42) عن الأسود رحمه الله.

وقيل: هو الفناء في أفعاله تعالى عن فعله، لتحقيقه أن الله تعالى متولّي أمره.

وقيل: القيام بالله تعالى⁽¹⁾ في كلّ الأمور لا بنفسه.

وقيل: اعتقاد كون الحول والقوّة عن الفعل بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

وفي الحديث: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»⁽⁴⁾.

وقال سهل بن عبد الله: «عَلَامَةُ الْمُتَوَكِّلِ⁽⁵⁾ ثَلَاثٌ: لَا يَسْأَلُ، وَلَا يَرُدُّ، وَلَا يَحْبُسُ»⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (52/و).

(2) سورة الطلاق: 3.

(3) سورة المائدة: 23.

(4) رواه الحاكم (300/4 رقم: 7707) وسكت عنه وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال:

«هشام بن زياد متروك»، والقضاعي في مسند الشهاب (1/234 رقم: 367)، وعبد

بن حميد (ص: 225 رقم: 675)، ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص: 18 رقم:

5)، والبيهقي في الزهد (2/364 رقم: 986)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (4/340)

وقال: «وليس لهذا الحديث طريق يثبت»، وأبو نعيم في الحلية (3/218) عن ابن

عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

(5) في (ع) التوكل.

(6) رواه القشيري في الرسالة (1/298).

وهو لا ينافي تعاطي الأسباب مع شهود الحق، ففي الحديث «اعقلها وتوكل»⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾⁽²⁾.

وقال أبو علي الدقاق «لِلْمُتَوَكِّلِ⁽³⁾ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: التَّوَكُّلُ، ثُمَّ التَّسْلِيمُ، ثُمَّ التَّفْوِيزُ، فَالْمُتَوَكِّلُ يَسْكُنُ إِلَى وَعْدِهِ، وَصَاحِبُ التَّسْلِيمِ يَكْتَفِي بِعِلْمِهِ، وَصَاحِبُ التَّفْوِيزِ يَرْضَى بِحُكْمِهِ»⁽⁴⁾.

وأشار بقوله رحمه الله تعالى: (تَرْكُ تَذْيِيرِ الْعُقُولِ) إلى أَنَّ التَّوَكُّلَ فِي عُرْفِ الْقَوْمِ كَمَا عَرَّفُوهُ بِمَا تَقَدَّمَ، بَأَنَّ الْمُتَوَكِّلَ هُوَ الْمُنْسَلَخُ عَنْ تَدْبِيرِهِ وَعَقْلِهِ، الْمُعَوَّلُ عَلَى عِلْمِهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ.

(1) رواه ابن حبان (510/2 رقم: 731)، والحاكم (722/3 رقم: 6616) وسكت عنه وعلق عليه الذهبي في التلخيص بقوله: «سنده جيد»، والبيهقي في شعب الإيمان (80/2 رقم: 1210)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (215/2 رقم: 970) عن عمرو بن أمية رضي الله عنه، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1640/1): «بإسناد جيد».

ورواه الترمذي (668/4 رقم: 2517) وقال: «غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وأبو نعيم في الحلية (390/8)، والبيهقي في شعب الإيمان (80/2 رقم: 1212)، والضياء (216/7 رقم: 2658) عن أنس رضي الله عنه.

(2) سورة المائدة: 23.

(3) كذا في النسخ، وفي رسالة القشيري التَّوَكُّلُ.

(4) رواه القشيري في الرسالة (302/1).

وقوله: (لَا يُنَافِي التَّوَسُّلُ) يعني أَنَّ التَّوَكَّلَ لَمَّا كَانَ مُحَلَّهُ الْقَلْبَ،
فالتَّوَسُّلُ بِالْقَوْلِ لَا يُنَافِيهِ، لِأَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ اللِّسَانِ لَا مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

[أَصُولُ الطَّرِيقِ هِيَ سَبِيلُ الْوُصُولِ]

قوله:

179 - تَمَّتْ هَذِهِ الْأُصُولُ وَالصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ

180 - هِيَ سُلْمُ الْوُصُولِ بِهَا بَلَّغُوا الصُّوفِيَا

الإشارة إلى الصفات الثلاثة عشر المذكورة، والألف واللام في
(الرَّسُولِ) للعهد، والمعهود هو مولانا وشفيعنا وسيدنا خاتم النبيين
والمرسلين محمد ﷺ.

وقوله: (هِيَ سُلْمُ الْوُصُولِ)، المبتدأ عائد على الأصول،
والسُّلْمُ المرقاة.

وقوله: (بِهَا) صلة (بَلَّغُوا)، قُدِّمَتْ لِلْحَصْرِ، أَي بَلَّغُوا بِهَا لَا
بغيرها، وواو (بَلَّغُوا) علامة، و (الصُّوفِيَّةُ) هو الفاعل، والمفعول
محذوف تقديره مرامهم، أَي لَا وَصُولَ إِلَّا بِهَذِهِ الْأُصُولِ.

[تَحْذِيرٌ مِنَ الْمَكْرِ وَدَعْوَةٌ إِلَى حَسَنِ السَّيْرِ]

قوله:

181 - يَا مُرِيدِي مَحْبُوبِي اخْذَرْ مَكْرَ الْقُلُوبِ

182 - حَسِّنْ سَيْرَكَ أَدَبِي مَعَ شَيْخِكَ وَإِخْوَانِيَا

183 - وَإِذَا تُرِيدُ السُّلُوكَ اجْعَلْ نَفْسَكَ كَالْمَمْلُوكِ

184 - وَتَأَدَّبْ كَمَا الْمُلُوكُ كُنْ مَيِّتًا بَيْنَ أَيْدِيَا

نصيحة حسنة ووصية مستحسنة بالحدز من كل ما يتسبب⁽¹⁾ عنه المكر، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽²⁾، وبالأدب وحسن السير مع الشيخ والإخوان، وسيجيء بيان آداب المريد مع شيخه وإخوانه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وبأن مريد سلوك طريق القوم يكون بين يدي شيخه كالعبد بين يدي سيده، والمملوك بين يدي مالكه، والميت بين يدي غاسله، يقلبه كيف يشاء، فلا تكون له حركة ولا تدبير.

(1) نهاية الورقة (52/ظ).

(2) سورة الأعراف: 99.

[ملازمة حلق الذكر]

ولمّا فرغ⁽¹⁾ من الكلام على أصول الطريق، شرع في الحثّ على ملازمة حلق الذكر صباحا ومساء فقال:

185 - يَا دَاخِلًا فِي الزُّمَرِ تَبْغِي فَتَحَ الْبَصِيرِ

186 - إِيَّاكَ تَزُكُّ الْحَضْرَةَ صَبَاحًا وَمَسَاءً

187 - هِيَ صَيْدُكَ الْعَزِيزُ هِيَ كَنْزُكَ الْإِبْرِيْزُ

188 - كَلَامُ اللَّهِ الْعَزِيزُ حَضُّ عَنْهَا نَبِيًّا

(الزُّمَرَةُ) الفوج من النَّاس والجماعة.

والمراد هنا فوج الذاكرين الطالبين فتح بصائرهم وإزالة الرّان والغشاوة عنها.

وقوله: (إِيَّاكَ تَزُكُّ الْحَضْرَةَ) تحذير من الإعراض عنها، ولا سيّما في هذين الوقتين الصّباح والمساء، وأراد بالحضرة حلقة الذكر.

ثمّ بالغ في الحثّ فذكر أنّها الصّيد العزيز والكنز الإبريز، لأنّ أجلّ ما يقتنصه العاقل ويكنزه ذكر الله تعالى وطاعته، لعموم النّفع بذلك عاجلا وآجلا، على سبيل التّشبيه البليغ.

(1) في (ع) زيادة رحمه الله تعالى.

وأشار بقوله: (كَلَامُ اللَّهِ الْعَزِيزِ، حَضٌّ) إلخ، إلى قوله تعالى:
﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١).

وقوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ﴾ (٢)، أي يذكرونه لا يشغلهم شاغل عنه في الغدو والآصال.

وقوله: (نَبِيًّا) معطوف على كلام الله بحذف العاطف.

وقوله: (حَضٌّ عَنْهَا) أي عليها، ف (عَنْ) بمعنى على، يقال: حَضَّه
على الأمر حَضًّا إذا حَثَّه عليه، من باب قتل، والمعنى حَضَّ كَلَامُ اللَّهِ
وكلام النبي ﷺ عليها.

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي
ﷺ (٣): «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى
تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ» (٤) تَامَّةً
تَامَّةً» (٥).

قال الترمذي: حديث حسن.

(١) سورة الإنسان: 25.

(٢) سورة الكهف: 28.

(٣) [عليها. روي عن قال النبي صلى الله عليه وسلم] ساقط من (ه).

(٤) نهاية الورقة (53/و).

(٥) رواه الترمذي (481/2 رقم: 586) وقال: حسن غريب، والبعوي في شرح السنة

(221/3 رقم: 710).

وأخرج البيهقي وابن أبي الدنيا⁽¹⁾ والأضيهاني⁽²⁾ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، وَلَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»⁽³⁾.

والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة شهيرة.

(1) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، الإمام الحافظ المؤدب، صاحب التصانيف السائرة المفيدة في الزهد والرقائق، توفي رحمه الله سنة 281 هـ . 894 م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (89/10 - 91)، وتهذيب الكمال (72 / 16 - 78)، وسير أعلام النبلاء (397/13 - 404)، وفوات الوفيات (228/2).

(2) هو موفق الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي، التيمي ثم الطلحي الأضيهاني، الملقب بقوام السنة، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، مصنف الترغيب والترهيب، وكان من أئمة التفسير، والجرح والتعديل، ومن أئمة العربية، توفي رحمه الله سنة 535 هـ . 1141 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (81/20 - 88)، وتاريخ الإسلام (368/36 - 373)، والوافي بالوفيات (9/127)، .

(3) رواه الطيالسي (574/3 رقم: 2118)، وأبو يعلى (154/7 رقم: 4125)، والبيهقي (68/8 رقم: 15960)، وفي شعب الإيمان (409/1 رقم: 560)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (52/10 رقم: 3907)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (374/6): «مدار طرق حديث أنس هذا إما على مجهول، أو على يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف».

[ثمار حضرة الذكر]

ثم أمر بالدوام عليها والملازمة لها وذكر بعض خواصها فقال:

189 - لَا زِمُوهَا يَا إِخْوَانُ تَبَلَّغُوا بِهَا الرِّضْوَانُ

190 - تَمْنَحُكُمْ الْغُفْرَانُ تَقِيْكُمْ الْبَلَايَا

أي لا تتخلفوا عنها معرضين عن ذكر الله تعالى، فإن الإعراض عن ذكر الله تعالى يُفْضِي إلى سخطه، وخصوصا وقت تعاقب الملائكة فيكم، بل إن لازمتوها تبلغوا رضا الله تعالى، ومن رضي الله تعالى عنه⁽¹⁾ كان من الفائزين، فقلوه: (تَبَلَّغُوا) مجزوم في جواب الطلب على تقدير سقوط الفاء.

وأشار بقوله: (تَمْنَحُكُمْ الْغُفْرَانُ) إلى ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام قال: «إِنَّ لِلَّهِ عَمُودًا بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اهْتَزَّ ذَلِكَ الْعَمُودُ، فَيَقُولُ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اسْكُنْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا؟ فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَيَسْكُنُ»⁽²⁾.

(1) [ومن رضي الله تعالى عنه] ساقط من (ه).

(2) رواه البزار (361/14 رقم: 8065)، وأبو نعيم في الحلية (164/3)، والديلمي (188/1 رقم 706)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (ص: 7 رقم: 1)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (82/10): «فيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو، وهو ضعيف جدًا».

وروى الدَّيْلَمِيُّ بسند يُعْمَلُ به عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَرَقَتْ السَّمَاوَاتِ حَتَّى تَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ اسْكُنِي، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِي، فَيَقُولُ: مَا أَجْرِيكَ عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا وَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ»⁽¹⁾، اهـ، فإذا كان قائلها مرّة يحصل له ما ذُكِرَ فما بالك بالمُكثَرِ من ذكرها.

وقوله: (تَقِيكُمْ الْبَلَايَا)، أي يصرف الله تعالى عن الملازم لها المصائب ويحفظه ببركاتها منها، فَمَنْ أَتَاهَا صباحا حفظه الله تعالى في نهاره، وَمَنْ أَتَاهَا مساء حفظه ليلته⁽²⁾، لِمَا أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَذْفَعُ عَنْ قَائِلِهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَابًا مِنَ الْبَلَايَا، أَذْنَاهَا الْهَمُّ»⁽³⁾.

[ذَكَرَ اللَّهُ حَصْنٌ حَصِينٌ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ]

وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

(1) رواه الديلمي (1/285 رقم 1119)، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (2/290).

(2) نهاية الورقة (53/ظ).

(3) رواه الديلمي (5/8 رقم 7280)، وابن المقرئ في المعجم (ص: 152 رقم: 433)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (17/172)، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (1/429).

191 - هِيَ حِصْنَةُ الْحَصِينِ مَنْ دَخَلَهُ أَمِينٌ

192 - مِنْ عَذَابِهِ الْمُهِينِ فِي الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا

يشير به إلى ما رُوي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، مَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»⁽¹⁾.

قيل: ومعنى الدّخول هو التّحقّق بها، المُحَصِّلُ لاعتقاد أنّ الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له بالنسبة لعموم المؤمنين⁽²⁾، وإفراد الله تعالى بالقصد ومراقبة عظّمته والإعراض عمّا سواه بالنسبة لخواصهم⁽³⁾.

وقيل: هو الفناء عن المُمكناتِ في شهود الحقّ بالأسماء والصفات.

[كيفية حلقة الذكر]

ولمّا فرغ من الكلام على الحثّ عليها وذكر بعض ثمراتها، شرع في بيان كيفيّتها، فقال:

(1) رواه الشجري في الأمالي الخميسية (ص: 31 رقم: 91).

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (462/5) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(2) في (ج) المسلمين.

(3) نقل المُنَاوِي في فيض القدير (378/) عن الإمام الغزالي أنه قال: «فمن أراد دخول ذلك الحصن فليجمع آداب النطق بكلمة الشهادة بأن يجمع جميع حواسه إلى قلبه ويحضر في فؤاده كل جارحة فيه وينطق بلسانه عن جميع ذات وأحوال نفس وجوارح بدن حتى يأخذ كل عضو منه وكل جارحة منه قسطه منها فلم ينطق من لم يكن حاله ذلك فيها».

- 193 - تَسْتَدِيرُوا حَلَقَهُ تَذْكُرُوا مُتَّفِقَهُ
 194 - مِنْ ثَمَانٍ رُفْقَهُ وَالْأَقْلُ لَا شَيْئًا
 195 - إِلَى ثَلَاثِ عَشَرَ لَا كَرَاهَةَ تُخْتَضِرُ
 196 - فَهُوَ الْحَدُّ الْمُشْتَهَرُ إِلَى مَا لَا نِهَآيَا

[معنى الحلقة]

الحَلَقَةُ على وزن قَصَبَةٍ، وتُجمع قياساً على حَلَقٍ بحذف الهاء مثل قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ لغة في حَلَقَةٍ بالسَّكون، كَقَصَبَةٍ وَبَذَرَةٍ⁽¹⁾، ما استدار من حديد أو غيره كحلقة الباب ونحوه.

[استدارة الذاكرين كحلقة الخاتم]

وحلقة القوم الذين يجتمعون مستديرين⁽²⁾.

يعني أن من آداب الذكر جماعة استدارة الذاكرين بأن يتحلَّقوا كحلقة الخاتم، ولا يَدْعُونَ فرجة كما سيجيء، إلا إذا كان الأستاذ غائباً منتظر المجيء فإنَّهم يفرغون مكانه، حتَّى إذا جاء فيجلس مستقبل الجماعة ومستدير القبلة كالخطيب في خطبته.

وحكم نقيب الحضرة حكمه.

وأشار بقوله: (تَذْكُرُوا مُتَّفِقَةً) إلى ما ذكره الإمام ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح ولفظه: «وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في

(1) في (ج) و (هـ) برزة.

(2) انظر لسان العرب (58/10)، والمصباح المنير (146/1) مادة: حلق.

حقّهم رفع الصّوت بالذّكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة موزونة»، اهـ⁽¹⁾.

وفي التّحفة: «إذا أرادوا افتتاح الذّكر جلسوا متحلّقين بسكينة ووقار وخشوع، وذكروا بصوت متوسّط، وعليهم مراعاة الوقار في الصّوت علوا وخفضا، وتحسين قراءة الورد، لأنّ في ذلك تنشيطا ولذة للرّوح وراحة للسّرّ.

ولا يكثر أحدهم الالتفات، ولا يعبث بلحيته ولا بيده ولا بشيء من ثيابه، لأنّه مُجالس لله عزّ وجلّ⁽²⁾.

ولا ينظر بعضهم بعضا لأنّه مانع من الحضور بل يغمض عينيه كما يأتي إن شاء الله تعالى.

ويكون ذكرهم على وتيرة واحدة وطريقة مستقيمة، وليس لأحدهم أن يغيّر الطّريقة من حدّر إلى ترتيل أو عكسه حتّى يرسم الشّيخ أو المقدّم عليهم بذلك.

[أقل عدد الحضرة]

وقوله: (مِنْ ثَمَانٍ رُفْقَةً) لأنّه أقلّ جمع الكثرة غالبا، وأنّ الأقلّ من ذلك لا يعوّل عليه.

وقوله: (إِلَى ثَلَاثِ عَشْرٍ) غاية لأقلّ ما ينبغي أن يكون عليه الذّكر جماعة.

(1) نهاية الورقة (54/و).

(2) في (ع) تعالى.

والكراهة المذكورة عرفيّة لا غير، لأنّ ذلك هو المعهود عندهم والمعروف بينهم في أقلّ ما يكون عليه ذكر الله تعالى جماعة، وأمّا أكثر العدد الذي يكون عليه الذّكر⁽¹⁾ جماعة فلا حصر له في عدد معيّن كما أفاده كلامه رحمه الله تعالى، وكلّما زادت الجماعة زاد الثّواب.

قال ابن عطاء الله: «قال بعضهم: مثل ذكر الذّاكر وحده وذكر الجماعة كمثّل مؤذن واحد ومؤذنين، فكما أن أصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء⁽²⁾ أكثر ممّا يقطعه صوت واحد، كذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً وأشدّ قوّة في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده⁽³⁾، وأيضا يحصل لكلّ واحد ثواب ذكر نفسه وثواب سماع الذّكر من غيره»، اهـ.

تنبيه [في مشروعية الذكر الجماعي ورفع الصوت به].

قال في الجوهر الخاصّ: «هل ما اعتاده الصّوفية من حلق الذّكر والجهر به في المساجد وغيرها مستحبّ أو مكروه أو لا؟

الجواب: لا كراهة في شيء من ذلك، وقد وردت أحاديث كثيرة مصرّحة باستحباب الجهر بالذّكر⁽⁴⁾، ووردت أحاديث مصرّحة باجتماع الناس وتحلّقهم للذّكر في المسجد وغيره»، اهـ.

(1) [الذّكر] ساقط من (ع).

(2) في (هـ) و (ع) الهوى.

(3) [وحده] ساقط من (ع).

(4) نهاية الورقة (54/ظ).

فأما أحاديث الجهر به، فمنها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ⁽¹⁾ عن النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ⁽²⁾، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» ⁽³⁾، اهـ. والذكر في الملاء لا يكون إلا جهرا.

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «إِنَّ الْجَبَلَ يُنَادِي الْجَبَلَ بِاسْمِهِ يَا فَلَانُ هَلْ مَرَّ بِكَ الْيَوْمَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ، فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، اسْتَبْشَرَ» ⁽⁴⁾.

وعن أبي معبد ⁽⁵⁾ مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن ابن عباس أخبره «أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ⁽⁶⁾.

(1) [تعالى] ساقط من (ع).

(2) [بي] ساقط من (ج) و (ع).

(3) متفق عليه. رواه البخارى (451/3 رقم: 7405)، ومسلم (2061/4 رقم: 2675).

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان (73/2 رقم: 534)، والطبراني في الكبير (103/9 رقم: 8542)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (79/10): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

(5) في جميع النسخ أبو سعيد، والصواب أبو معبد، وهو نافذ مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، من ثقات التابعين، وكان من خيار موالي ابن عباس، ومن متقني أهل المدينة، توفي رحمه الله سنة 104هـ - 722م.

له ترجمة في: تهذيب الكمال (268/29، 271)، وتهذيب التهذيب (404/10).

(6) متفق عليه. رواه البخارى (451/1 رقم: 841)، ومسلم (410/1 رقم: 583).

وَرُوي «أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ تَنَادَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ: عَبْدُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُ مَاتَ، فَتَبْكِي عَلَيْهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ: مَا يُبْكِيكُمَا عَلَى عَبْدِي؟ فَيَقُولَانِ: يَا رَبَّنَا، لَمْ يَمْشِ فِي نَاحِيَةٍ مِنَّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُكَ»⁽¹⁾.
قال الجَلَالُ السُّيُوطِيُّ⁽²⁾: «إِنَّ سَمَاعَ الْجِبَلِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لِلذِّكْرِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ الْجَهْرِ بِهِ»⁽³⁾.

وأما أحاديث اجتماع النَّاسِ للذِّكْرِ، فمنها ما أخرجه البيهقي عن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»⁽⁴⁾.

(1) رواه ابن المبارك في الزهد (41/2) من قول أبي عبيد صاحب سليمان.
(2) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السُّيُوطِيُّ الْأَصْلُ الطولوني الشَّافِعِي، انصرف إلى الجمع والتأليف وهو صغير فبلغت عدة مؤلفاته نحو ستمائة، واشتهرت مؤلفاته في حياته في المشرق والمغرب، توفي رحمه الله سنة 911 هـ - 1505 م.

له ترجمة في: الضوء اللامع (4/65 - 70)، والبدر الطالع (1/328 - 335)، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (1/227 - 223).
(3) الحاوي للفتاوي (468/1).

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان (71/1 رقم: 530).
ورواه أحمد (3/142 رقم: 12474) وأخرجه أبو يعلى (7/165 رقم: 4139)، والضياء (7/239 رقم: 2683)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/472 رقم: 8946) عن أنس رضي الله عنه. وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/350)، وقال المنذرى في الترغيب والترهيب (2/260): «رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي»، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (377/6) من طريق أحمد وقال: «هذا إسناد رجاله ثقات».

ومنها ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في الزهد عن ثابت⁽¹⁾ قال «كَانَ سَلْمَانُ فِي عِصَابَةٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَكَفُّوا، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ عَلَيْكُمْ، وَأَخْبَيْتُ أَنْ أَشَارِكَكُمْ فِيهَا»⁽²⁾.

وأما أحاديث حلق الذكر فمنها ما أخرجه مسلم والترمذي وحسنه عن معاوية⁽³⁾: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنَحْمَدُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ⁽⁴⁾ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»⁽⁵⁾.

(1) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البصري، الإمام القدوة الثقة الثبت، لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكان من أئمة العلم والعمل، وكان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر، يبكي حتى تختلف أضلاعه، توفي رحمه الله سنة 127 هـ - 745 م.

له ترجمة في: حلية الأولياء (2/318 - 333)، وسير أعلام النبلاء (5/220 - 225)، والوافي بالوفيات (10/284) وتهذيب التهذيب (2/424).

(2) رواه الحاكم (1/210 رقم: 419) وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية (1/342).

(3) هو الصحابي الجليل أو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة، أسلم مع أبيه يوم الفتح، توفي رضي الله عنه بدمشق ودفن بها سنة 60 هـ - 680 م.

له ترجمة في الاستيعاب (3/1416 - 1422) وأسد الغابة (4/433 - 436)، وسير أعلام النبلاء (3/119 - 165).

(4) نهاية الورقة (55/و).

(5) رواه ابن أبي شيبه (6/59 رقم: 29469)، وأحمد (4/92 رقم: 16881)، ومسلم (4/2075 رقم: 2701)، والترمذي (5/460 رقم: 3379) وقال: حسن غريب، والنسائي (8/249 رقم: 5426)، وابن حبان (3/95 رقم: 813)، والطبراني (19/311 رقم: 701).

ومنها ما أخرجه البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه
 قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا:
 بَلَى (1) يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ» (2).

ومنها ما أخرجه البزار عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي
 ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطْلُبُونَ حِلَقَ الذِّكْرِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ
 حَفُّوا بِهِمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: غَشُّوهُمْ (3) بِرَحْمَتِي فَهُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى
 جَلِيسُهُمْ (4)» (5)، اهـ.

وقد عقد ابن عطاء الله في كتابه مفتاح الفلاح باب الجهر بالذكر.
 وألف الجلال السيوطي تأليفا سمّاه نتيجة الفكر في الجهر
 بالذكر (6).

-
- (1) [بلى] وردت (ج) و (ط) و(هـ) وهي غير واردة في كتب الحديث.
 (2) رواه أحمد (19/498 رقم: 12523)، والترمذي (5/532 رقم: 3510) وقال: حديث
 حسن، وأبو يعلى (6/155 رقم: 3432)، والبزار (13/119 رقم: 6500)، والبيهقي
 في شعب الإيمان (2/66 رقم: 526).
 (3) في (ج) و (ط) و(هـ) أغشوههم، والتصحيح من مسند البزار والحلية.
 (4) في البزار والحلية: [لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ].
 (5) رواه البزار (13/116 رقم: 6494)، وأبو نعيم في الحلية (6/268).
 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/77): «رواه البزار من طريق زائدة بن أبي
 الرقاد، عن زياد النميري، وكلاهما وثق على ضعفه، فعاد هذا إسناده حسن».
 (6) رسالة نَتِیْجَةُ الْفِكْرِ فِي الْجَهْرِ بِالذِّكْرِ للسيوطي مطبوعة ضمن كتابه الحاوي
 للفتاوي (1/466-472).

وقد ذكر المصنّف رحمه الله تعالى شيخنا الوالد قدّس الله سرّه
 في تأليفه المُسمّى غنية المريد في شرح⁽¹⁾ نظم مسائل كلمتي
 التّوحيد ما يشفي ويكفي فانظره.

ثمّ قال رحمه الله تعالى:

- 197 - زَوَّلُوا اغْوِجَاجَكُمْ وَسَدُّوا فُرَجَتَكُمْ
 198 - وَعَلِّقُوا بَابَكُمْ تَارِكِينَ لِلدُّنْيَا
 199 - وَادْخُلُوهَا فَقَرَا سَاكِنِينَ وَقَرَا
 200 - طَالِبِينَ الْخُضُورَا تَذْكُرُونَ ثَلَاثِمَايَا
 201 - فَالْأَوَّلُ مَـلْـدُهَا وَالثَّانِي وَسْطُهَا
 202 - وَالثَّلَاثُ قَضْرُهَا هَكَذَا مَزْوِيَا

يريد رحمه الله أنّ مراده بالحلقة المسمّاة في عرفنا بالحضرة أن
 تكون دائرة مستقيمة لا اعوجاج فيها، وذلك بأن يجلس الذّاكرون على
 شكل دائرة مستقيمة خالية من الاعوجاج، ويتحلّقون كحلقة الباب،
 ويزيلون ما عساه أن⁽²⁾ يكون في تحليقهم من الاعوجاج، ولا يتركون
 فرجة فيها إلا لانتظار الشّيخ أو النّقيب كما مرّ، فإنّ الشّيطان يتخلّل
 الفرج الواقعة في حلق الذكر أو صفوف الصّلاة.

(1) [في شرح] ساقط من (هـ).

(2) [أن] ساقط من (ج) و (هـ).

وأشار إلى الأدب الثالث من الآداب المذكورة في هذا البيت بقوله: (وَعَلِّقُوا بِأَبْكُمْ) أي باب المكان الذي يذكر فيه اسم الله تعالى جماعة، لأنّ عدم غلقه ربّما يكون مانعا من الحضور وجالبا للتشويش وموقعا في الرّياء، ومرادًا بها أيضا تفريغ القلب من ملاحظة متعلّقات الحياة الدّنيا⁽¹⁾، لأنّه لا يجتمع في قلب مراقبة الحقّ وملاحظة الخلق.

ومنها أنّ المريد إذا توجّه إلى الذكر جماعة يتجرّد من علمه وعمله وجاهه وكلّ متعلّقات الحياة الدّنيا، ويدخل الحلقة خاشعا خاضعا ساكنا مسكينا بوقار وتذلّل، لأنّه مُجَالِسُ الله عزّ وجلّ كما مرّ، وطالِبُ شهود تجلّيات أنوار الجمال، وتحقّق أنّ سيّره ليس إلا إلى الله وفي الله وبالله.

ومنها أن يكون أقلّ عدد يقتصر عليه الذّاكرون جماعة ثلاثمائة من الاسم الأوّل وهو لا إله إلاّ الله، يفتتحون الذكر بالمدّ الطّويل، ثمّ يذكرون بالمدّ المتوسّط، ثمّ يذكرون بالقصر، وهذه الكيفية مروية عن أهل الطّريق كما ذكره الشّيخ رحمه الله تعالى.

ويتحرّز في التّطويل والقصر من التّمطيط الكثير والعجلة الشّديدة لأنّهما يُخرِجانِ الذّكر عن حدّه، والميزان أن لا يخرجوه عن حدّه كما بيّنه المصنّف في غنية المريد.

(1) نهاية الورقة (55/ظ).

[كيفية الاهتزاز حالة الذكر]

ثم أشار إلى كيفية الاهتزاز حالة الذكر ليكون الذكر ذاكرة بلسانه وسائر جوارحه الظاهرة والباطنة، فقال:

203 - إِذَا كُنْتَ فِي الْأَوَّلِ حَرِّكَ رَأْسَكَ وَتَمَائِلِ

204 - كَأَنَّكَ تَخَالِلُ دَائِرَةَ قَلْبِيَا

205 - تَضَعْدُ بِهَا مِنْ يَمِينِ نَفْسِكَ ثُمَّ يَا مَسْكِينِ

206 - تَنْزِلُ بِهَا بِالْيَقِينِ فِي الْجَهَةِ الْيَسَارِيَا

207 - وَإِذَا كُنْتَ فِي الثَّانِي حَرِّكَ قَلْبَكَ غَيْرَانِي

208 - وَالْأَ رَأْسَكَ ضَرْبَانِي غُلُوبًا وَسُفْلِيَا

أراد بالأوّل كلمة الإخلاص، لأنّها هي التي يلقنها الشيخ للمريد أولاً، فإذا ذكرها المريد فليحرّك رأسه، أي يميله⁽¹⁾ إلى جهة سرّته، ويجرّ لا إلى أعلى الرأس، ثم يميل رأسه⁽²⁾ يمينا متخيلاً شكل دائرة مبدأها نقطة السّرة ومركزها القلب، صاعداً بإله في النّصف الأيمن من تلك الدّائرة، ثم ينزل بلفظة إلاّ الله في النّصف الأيسر من تلك الدّائرة القلبيّة إلى سرّة الأسرار، على ما ذكره شيخ مشايخنا سيّدي مصطفى البكريّ في ألفيته ولفظه:

(1) في (هـ) يمينه.

(2) [رأسه] ساقط من (هـ).

وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ تُذَكِّرُ بِالْقَلْبِ مَعَ الْإِخْلَاصِ
طَرِيقُهَا مِنْ سُورَةٍ يُجَرُّ لَا لِأَرْفَعِ الدِّمَاغِ وَالْقَضْدُ انْجَلَا
ثُمَّ بِلَفْظِهِ⁽¹⁾ إِلَهَ يَنْزِلُ عَنِ الْيَمِينِ لِلْعَطَا يَسْتَنْزِلُ
وَيَأْخُذُنْ إِلَّا إِلَى الْيَسَارِ وَاللَّهُ نَحْوُ سُورَةِ الْأَشْرَارِ

وقول المصنّف: (نَفْسِكَ) بالجرّ مضاف ليمين.

والمراد بالنّفس هنا الشخص، وتطلق على الرّوح، والفرق بينهما في الاستعمال التذكير والتأنيث، فإذا أردت الأوّل ذكّرت، وإذا أردت⁽²⁾ الثاني أنثت.

و (ثُمَّ) حرف عطف، عطفت جملة (تَنْزِلُ) على جملة (تَضَعْدُ)، وهي للترتيب الذّكري.

والضّمير في (بِهَا) صلة (تَنْزِلُ) و (تَضَعْدُ)، عائد على بعض كلمة الإخلاص، لأنّ الصّعود بأولها والنّزول بآخرها كما تقدّم.

ولهذه الكيفيّة أسرار ذكرها القوم، وعرفها من ذاقها.

وأما كيفية الاهتزاز عند ذكر الاسم الثّاني وهو الجلالة فإنّه بيّنها بقوله: (وَإِذَا كُنْتَ فِي الثَّانِي) إلخ، أي إذا ذكرت أيّها المريد الاسم الثّاني فلك في الاهتزاز وجهان:

(1) نهاية الورقة (56/و).

(2) [وإذا أردت] ساقط من (ج).

أحدهما: أن تضرب بصدرك على⁽¹⁾ محلّ قلبك الصنوبري⁽²⁾
باسم الجلالة على سرّتك.

وثانيهما: أن ترفع بالهمزة من اسم الجلالة من السّرة إلى الدّماغ،
وتضرب ببقية الكلمة العظيمة على سرّة الأسرار.

واقصر سيّدي مصطفى البكريّ في ألفيته على الوجه الثاني،
حيث قال في كيفية الذكر باسم الذات:

وَأَنَّ مِنْ سُرَّتِهِ يَزْتَفِعُ إِلَى الدِّمَاغِ وَإِلَيْهَا يَزْجِعُ

وقوله: (غَيْرَإِنِّي) كلمة عامية من التّغيز عندهم وهو الدّق.

[ثمرة الذكر اللساني]

ثمّ قال رحمه الله تعالى:

209 - وَاعْلَمْ يَا أَخِي الْمَطْلُوبَ وَضَعِ الْاسْمَ فِي الْقُلُوبِ

210 - يَخْضُلُ بِهِ الْمَرْغُوبَ نُورُهُ وَالنَّارِيَا

211 - فَنَارُهُ تَخْلِيَا مِنْ رِذَائِلِ كَلِّيَا

212 - وَنُورُهُ تَخْلِيَا بِالْفَضَائِلِ مَرْوِيَا⁽³⁾

(1) [على] ساقط من (ه).

(2) وصف القلب بالصنوبري، لأنّه يشبه في شكله ثمرة الصنوبر.

(3) في (ه) محويا.

أراد رحمه الله تعالى⁽¹⁾ التَّنبِيه على أن ثمرة الذِّكْر اللساني هي التَّرقِي إلى الذِّكْر القلبي، لأنَّه هو المطلوب من الذِّكْر اللساني، الذي يحصل به مقصود الذَّاكِر، وهو تَحَقُّقُ نَارِهِ ونُورِهِ.

قال الإمام ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح: «الذِّكْر نار لا تُبْقِي ولا تَذَر، فإذا دخل بيتا يقول أنا لا غير، فإن وجد فيه حطبا أحرقه، وإن وجد ظلمة صَيَّرَهَا نورا، وإن وجد نورا صار⁽²⁾ نورا على نور، فالذِّكْر يذيب من الجسد الأجزاء الزائدة⁽³⁾ الحاصلة من الإسراف في الأكل وتناول الحرام، وأمَّا الحاصلة من الحلال فلا يد له عليها، فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطَّيِّبة سمعت من كلِّ جزء منك ذكرا»، اهـ كلامه.

وإليه أشار الشَّيْخ رحمه الله تعالى⁽⁴⁾ بقوله: (فَنَارُهُ) إلخ، يعني أن نار الذِّكْر تحرق جميع الأخلاق الذِّمِّية، ونوره يثمر الأخلاق الحميدة وينبت في القلب كما ينبت الماء العشب.

وقال الغزالي: «الذِّكْر حقيقته استيلاء المذكور على القلب وانمحاء الذِّكْر وإخفاؤه، لكن له ثلاثة قشور بعضها أقرب إلى اللَّب من البعض، واللَّب وراء القشور الثلاثة، وإنَّما فضل القشر لكونه طريقا إليه»، اهـ.

(1) [تعالى] ساقط من (ط).

(2) في (ج) زاد.

(3) نهاية الورقة (56/ظ).

(4) [تعالى] ساقط من (ه).

قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى⁽¹⁾: «فالقشر الأعلى ذكر اللسان فقط بغير حضور⁽²⁾، ولا يزال الذّاكر يوالي الذّكر بلسانه ويتكلّف إحضار القلب معه وهذا هو القشر الثّاني، والقشر الثّالث الذّكر مع الحضور دائماً بلا تكلّف إلى أن يشارك القلب اللّسان، وتحرق نار الذّكر الشّهوات والشّيطان، فيضعف ذكر اللّسان عند ذلك وتمتلىّ الجوارح والجوانح بالأنوار ويتطهّر القلب من الأغيار».

قال الغزاليّ: «وإذا سرى الذّكر إلى القلب وانتشر في الجوارح، ذكّر الله كلّ عضو بحسب حاله»، اهـ.

ولذلك نُدب الاهتزاز حالة الذّكر ليتحقّق حصول الذّكر بكلّ عضو، بل بكلّ جزء من أجزاء الذّاكر، شعره وعظمه ولحمه ودمه وعوالمه وعناصره كلّها⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾ الآية⁽⁴⁾.

(1) [تعالى] ساقط من (هـ).

(2) المقصود بالحضور حضور القلب مع الله تعالى، والناس متفاوتون في ذلك، ولا ينبغي للعبد أن يترك الذّكر ولو لم يكن له حضور، فلعل الله تعالى يجعل له نورا يحيي به قلبه ويملؤه إيمانا وهداية وإشراقا، وفي هذا المعنى قال ابن عطاء الله في حكمه (ص: 114): «لَا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضُورِكَ مَعَ اللَّهِ فِيهِ، لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجُودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلَتِكَ فِي وُجُودِ ذِكْرِهِ، فَعَسَى أَنْ يَزْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ غَفْلَةٍ إِلَى ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ يَقْظَةٍ، وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ يَقْظَةٍ إِلَى ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ، وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ إِلَى ذِكْرٍ مَعَ غَيْبَةٍ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 20].

(3) قال المُنَاوِيّ في فيض القدير (61/2): «سئل جدي شيخ الإسلام يحيى المُنَاوِيّ رحمه الله: هل الاهتزاز في القرآن مكروه أو خلاف الأولى؟ فأجاب بأنه في غير الصلاة غير مكروه ولكن خلاف الأولى، ومحلّه إذا لم يغلب الحال واحتاج إلى نحو النفي في الذّكر إلى جهة اليمين والإثبات إلى جهة القلب، وأما في الصلاة فمكروه إذا قل من غير حاجة، ويُنْهَى إذا كَثُرَ».

(4) سورة الإسراء: 44.

من لم يذق العسل لا يمكن تصوير حقيقة لذّته له بالعبارة، ولو بالتأنق والتكلف وضروب أنواع الإشارة، ولذلك يشير سيدي محمد السنوسي⁽¹⁾ رحمه الله تعالى بقوله: «فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لمعناها حتّى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنّه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر».

وفي القصد المجرد لابن عطاء الله: «الذكر باللسان والقلب غافل هو ذكر العادة العاري عن الزيادة، والذكر باللسان والقلب حاضر هو ذكر العبادة»⁽²⁾ المخصوص بالإفادة، والذكر بكلا اللسان والقلب هو سبيل الكشف والمشاهدة والشهادة».

وقال الشّطيبي: «من ذكر بظاهره فقط أتعب الحواس، ومن ذكر بباطنه وظاهره أتعبه الأمانى، ومن ذكر بالله أعانه الله على كلّ شيء، ومكّنه من كلّ شيء، وبلغه الله إلى كلّ شيء».

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني التلمساني، الإمام الصالح الزاهد العابد، والعلامة المتفنن المحقق، الفقيه المقرئ، والمفسر المحدث، كبير علماء تلمسان وزهادها، من مؤلفاته العقيدة الكبرى وشرحها، والعقيدة الصغرى وشرحها، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح كبير على المنظومة الجزائرية سماه المنهج السديد في شرح كفاية المريد، وغير ذلك، توفي رحمه الله بتلمسان سنة 895هـ - 1490م.

له ترجمة في: البستان (ص: 237 - 248)، ونيل الابتهاج (ص: 563 - 572)، ودرة الحجال (ص: 204)، وشجرة النور (1/266)، وتعريف الخلف (1/179 - 189).

(2) نهاية الورقة (57/و).

ثم قال: «ولتعلم أنّ ذكر الله تعالى هو المعلم الأكبر، وهو شيخ الشيوخ، والوسيلة العظمى والعروة الوثقى التي مَنْ تمسك بها لا انفصام لها، وهو سرّ الله في خلقه، وهو يُعلّم الجنّ والإنس والمَلَك، ويفعل في حركات الفُلك، وبه بعث الله الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وبه ألهم الله الأولياء، وبه يعلم وبه يفعل وبه يحكم، ومادّة موضوع الكتاب والسّنة راجعة إلى معنى الذّكر، وإليه يستند العقل والتّقل، ولا يمكن تركه لا في سلوك ولا في وصول لأنّه قوت الأرواح، ولم يكن ﷺ يحضّ على شيء أكثر من ذكر الله تعالى».

تتمة [في دليل الاهتزاز].

سند الاهتزاز حالة الذّكر ما روي عن جعفر بن أبي طالب⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه، أنّه لمّا قال له النبي ﷺ: «أشبهت خلقي وخلقي»⁽²⁾.

(1) هو الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ابن عم النبي ﷺ وأخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان أسن منه بعشر سنين، يقال له: جعفر الطيار، من السابقين إلى الاسلام، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، استشهد رضي الله عنه في وقعة مؤتة سنة 8هـ - 629م. له ترجمة في: الاستيعاب (1/242 - 245)، وأسد الغابة (1/341 - 344)، والإصابة (1/485 - 487).

(2) رواه البخاري (1/598 رقم: 2699)، والترمذي (5/654 رقم: 3765)، والنسائي في الكبرى (7/483 رقم: 8525)، وابن حبان (11/229 رقم: 4873)، كلهم عن البراء ابن عازب رضي الله عنه.

وفي لفظ: «جَعَفَرُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقًا وَخُلُقًا، حَجَلٌ»⁽¹⁾،⁽²⁾.

وفي رواية: «رَقَصَ»، من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه عليه السلام رقصه.

وحديث كعب بن زهير⁽³⁾ رضي الله تعالى عنه وقصيدته المشهورة وتمائله عليه السلام عند إنشاد بعض أبياتها، فجعل الصوفية ذلك أصلاً لجواز الاهتزاز عند ما يجدونه من لذة المواجه في مجالس الذكر، ومن لم يحصل له الوجد يتواجد لما روي عنه عليه السلام: «إِنْ لَمْ تَبْكُوا فَبَاكُوا»⁽⁴⁾.

(1) في (ج) و (ط) [حجل]، والصحيح ما أثبتناه.

(2) هذا اللفظ من حديث علي رضي الله عنه، رواه أحمد (213/2 رقم: 857)، والبخاري (316/2 رقم: 744)، والبيهقي في السنن (9/8 رقم: 15770)، والضياء في المختارة (392/2 رقم: 778)، وإسناده حسن.

قال البيهقي في شعب الإيمان (122/7): «وأما الرقص فإن لم يكن فيه تكسر وتخنث فلا بأس، فإنه روي أن رسول الله عليه السلام قال لزيد: «أَنْتَ مَوْلَانَا، فَحَجَلٌ، وَهُوَ أَنْ يَزْفَعَ رَجُلًا وَيَقْفَزَ إِلَى الْأُخْرَى مِنَ الْفَرْحِ، وَقَالَ لَجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي، فَحَجَلٌ، قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ لِي: أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ فَحَجَلْتُ».

(3) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المُرْزِي الشاعر المشهور، قدم المدينة بعد الطائف فأسلم وأنشد النبي عليه السلام قصيدته المشهورة، فأعطاه النبي عليه السلام بردته، توفي رضي الله عنه 26 هـ - 645 م.

له ترجمة في: الاستيعاب (3/1313 - 1317)، وأسد الغابة (4/175 - 177)، وتاريخ الإسلام (2/615 - 621)، والبداية والنهاية (4/423 - 431).

(4) رواه ابن ماجه (1/424 رقم: 1337)، والبخاري (4/69 رقم: 1235)، وأبو يعلى (2/49 رقم: 689)، وأبو عوانة (2/473 رقم: 3881)، والبيهقي في الشعب (3/410 رقم: 1891) كلهم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (1/157): «هذا إسناد فيه أبو رافع، واسمه إسماعيل بن رافع، ضعيف متروك».

وصح من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رواه ابن المبارك في الزهد (1/356 رقم: 1007)، وأبو داود في الزهد (ص: 256 رقم: 287)، والحاكم (4/622 رقم: 8723) وصححه ووافقه الذهبي.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ كَانَ مِنْهُمْ»⁽¹⁾.

وفي شرح الجامع الصغير للمُنَاوِي في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَسَرَهُ اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِمْ»⁽²⁾، قال: «مَنْ أَحَبَّ أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ فَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَمَنْ أَحَبَّ حَزْبَ الشَّيْطَانِ فَهُوَ مَعَهُمْ فِي النَّيْرَانِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ أَحَبَّ الصَّوْفِيَّةَ أَوْ تَشَبَّهَ بِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَ تَفْرِيطِهِ بِالْقِيَامِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ»⁽³⁾ لِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَحَبَّتُهُ لَهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا لَتَبَّهَ رُوحَهُ لَمَّا تَنَبَّهَتْ لَهُ أَرْوَاحُهُمْ، لَكِنَّ الْمَتَشَبِّهَ تَعَوَّقَ بِظُلْمَةِ النَّفْسِ وَرِعُونَاتِهَا»⁽⁴⁾.

ثُمَّ قَالَ:

213 - خُذُوا مِنِّي ذَا التَّفْصِيلِ يَا مُرِيدِينَ التَّخْصِيلِ

214 - إِذَا رُمْتُمْ التَّطْوِيلِ زِيدُوا عَلَى الثَّلَاثِمِ

215 - إِنْ لَمْ تَبْلُغُوا الْمُرَادَ فِي الْأَوَّلِ يَا زُهَّادَ

216 - وَأَرَدْتُمْ الْإِمْدَادَ طَوَّلُوا فِي الثَّانِيَا

(1) رواه أحمد (126/9 رقم: 5115)، أبو داود (44/4 رقم: 4031)، عن ابن عمر رضي

الله عنه، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (318/1): «بسند صحيح»،

وقال ابن حجر في فتح الباري (271/10): «بسند حسن».

(2) رواه الطبراني في الكبير (19/3 رقم: 2519) من حديث أبي قُرْصَافَةَ رضي الله عنه،

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (281/10): «وفيه من لم أعرفه».

(3) نهاية الورقة (57/ظ).

(4) التيسير بشرح الجامع الصغير (388/2).

يعني أن الاختصار على ذكر الثلاثمائة هو أقل ما يكون عليه ذكر الجماعة، ومن أراد الزيادة على ذلك فليعمل، فإن الإكثار من ذكر الله تعالى هو المطلوب، قال تعالى ﴿وَالذِّكْرَ يَكْرِتُ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَ يَكْرِتُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) ﴿١﴾.

وقال ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ» (٢).

وعنه ﷺ: «لَذِكْرُ اللَّهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ خَيْرٌ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

(١) سورة الأحزاب: 35.

(٢) الحديث مروى عن عائشة رضي الله عنها، رواه بهذا اللفظ ابن شاهين في الترغيب (ص: 57 رقم: 159)، ورواه الطبراني في الأوسط (5/139 رقم: 4894) بلفظ: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ أَحَبَّهُ اللَّهُ»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/325): «وفيه نعيم بن مورع العنبري، وقد وثقه ابن حبان، وضعفه غير واحد، وبقية رجاله ثقات».

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (1/394 رقم: 1116) عن بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً، ورواه ابن أبي شيبة موقوفاً عنه (6/58 رقم: 29456)، والخطيب في في المتفق والمفترق (1/514 رقم: 270)، ورجاله ثقات إلا أن سنده منقطع، بشر بن عاصم من أتباع التابعين لم يدرك عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. ورواه الديلمي (3/454 رقم: 5402)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (3/534)، عن أنس رضي الله عنه، وقال عنه ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (4/1935): «رواه الحسن بن علي العدوي، عن خراش، عن أنس، وخراش مجهول، والعدوي كذاب».

وأحسن منه ما رواه مالك (ص: 132 رقم: 493)، وأحمد (36/33 رقم: 21702)، والترمذي (5/459 رقم: 3377)، وابن ماجه (2/1245 رقم: 3790) بسند صحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْكَأَهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْفَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى».

وقال ﷺ: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ»⁽¹⁾.

وقوله: (إِنْ لَمْ تَبْلُغُوا الْمُرَادَ) إلخ، المراد هو المقصود، يعني إن لم يحصل المقصود من الذكر وهو كمال الحضور وغيبة الذّاكر عن الذّكر واستغراق الفكر في المذكور في ذكر كرم الاسم الأوّل وهو كلمة الإخلاص كما مرّ، وطلبتم الإمداد بتجلّي الأنوار والتّطهّر من دنس الأغيار، فعليكم بالتّطويل أي الإكثار من ذكر الاسم الثّاني وهو الجلالة كي يحصل ما ذكّر، لأنّ الذّكر جماعة إن كان خاليا من الحضور والوجد والغيبة في المذكور لا يُعوّل عليه.

قال الشّيخ الأكبر محيي الدّين بن العربي في كتاب ما يُعوّل عليه وما لا يُعوّل عليه: «كلّ ذكر لم يشهدك المذكور فلا يُعوّل عليه»، اهـ.

يعني أن الذّكر المنتجة قضيته المرافق للروح بكامل الاستحضار والاستعداد، هو الذي ينتقل به الذّاكر من ملاحظة الذّكر ومعانيه إلى ملاحظة المذكور وتجلّيه، وهذا الذّكر يفيد علما غيبيا لم يكن عند الذّاكر قبله.

(1) رواه أحمد (195/18 رقم 11653)، وعبد بن حميد (ص 289 رقم 925)، وأبو يعلى (521/2 رقم 1376)، وابن شاهين في التّرجيب (399/2)، وابن حبان (99/3 رقم 817)، والحاكم (677/1 رقم 1839) والبيهقي في شعب الإيمان (397/1 رقم 526)، والديلمي (72/1 رقم 212) كلهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (75/10): «فيه دراج، وقد ضعفه جماعة، وضعفه غير واحد».

وقال أيضا: «الذكر إذا لم يرفع الحجاب فليس بذكر ولا يعول عليه».

وقال أيضا: «الذكر منك إذا لم ينتج لك سماع الذكر من الحق إياك فلا يعول عليه».

وهذا السماع يختص بسماع الأرواح الصافية السالمة من شوائب الأكدار، ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه⁽¹⁾: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَأِهِ»⁽²⁾، ولذلك قال شيخ مشايخنا سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه⁽³⁾:

وإن يكن للذكر يتدیه لا یختمن حتی یغیب فیہ

واعلم، أنه متى حصل للذاكر غيبة شهودية توجب حضوره في سره لدى الحضرات العندية، ولم ينتج علما في باطنه ولا ظهر له أثر في لوح قلبه فلا يعول على تلك الغيبة بوجه من الوجوه، بل ربما كانت من وساوس النفس والشيطان كما يعرفها من ذاق حلاوة

(1) نهاية الورقة (58/و).

(2) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (3/451 رقم: 7405)، ومسلم (4/2061 رقم: 2675) ونصه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». واللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد في المسند (16/178 رقم: 10253).

(3) [رضي الله عنه] ساقط من (ج) و (ه).

العرفان، ثم إنَّ كلَّ غيبة أو خشوع أو وَجْدٍ ونحوها كانوا باستجلاب أو بعمل فلا يلتفت إليها ولا يعوّل عليها، وهذا يدخل على كثير من الذاكرين ولا يميّزونه من غيره، فقد يكون شبكة من الشبكات الشيطانية، يصطاد بها قلوب عبيد الحضرة الإلهية.

ثم قال رحمه الله تعالى:

217 - إِنْ وَفَيْتُمْ فَاسْكُنُوا كَطُيُورٍ حَضَنُوا

218 - وَازْجُوا مَا تُلْقُونَا وَإِرَادًا مِنْ مَوْلَايَا

219 - حَضُوا عَنْهَا يَا إِخْوَانُ هِيَ رَوْضَةُ الْجَنَانِ

220 - خُصُوصًا فِي ذَا الزَّمَانِ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَهْوِيَا

سيجيء أن من آداب الذكر اللازمة بعد الفراغ منه السكون.

وقوله: (كَطُيُورٍ حَضَنُوا) أي بيضهم، وهو من باب قَتَلَ، ومصدره حَضَنًا وحَضَانًا بالكسر، ضَمُّهُمْ بيضهم تحت أجنحتهم، فالحمامة حَاضِنٌ لَأَنَّهُ وصف مختص كحائِضٍ، وحُكي حَاضِنَةٌ على الأصل⁽¹⁾.

وتشبيهه الساكن بما ذكر مبالغة في الحث على السكون.

وقوله: (وَازْجُوا مَا تُلْقُونَا) أي ترقّبوا وارد الذكر، والجملة حال من فاعل (اسْكُنُوا).

و (الْحَضُّ) طلب الفعل والحث عليه.

(1) انظر لسان العرب (122/13)، والمصباح المنير (140/1) مادة: حضن.

وأشار بقوله: (هِيَ رَوْضَةُ الْجَنَانِ) إلى قوله ﷺ: «إِذَا مَرَزْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذِّكْرِ»، أخرجه الترمذي⁽¹⁾.

و (خُصُوصًا) مصدر منصوب بفعله المقدر، أي عليكم بملازمة حلق الذكر ولا سيما في زماننا الذي كثر شره وقلّ خيره وانتشرت فيه أنواع (الْأَهْوِيَةِ)، وهو في كلام المصنّف بإبدال الهاء ياء للقافية، جمع هَوَى بالقصر، وفعله من باب تَعَبَ، وهو ميل النَّفْس وانحرافها نحو الشَّيْء المذموم⁽²⁾، قال تعالى⁽³⁾: ﴿رَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾⁽⁴⁾، وأشار به إلى حديث «يَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي الْقَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»⁽⁵⁾، وهذا الحديث من أعلام النبوة لما تحقّقناه من وُجْدَانِنَا، نسأله تعالى⁽⁶⁾ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة.

(1) رواه أحمد (498/19 رقم: 12523)، والترمذي (532/5 رقم: 3510) وقال: حسن غريب، وأبو يعلى (155/6 رقم: 3432)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/398 رقم: 29)، والطبراني في الدعاء (1/528 رقم: 1890)، وأبو نعيم في الحلية (6/268).

(2) انظر المصباح المنير (2/643) مادة: هوى.

(3) نهاية الورقة (58/ظ).

(4) سورة الفرقان: 43.

(5) رواه الترمذي (4/526 رقم: 2260) وقال: غريب، وابن عدي في الكامل (5/55 ترجمة 1229)، وابن بطة في الإبانة (1/196 رقم: 31)، ونصه عندهم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ».

(6) في (ط) نسأل الله تعالى.

[آداب الذكر]

ولمّا فرغ من الكلام على كيفة الذكر جماعة، شرع في بيان آدابه معبّراً عنها بالشروط فقال:

221 - شُرُوطُهَا يَا مِسْكِينُ عَدُّهَا قَالُوا عِشْرِينَ

222 - أَذَبَاتُ الذَّاكِرِينَ نَصَّ عَنْهَا الصُّوفِيَا

يعني أنّ آداب الذكر مطلقاً عشرون أدباً تقريباً، لأنّ بعضهم أوصلها إلى ألف أدب، ولمّا كانت ترجع إلى هذه العشرين وتندرج فيها اقتصروا عليها، لسهولة ضبطها وعدم انتشارها، فيجب على كلّ مريد حفظها والعمل بها، لأنّها أجزاء كماله، لا يكمل إلّا بها عند رجاله، ولا يحصل الفتح بإهمالها، لأنّ كلّ عبادة خلت من الأدب فهي قليلة الجدوى.

وأجمعوا على أنّ العبد يصل بالعبادة إلى حصول الثواب، ولا يصل إلى حضرة ربّه بعبادته إلّا إذا صحبتها الآداب.

ومن المعلوم أنّ مقصود القوم القرب من حضرة الله الخاصة، قالوا في الحديث القدسي، أعني قوله تعالى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»⁽¹⁾، يعني ذكرني على وجه الأدب والحضور.

(1) رواه ابن أبي شيبة (108/1 رقم: 1224)، وأحمد في الزهد (ص: 59 رقم: 354)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/171 رقم: 670)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (6/52 رقم: 2362)، وأبو نعيم في الحلية (6/42) جميعهم عن كعب الأحبار قال: «قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ رَبِّ، أَقْرَبُ أَنْتَ فَأَنَاجِيكَ، أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ؟ قَالَ: يَا مُوسَى، أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنَّا نَكُونُ مِنَ الْحَالِ عَلَى حَالٍ نُعْظِمُكَ أَوْ نُجَلِّكَ أَنْ نَذْكُرَكَ عَلَيْهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْجَنَابَةُ وَالْغَائِطُ، قَالَ: يَا مُوسَى اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ».

والمراد بالمجالسة انكشاف الحجب للعبد بملاحظة أنّ الحق تعالى يراه ويطلع عليه، فمتى كان العبد على هذا الشهود فهو جليس الله تعالى وفي حضرته، فإذا غاب عن ذلك الشهود خرج من حضرة الله تعالى.

قال في التحفة: «وليس المراد بحضرته تعالى مكان مخصوص في السماوات أو في الأرض، لأنّه تعالى لا يحويه مكان، تعالى عن ذلك علوا كبيرا»، اهـ.

فالضمير في قوله: (شُرُوطُهَا) عائد على الحضرة من قوله: (إِيَّاكَ تَزَكَّ الْحَضْرَةُ).

[أقسام آداب الذكر]

ثمّ قسّم الآداب إلى ثلاثة أقسام فقال:

- | | | |
|-------|--------------------------------|--------------------------------|
| 223 - | خَمْسٌ قَالُوا قَبْلَهَا | اِثْنِي عَشَرَ مَعَهَا |
| 224 - | ثَلَاثَةٌ بَعْدَهَا | هَكَذَا قَدْ رُويَا |
| 225 - | أُولَاهَا تَوْبَةٌ | ثَانِيهَا طَهَارَةٌ |
| 226 - | ثَالِثُهَا سَكُوتٌ | تَجَعُّلُ ذِكْرِكَ قَلْبِيَا |
| 227 - | رَابِعُهَا الِاسْتِمْدَادُ | بِهِمَّةٍ شَيْخِكَ يَا مُرَادُ |
| 228 - | خَامِسُ ذَلِكَ الِاسْتِمْدَادُ | تَرَاهُ مِنْ نَبِيٍّ |
| 229 - | قَالُوا هَذَا قَبْلَهَا | |

يعني أنّ خمسة من العشرين أدب واجبة⁽¹⁾ لازمة قبل الشروع في الذكر على كلّ ذاك، واثنى عشر منها واجبة لازمة في أثناء الذكر وفي حالته، وثلاثة منها عند الفراغ منه، تظهر ثمرتها للذاكرين، وتشرق أنوارها على قلوب العارفين.

[الأدب الواجبة قبل الشروع في الذكر]

ثمّ أشار إلى الخمسة التي قبل الشروع في الذكر بقوله: (أَوَّلُهَا تَوْبَةٌ) إلى قوله: (قَالُوا هَذَا قَبْلُهَا).

يعني أنّ أوّل الآداب التي قبل الشروع في الذكر التوبة والإنابة من كلّ الذنوب والآثام، خافيتها وظاهرها على حسبها كما هو معلوم عند أربابها.

والثاني: الغسل إن كان الشارع في الذكر عليه جنابة أو نجاسة، أو الوضوء أو التيمّم، والمقصود الطّهارة الكاملة ظاهراً وباطناً، والطّهارة الظّاهرة معلومة، والباطنة هي خروجه عن الصفات الذميمة والتحلّي بالأوصاف الكريمة قولاً وفعلاً وعملاً.

والثالث: الصّمت، وهو السّكوت عن غير ألفاظ الذكر بالقلب، بمعنى أنّه لا يخالطه بكلام أجنبيّ عنه، ويتوقّى ذلك ما أمكنه، إلّا إذا دعت الضّرورة إليه، وكان لا مندوحة له عنه بدونه، ولا بدّ أن يكون السّكوت مقارناً للسّكون ليحصل له الصّدق والخشية في الذكر، لأنّ

(1) نهاية الورقة (59/و).

الحركة والاضطراب تؤذن بعدم السكينة والوقار والاحتشام، والحركة والالتفات لا تناسب أن تحصل في مجلس كبير مخلوق فما بالك بحضرة الله عز وجل عند ذكره؛ ولما في ذلك من زيادة الحضور وملاحظة المذكور، واستدامة مراقبة القلب لما ينطبع فيه من التفحات الإلهية.

وأشار بقوله: (تَجْعَلُ ذِكْرَكَ قَلْبِيَا) إلى أنه في حال سكونه وسكوته يشغل قلبه بالله بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى له خاطر، ثم يتبع اللسان القلب.

والرابع: أن يطلب المريد المدد من شيخه بقلبه، بأن يُشَخِّصَهُ أمامه كما مرّ، ليكون رفيقه في السير، فإذا استمدّ من شيخه جاءه المدد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾⁽¹⁾.

والخامس: أن يرى استمداده من شيخه هو حقيقة استمداده من النبي ﷺ، لأنّه الواسطة بينه وبينه.

قال سيدي عبد السلام بن⁽²⁾ مشيش⁽³⁾: «ولا شيء إلا وهو به منوط».

(1) سورة الأنفال: 72.

(2) نهاية الورقة (59/ظ).

(3) هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر منصور بن علي الإدريسي الحسني، شيخ أبي الحسن علي المعروف بالشاذلي، توفي رحمة الله شهيدا بجبل العلم من جبال غمارة سنة 622هـ. 1225م.
له ترجمة في: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (2/263)، والأعلام (9/4).

فكل شيء من الكون منوط بإمداده، ولهذا قيل له عليه الصلاة والسلام: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك، فهو عليه السلام نكتة الموجودات، وأصل المكوّنات، ومن مدده إمدادها ومن وجوده إيجادها.

[الآداب الواجبة حالة الذكر]

ثم قال:

- 229 - وَمَا يُثَلَّى مَعَهَا
230 - جُلُوسُكَ أَوَّلُهَا فِي طَاهِرٍ نَقِيًّا
231 - ثَانِي تَضَعُ رَا حَتَيْنِكَ يَا أَخِي فِي رُكْبَتَيْنِكَ
232 - ثَالِثٌ مَحَلُّ ذِكْرِكَ بِخَزْزُهُ بِالْجَاوِيَا
233 - رَابِعٌ لَا تَلْبَسُ حَرَامَ خَامِسٌ مَكَانُ الظَّلَامِ
234 - غَمِضُ عَيْنَيْكَ يَا غُلَامَ خَيْلِ صُورَةَ شَيْخِيَا

يقول: يتعيّن على الذّاكر اثنا عشر أدبا في حالة الذكر، تنكشف نتيجتها لكلّ مَنْ عمل بها.

الأوّل منها: الجلوس على مكان طاهر كالجلوس حالة الصلاة، أي على ركبتيه، أو متربعا، نافيا لكلّ خاطر يرد عليه، مستحضرا وعالما معنى ما يتلوه، مستقبل القبلة إن كان وحده وإن كانوا جماعة تحلقوا كحلقة الخاتم كما مرّ.

وفرق بعضهم بين المبتدئ والمنتهي فقال: «إنّ المبتدئ يكون جلوسه كجلوسه في الصلاة، والمنتهي متربعا».

الثاني: أن يضع يديه على فخذه باسطة أكفهما، ولا يضم أصابعه ولا يضعهما في حجره، لأنّ تلك الهيئة هيئة المتواضع المنيب، لما فيها من استجماع القوى.

الثالث: تطيب مجالس الذكر بالرائحة الطيبة، لأنّه أحيى للأرواح وأبعث لحضور الملائكة، لأنّ مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمني الجنّ، ولذلك استُحبّ تطيب مجالس⁽¹⁾ الذكر بالروائح العطرة والبخور بحسب الإمكان.

الرابع: لبس اللباس الطيب حلاً ورائحة ولو شراميط الكتان.

الخامس: اختيار المكان المظلم إن أمكن، لأجل سرّ باهر وهو أنّ الظلمة محلّ هدوء الحركات⁽²⁾ واستجماع القوى النفسية، وطروق الوارد فيه أكثر من أن لو كان المجلس مُنوّراً، وربّما حضر أجسام هائلة تُسمع حركاتها، أو حضر أناس من الجنّ على صور مختلفة، ففي الظلمة لا ترى ولو فتح الذاكر أجفانه.

وقال أبو الفتوح كمال الدّين بن سيّدي مصطفى البكريّ: «ولطالما⁽³⁾ سمعت وقع نعال بعضهم ورأيت خيالات أشباحهم».

(1) في (هـ) التطيب لمجالس.

(2) في (هـ) محلّ هو والحركات.

(3) نهاية الورقة (60/و).

هذا وإن كان الذكر ليلاً فيإزالة⁽¹⁾ السراج عند أمن الفتنة، وإلا فلا ينبغي إطفاء الضوء حالئذ.

وكذلك يطلب أن يكون المكان خالياً من الهرج وسماع غير الذكر، لئلا يشتغل الذاكر بذلك.

السادس: تغميض العينين، لئلا يتفرق النظر إلى المرئيات، لأنّ النظر إلى شيء ما يوجب تعلّق الفكر به، ولأنّه إذا تعطلت آلة البصر انتقلت قواها إلى غيرها وهي البصيرة، وبسبب الحواس الظاهرة تنفتح حواس القلب.

السابع: أن يُخيّل صورة شيخه نصب عينيه ولا يغفل عنه ما دام ذاكراً، وهو من أكد الآداب عندهم، وقد تقدّم في أركان الطريق الثمانية ربط قلب المريد بقلب شيخه، ومعناه هنا تصوير مثال شيخه، وما دام المريد متصوّراً شيخه أمامه فإنّه في حرز حصين من موانع لا تُخصّص.

[الصدق حال الذكر]

ثم قال رحمه الله تعالى⁽²⁾:

235 - ثَامِنٌ صِدْقُكَ يَا مُرَادُ سَوِّ لِسَانَكَ وَالْفُؤَادُ

236 - تَاسِعٌ أَخْلَصُ تُسْتَعَاذُ مِنْ الشُّرْكِ وَالرِّيَا

(1) في (هـ) وإن كان الذاكر فيإزالة.

(2) [تعالى] ساقط من (هـ).

يقول: الثامن من الآداب اللازمة للمريد حال الذكر الصّدق، وهو كما فسّره الشيخ رحمه الله تعالى: «مطابقة اللسان للقلب»، أي يذكر الله تعالى بألفاظ يعتقد صدقها اعتقادا جازما لا شبهة فيه، وهو معنى قولهم: «استواء السرّ والعلانية»، وذلك كمن يذكر الاسم الذي هو لا إله إلاّ الله فإنّه لا بدّ له من اعتقاد معناها، وهو إمّا نفى الألوهيّة عن غير الله تعالى، وإمّا نفى الوجود الحقيقي عن غير الله، لأنّ كلّ ما سواه وجوده غير حقيقي بل نسبة الوجود لذاته اعتباريّة أو مجازيّة، والوجود الحقيقي الذي هو ليس مسبوقا بعدم ولا يلحقه عدم إنّما هو وجود الحقّ سبحانه وتعالى، فيجب على كلّ ذاكر أن يكون عبدا لله تعالى لا لغيره حيث نفى الألوهيّة عمّا سواه، لا أنّه يكون ناطقا بها بلسانه ومع ذلك فهو عبد الدّنيا أو غيرها بأن كانت حاكمة عليه، أو أنّه يحبّها⁽¹⁾ أو داخل تحت حكم غيرها، فلا يكون العبد عبدا لله وحده حتّى يكون خارجا عن رقّ الأغيار، مستخلصا عبوديته كلّها للواحد القهار، وفي الحديث «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»⁽²⁾.

[الإخلاص في الذكر]

والثّاسع: الإخلاص، وهو تصفية العمل من شوائب الرّياء الذي هو الشّرك الخفّي، فمّن أخلص عمله لله تعالى أعاده الله ونجّاه من الشّرك الخفّي.

(1) نهاية الورقة (60/ظ).

(2) رواه البخارى (36/2 رقم: 2886)، وابن ماجه (1385/2 رقم: 4135)، وابن حبان (12/8 رقم: 3218)، والبيهقى (159/9 رقم: 18279) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والإِخْلَاصُ وضدّه يدخلان في سائر الأعمال، فيجب على كلّ إنسان أن يتحرّاه في كلّ أعماله، لأنّه به يحسن العمل وينتج الأمل، وهو التّاهض بالأعمال إلى القبول والإقبال.

وفي الحكم العطائية: «الأعمالُ صُورٌ قَائِمَةٌ، وَأَرْوَاحُهَا وَجُودٌ سِرٌّ الإِخْلَاصُ فِيهَا»⁽¹⁾.

قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽²⁾.

وقوله: (تُسْتَعَاذُ) مجزوم في جواب الأمر وهو (أَخْلَصُ)، أي إن أخلصت أعاذك الله من الشرك والرّياء. وعطف الرّياء على الشرك تفسيري.

[الذكر بلفظ الجلالة]

والعاشر: أشار له بقوله:

237 - عَاشِرُهَا الْجَلَالَا اخْتَارَهَا أَهْلُ الْمَلَا

238 - لَا مِثْلُهَا فِي الْجَلَا فِي الْأَسْمَاءِ الْكُلِّيَا

يقول: إنّ الأدب العاشر الذّكر بالجلالة، وعنى بالجلالة لا إله إلاّ الله، فإنّها مفتاح الهدى وطريق الإهتداء، لحديث⁽³⁾: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ

(1) الحكم العطائية (ص: 106)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 74).

(2) سورة البينة: 5.

(3) في (ط) في الحديث.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽¹⁾، ولهذا كان الذكر بها أقرب الطرق إلى الله تعالى، لأنه لا يبقى معها أثر من أثر الكون، ولها ثمرات عند القوم لا توجد في غيرها من الأذكار، كما أفاده كلام الشيخ رحمه الله تعالى.

وفي الحديث القدسي عنه صلى الله عليه وسلم: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»⁽²⁾، فهي الحصن الحصين من كل سوء.

وأراد بقوله: (لَا مِثْلَهَا فِي الْجَلَاءِ) أنه لا يضاهيها في جلاء البصيرة وإزالة ران الأغيار عنها غيرها⁽³⁾ من الأسماء كلّها.

[استحضار معنى الذكر بالقلب]

والحادي عشر: أشار إليه بقوله:

(1) رواه الترمذي (462/5 رقم 3383) وقال: حسن غريب، والنسائي في الكبرى (208/6 رقم 10667)، وابن ماجه (1249/2 رقم 3800)، وابن حبان (126/3 رقم 846)، والحاكم (676/1 رقم 1834) وقال: صحيح ووافقه الذهبي، جميعهم عن جابر رضي الله عنه.

(2) الحديث مروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (462/5)، والديلمي (251/5 رقم: 8101)، والقضاعي (323/2 رقم: 1451)، وأبو نعيم في الحلية (192/3) وقال: «هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدّثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق»، وما قاله أبو نعيم رده الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: 197) فقال: «بإسناد ضعيف جداً، وقول أبي منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه».

(3) [غيرها] ساقط من (ه).

239 - حَدِي عَاشِرُ الاسْتِخْضَارِ مَعْنَى ذِكْرِكَ الْمُخْتَارِ

240 - الاسْتِغْنَاءُ وَالْاِفْتِقَارُ خُذْ مَعْنَى الْأُلُوْهِيَةِ

يعني أنّ من الآداب أيضا استحضار معنى الذكر بالقلب، على حسب اختلاف درجات المشاهدة في الذاكرين، بشرط أن يعرض على شيخه كلّ شيء ترقى إليه من الأذواق ليعلمه كيف الأدب فيه.

وأراد بالذكر المختار ما تقدّم، وهو⁽¹⁾ لا إله إلا الله، ومعناها على ما قرّره خاتمة المحققين سيدي محمّد السنوسي في صغراه: «لا مستغني عن كلّ ما سواه ومفتقرا إليه كلّ ما عداه إلا الله»، بناء على أنّ معنى الإله هو المستغني عن كلّ ما سواه المفتقر إليه كلّ ما عداه، ومعنى الألوهيّة استغناء الإله عن كلّ ما سواه وافتقار كلّ ما عداه إليه، ولهذا أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (خُذْ مَعْنَى الْأُلُوْهِيَةِ).

قال رحمه الله تعالى في الفصل الأوّل من غنية المريد: «فمعنى لا إله إلا الله نفي الألوهيّة عن غيره سبحانه وتعالى وإثباتها لله تعالى، والألوهيّة صفة جامعة لسائر الكمالات مانعة عن جميع النقائص والآفات ما علّم منها وما لم يُعلّم»، اهـ.

[دلالة كلمة الإخلاص على عقائد الإيمان]

ثمّ بيّن كيفيّة دلالة معنى كلمة الإخلاص على جميع عقائد الإيمان فقال:

(1) نهاية الورقة (61/و).

241 - فَمَا تَحْتَ الِاسْتِغْنَا مِنْ صِفَاتِ مَوْلَانَا

242 - أَرْبَعُ عَشَرَ جَاءَنَا وَالْبَاقِي افْتِقَارِيَا

يقول: إذا علمت أن معنى لا إله إلا الله لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله، فاعلم أن استغناؤه عز وجل عن كل ما سواه يستلزم إحدى عشر صفة من الصفات العشرين الواجبة لله تعالى، على الطريقة التي ذكرها سيدي محمد السنوسي في صغراه، وثلاث صفات من الجائزات، فجملة ذلك أربع عشرة صفة كما صرح به الشيخ رحمه الله تعالى، وما بقي من الصفات الواجبة له تعالى والجائزة مندرج في معنى افتقار كل ما عداه إليه تعالى.

[أقسام صفات الله]

ثم يبين بعد ذلك تفصيلها وتقسيمها فقال:

243 - وَاحِدَةٌ نَفْسِيَّةٌ أَرْبَعَةٌ سَلْبِيَّةٌ

244 - وَالْمَعَانِي سَبْكِيَا مِثْلُهَا الْمَعْنَوِيَا

245 - ثَلَاثَةٌ جَائِزِينَ فِعْلٌ كُلٌّ مُمَكِّنٌ

246 - نَفْيُ الْقَوَى يَا مُسْكِينَ وَالْغَرَضُ بِالْكُلِّيَا

يعني أن الصفات الأربعة عشر المذكورة على قسمين: واجبات، وجائزات.

فالواجبات أربعة أنواع:

- صفة نفسية، وهي الوجود.

- وأربع صفات سلبية، وهي القدم، والبقاء، والمخالفة لجميع الحوادث من كل وجه، وقيامه تعالى بنفسه.

وثلاث من صفات المعاني⁽¹⁾، وهي التي رمز لها بقوله: (سَبْكِيَا)، فالسبين رمز به إلى صفة السمع المتعلق بجميع الموجودات، والباء رمز إلى صفة البصر المتعلق بما تعلق به السمع، والكاف رمز إلى صفة الكلام المتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات.

- وثلاث من الصفات المعنوية، وهي كونه تعالى سميعاً، وكونه تعالى بصيراً، وكونه تعالى متكلماً، وهو معنى قوله: (مِثْلُهَا الْمَعْنَوِيَا).

والصفات الجائزات ثلاثة كما قال:

أولها: فعل كل ممكن أو تركه.

ثانيها: نفي التأثير بالقوة.

ثالثها: نفي الغرض عنه سبحانه وتعالى في الأفعال والأحكام.

وبسط الكلام في هذا المقام تكفل به علم الكلام، فهذه الصفات المذكورة كلها أُخِذَتْ من الاستغناء، الذي هو ظهور عدم احتياجه لشيء على الإطلاق.

(1) نهاية الورقة (61/ظ).

وأما ما يستلزمه معنى افتقار كل ما عداه إليه تعالى فإنه
أشار إليه بقوله:

247 - وَمَا تَحْتَ الْاِفْتِقَارِ إِحْدَى عَشْرَ يَا مُخْتَارَ

248 - وَخَدَانِيَةُ الْقَهَّارِ وَالْمَعَانِي الْبَاقِيَا

249 - وَلَا زِمُ الْمَعَانِي وَالْجَائِزَاتُ اثْنَانِ

250 - نَفْيِ الطَّبَعِ وَالثَّانِي بِالْحُدُوثِ الْكُلِّيَا

يعني أنّ معنى افتقار كل ما عداه إليه تعالى يستلزم إحدى
عشرة صفة، وهي أيضا على قسمين واجبات وجائزات.

فالواجبات على ثلاثة أنواع:

صفة واحدة سلبية، وهي الوجدانية في الذات والصفات
والأفعال.

وأربع من صفات المعاني: وهي القدرة والإرادة المتعلقتان
بجميع الممكنات، والعلم المتعلق بجميع الواجبات والجائزات
والمستحيلات، والحياة لا تتعلق بشيء وهو المعبر عنها بمصححات
الفعل.

وقوله: (وَالْمَعَانِي الْبَاقِيَّةُ)، يريد على الطريقة التي اختارها
محققو المتكلمين، من أنّ المعاني سبع لا غير، بناء على إسقاط صفة
الإدراك حيث لم يرد فيه سمع.

وأربع من الصّفات المعنويّة: وهي كونه تعالى قادرا، ومريدا،
وعالما، وحيّا.

فهذه تسع صفات واجبة، مع صفتين جائزتين وهما نفى التأثير
بالطّبع، وحدوث العالم بأسره، مجموعها إحدى عشر كما مرّ.
ثم بالغ في تفصيلها لأنّه وضعها للمبتدئين والعامة، فقال:

251 - فَعِشْرُونَ وَاجِبَاتٌ خَمْسَةٌ جَائِزَاتٌ

252 - مِثْلُهَا مُسْتَحِيلَاتٌ كُلُّهَا خَمْسِينَ

يعني أنّ الصّفات⁽¹⁾ الواجبة لله تعالى المندرجة تحت الاستغناء
والافتقار عشرون صفة، والصّفات الجائزة خمس، مجموعها خمس
وعشرون، وأضدادها ونقائضها خمس وعشرون، مثلها كلّها مستحيلة
على الله تعالى، فإذا جمعتها مع الواجبات والجائزات صارت خمسين
عقيدة، يجب على كلّ مكلف شرعا معرفتها وإتقانها.

[الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام]

ولما فرغ من الكلام على كيفيّة اندراج ما يجب في حقّ الله
تعالى وما يجوز وما يستحيل في معنى لا إله إلاّ الله، أخذ يتكلّم في
كيفيّة اندراج مثل ذلك في حقّ الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام في كلمة
الإخلاص أيضا فقال:

(1) نهاية الورقة (62/و).

253 - وَإِذَا قُلْتَ الْجَلَالَ يَدْخُلُ صِدْقُ الرُّسُولَا

254 - كَذَا قَالُوا مُسَجَّلَا مِنْ حَدِيثِ نَبِيَا

يقول إذا قال المكلف: لا إله إلا الله، استلزم نطقه بها تصديق سيّدنا ومولانا محمّد رسول الله⁽¹⁾ ﷺ، لأنّه ﷺ الأمر بها والدّاعي إليها، كسائر الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، والمرشد للتّمسك بها، والمخبر بفضلها، والمبيّن أنّها العروة الوثقى التي لا انفصام لها، والحامل للخلق بالسّيف على الإقرار بها، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽²⁾، ولم يقل محمّد رسول الله، لتضمّن هذه الكلمة الشّهادة والإقرار بالرسالة، وإلى هذا الحديث أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (مِنْ حَدِيثِ نَبِيَا).

ونقل البجائي عن سيّدي يوسف العجمي⁽³⁾: «أنّ قول العبد: لا إله إلا الله لقول الرّسول ﷺ هو عين إثبات رسالته والإقرار بها، فيكون ذكر لا إله إلا الله مستلزماً لسيّدنا محمّد رسول الله».

(1) [رسول الله] ساقط من (ه).

(2) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (49/2 رقم: 2946)، ومسلم (52/1 رقم: 21).

(3) هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي الكردي الكوراني الأصل المصري الدار والوفاة، المعروف بالشيخ يوسف العجمي، الشيخ الإمام العالم المسلّك الصوفي العارف بالله تعالى، قال ابن حجر في الدرر: «كان أعجوبة زمانه في التسليك، وله أتباع ومريدون، وله رسالة سماها ريحان القلوب في الوصول إلى المحبوب، تتضمن شرائط التوبة ولبس الخرقة وتلقن الذكر»، توفي رحمه الله سنة 768هـ - 1367م.
له ترجمة في: طبقات الأولياء لابن الملقن (ص: 492)، والدرر الكامنة (6/235)، والطبقات الكبرى للشعراني (59/2).

وكان شيخنا سيدي مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ إذا سئل عن أفراد لا إله إلا الله يقول: «مُحَمَّد رسول الله ﷺ في جوفها».

[العقائد الواجبة في حق الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام]

وأشار إلى ما يندرج في معنى سيّدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ من العقائد الدّينيّة بقوله:

255 - وَاجِبُهَا يَا مُرِيدَ سَبْعَةٌ فَلَا تَزِيدَ

256 - جَائِزُهَا بِالتَّفَرِيدِ الْأَعْرَاضُ الْبَشَرِيًّا

257 - ثَمَانِيَةٌ ضِدُّهَا سِتَّةُ عَشَرَ كُلُّهَا

258 - بِالْخَمْسِينَ ضُمَّهَا سِتًّا وَسِتِّينَا

يعني أنّه يُؤخذ⁽¹⁾ من معنى قولنا محمد رسول الله الإيمان بجميع الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام والكتب السماوية واليوم الآخر، لأنّه ﷺ جاء بالتّصديق بجميع ذلك⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (62/ظ).

(2) يدل على ما ذكره الرواية عند مسلم (52/1 رقم: 21) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»، فافتضى قوله: «(وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ)»، وجوب الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ، ومن جحد شيئاً مما جاء به لم يكن مؤمناً، ومما جاء به ﷺ الإيمان بجميع الأنبياء والرسل والكتب السماوية، كما قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُولِهِ وَالَّذِينَ نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136].

ويؤخذ منه أيضا وجوب صدق الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وهو يستلزم وجوب الأمانة، وهو يستلزم وجوب التبليغ منهم عليهم الصلاة والسلام للخلق، فهذه سبع عقائد واجبة في حق الرُّسل عليهم الصلاة والسلام.

ويؤخذ منه أيضا جواز الأغراض البشرية عليهم، التي لا تؤدى إلى نقص في مراتبهم العلية⁽¹⁾، فمجموعها ثمان صفات وأضدادها ثمان صفات مستحيلة، فإذا جمعتها مع الواجبات والجائزات صارت ستة عشر عقيدة، فإذا ضممته إلى الخمسين عقيدة صارت ستًا وستين عقيدة كلّها مندرجة في معنى لا إله إلا الله.

قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في غنية المريد: «وهذا العدد هو عدد نقط اسم الله تعالى، الذي هو الاسم الأعظم الجامع لأسمائه تعالى ما عُلِمَ منها وما لم يُعَلَم، فإذا شَفَعته بمثله كان مائة واثنين وثلاثين وهو عدد اسم سيّدنا محمّد ﷺ، وفي هذين العددين أسرار وأنوار يعلمها أهلها»، اهـ كلامه.

[وجوب معرفة عقائد الإسلام]

قوله:

259 - يُفْتَرَضُ حِفْظُهَا وَيَجِبُ فَهْمُهَا

260 - قَالَهُ أَوْلُوا النُّهَى أَهْلُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَا

(1) راجع في ذلك كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (223/2).

يعني أنه يجب على كلِّ مُكَلَّفٍ شرعا معرفتها باتِّفاق علماء الشَّرائع كلّها، إذ لا خلاف بين أهل الحقِّ في وجوب معرفة الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله تعالى، وفي حقِّ رسله عليهم الصلاة والسلام، وذلك معلوم من الدِّين بالضرورة⁽¹⁾.

[استحضار معاني العقائد عند الذكر]

ولمّا كان ملاحظة اندراج العقائد المذكورة حالة الذِّكر واستحضارها ربّما يعسر على الذّاكر، بين ما لا يسع الذّاكر عدم استحضاره من معنى الذِّكر حاليّ، فقال:

261 - وَفِي حَالَةِ الْأَذْكَارِ فَرِّغْ ذِهْنَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ

262 - وَاكْتَفِ بِمَا يُذَكِّرُ عِنْدَ أَهْلِ التَّزْيِيَا

263 - لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ لَا مَطْلُوبَ إِلَّا اللَّهُ

264 - لَا مَوْجُودَ سِوَى اللَّهِ هَكَذَا مَزْوِيَا

265 - فَالْأَوَّلُ لِلْمُبْتَدِي⁽²⁾ وَالْمُتَوَسِّطُ يُحَاذِي

266 - وَالْأَخِيرُ سَنَدِي قَالُوا لِلْمُنْتَهِيَا

يعني إذا توجّه الذّاكر إلى الذِّكر يتعيّن عليه تفريغ قلبه من جميع الخواطر وسائر الأغيار، ويقتصر على استحضار ما ذكره أرباب التربية

(1) انظر كتاب المواقف للإيجي (1/148)، وشرح المقاصد في علم الكلام (1/44).

(2) نهاية الورقة (63/و).

حين الذّكر، فإذا قال بلسانه: لا إله إلاّ الله، يقول بقلبه: لا معبود إلاّ الله، ويستحضر ذلك مع كلّ كلمة، وذلك حيث يكون الغالب عليه البشرية والوسواس.

وإذا صفا القلب وطلب شيئاً من المعرفة والشّوق والدّوق، إذا قال بلسانه: لا إله إلاّ الله، يقول بقلبه: لا مطلوب إلاّ الله، ويستحضره ما دام ذاكرة.

وإذا تجرّد القلب من الأغيار وتجلّت له الأنوار وترقى لمراقبة الواحد القهّار، يقول بلسانه: لا إله إلاّ الله، وبقلبه: لا موجود إلاّ الله؛ فاستحضار المعنى الأوّل للمبتدئ، واستحضار المعنى الثّاني للمتوسّط، واستحضار المعنى الثّالث للمتّهي، كما هو صريح كلامه رحمه الله تعالى.

[نفي كلّ موجود من الخلق حال الذّكر]

الثّاني عشر: أشار له بقوله⁽¹⁾:

267 - ثَانِي عَشَرَ يَا سَالِكَ أَنْفٍ غَيْرَ مِنْ قَلْبِكَ

268 - سَوَى هُوَ وَشَيْخِكَ رَفِيقِكَ فِي التَّزْبِيَا

يقول: إنّ آخر آداب الذّكر اللاّزمة للذاكر حالة تلبّسه بالذّكر، نفي كلّ موجود من الخلق حال الذّكر من القلب سوى الله تعالى

(1) [أشار له بقوله] ساقط من (ه).

والواسطة وهو الشيخ⁽¹⁾، فإنَّ الحقَّ غيور لا يحبُّ أن يكون في قلب
الذَّاكر له غيره، وذلك لأنَّ المقصود بالذَّكر تمام الحضور بسائر
أعضائه، حتَّى يكون وجوده كلّه مستفرغاً لمعاني الذَّكر ووارداته
الغيبية، وبأدنى ملاحظة شيء يفوته، ذلك لأنَّه ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه.

(1) ما ذكره المصنف والشارح محل نظر، لأنَّ خلو القلب عند الذكر من كل شاغل
يشغله مطلوب، واستحظار صورة أي كائن مهما كان مما يشغله ويشوش عليه
حظوره، ولهذا لم يثبت عن سلف الأمة أنهم كانوا يستحظرون عند ذكرهم صورة
شخص ولو كان رسول الله ﷺ.

وليس للقلب إلا وجهة واحدة، إذا مال بها إلى جهة غفل عن الأخرى، كما قال
الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 4].

ومن شغل فكره أتعب خاطره وفقد خشوعه، وفي هذا المعنى يقول أبو حامد
الغزالي في الإحياء (50/1): «ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق،
ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتَّى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من
إعطائه إياك بعضه على خطر، والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق
ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه، فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ
المزدرع».

نعم، الشيخ خليفة رسول الله ﷺ وواسطة بين الله تعالى وبين عباده في بيان شرعه
وتبليغ أمره ونهيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»، أما أن
يكون واسطة بين العبد وربّه في دعائه أو صلاته أو ذكره ومناجاته فلا، والله تعالى
يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]، ويقول:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14].

وقد ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ عَلَى قَلْبٍ فِيهِ غَيْرُهُ»⁽¹⁾، حيث إنّ القلب إذا اشتغل بغير الله تعالى حصل فيه حجاب يمنعه من المراقبة لما يرد عليه من المعارف الإلهية والتجليات العرفانية، وليس هناك مناسبة بين رتبة الحقّ ورتبة الخلق حتّى يكون بين رتبتي آثارهما مناسبة يصحّ الجمع فيها بينهما في وقت واحد، والله تعالى منزّه بأسمائه وصفاته وأفعاله عن أسماء وصفات وأفعال⁽²⁾ المخلوقين، وإنّما شرطوا نفي كلّ موجود في الكون من القلب ليتمكّن لهم تأثير إلّا الله بالقلب، ثمّ يسري ذلك المعنى إلى سائر الجسد، وفي ذلك قيل:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَمَكَّنَا اهـ.

(1) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ومعناه صحيح يدل عليه ما رواه البخاري (451/3) رقم: 7405) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي».

وما رواه أحمد بسند حسن لغيره (235/11) رقم: 6655) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَهِيَ النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِفُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاةً عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ».

وروى القشيري في الرسالة (318/1)، وابن الجوزي في كتاب ذم الهوى (ص: 78)، عن سهل بن عبد الله قال: «حَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَسْتَمَّ رَائِحَةَ الْيَقِينِ وَفِيهِ سُكُونٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَحَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَدْخُلَهُ النُّورُ وَفِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

وفي الرسالة للقشيري (491/2): «قِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي إِذَا أَطْلَعْتُ عَلَى قَلْبٍ عَبْدٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَلَائِمَةً مِنْ حُبِّي».

(2) نهاية الورقة (63/ظ).

وقوله: (رَفِيقَكَ فِي التَّزْيِيَةِ) أشار به إلى أَنَّ الشَّيْخَ، لو لم يكن له مدخل في تأديب المريد وتَرْقِيهِ إلى مراتب تركية نفسه لما سَاجَت مُخَايَلَةُ صورته.

قوله:

269 - فَهَذِهِ مَعَهُ ثَلَاثُ بَعْدِهِ

270 - سُكُونُكَ خُشُوعُهُ وَازْتِقَابُ الْجَائِيَا

الإشارة راجعة إلى الآداب الاثني عشر المذكورة، والظرف خبر عنها، فإذا جمعت هذه إلى الخمسة آداب المتقدمة على الذكر صارت سبعة عشر.

[الآداب المشروعة بعد الذكر]

وتمام العشرين ثلاثة آداب بعد الذكر.

[الأدب الأول: السكوت]

الأول منها: السكوت، وهو الصمت، أي عدم التكلم، مع الخشوع وانتظار وارد الذكر، فلعله يرد عليه وارد يعمر وجوده في لمحة أكثر مما تعمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة؛ فإذا كان الوارد وارد زهد يجب عليه التمهّل فيه حتّى يتمكّن فيه الزهد ويصير ينتقص وينقبض إذا فُتِح عليه بشيء من الدنيا عكس ما كان عليه قبل ذلك، أو وارد تحمّل أذى، فيجب عليه التمهّل فيه حتّى يتمكّن ويستغفر، ويصير لو قام عليه الوجود كلّ بالأذى لا تتحرّك منه شعرة كما لا يتحرّك الجبل من نفخة ناموسة، وهكذا، بخلاف ما إذا لم يترقّب حصول شيء

من ذلك، فإنّه لا يحصل له التّحقّق بذلك المقام الذي جاء به الوارد، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾⁽¹⁾، فإذا لم يكن للذاكر طلب ولا تشوّق⁽²⁾ لشيء لا يُعطاه.

قال الغزالي: «ولهذه السّكّنة ثلاث آداب، أن يستحضر العبد أنّ الله تعالى مطّلع عليه، وأن يجمع حواسّه كحال الهرة عند اصطياد الفأرة، وأن يجري معنى الله الله على قلبه، وبهذه الآداب تتمّ المراقبة للذاكر».

[الأدب الثاني: زَمُّ النَّفْسِ]

الثاني نبّه عليه بقوله:

271 - وَالثَّانِي هُوَ الْإِزْمَامُ نَفْسُكَ يَا غُلَامَ

272 - مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تَمَامٍ هِمَّتُكَ الْعَلِيًّا

يعني أنّ من الآداب اللازمة للمريد غيبّ الذّكر وبعده، أن يزُمّ⁽³⁾ نفّسه بعد الذّكر مرارا، من ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر من ذلك، بحسب الهمة وقوّة العزم، لأنّ أنفاس الذّاكر حارّة فتسري إلى الرّوح والقلب، فإذا أرسل نفّسه وألحقه بآخر كان النفّس الثاني الدّاخِل مفاجئ ببرودته لحرارة الرّوح والقلب، وللّسّادة النّقشبندية فوائد جليّة وفضائل جميلة.

(1) سورة التوبة: 60.

(2) في (ط) و (هـ) [طلب وتشوق].

(3) نهاية الورقة (64/و).

وفي التّحفة: «وهذا الأدب كالمجمع عليه، كي يدور الوارد في جميع عوالم الذّكر، فتستنور بصيرته، وتنقطع عنه خواطر التّفس والشّيطان، وتنكشف له الحجب».

[الأدب الثالث: عدم شرب الماء]

الثالث: أشار إليه بقوله:

273 - وَالثَّالِثُ شُرْبُ الْمَاءِ مَنَعَهُ الْعِلْمَاءُ

274 - بَعْدَ ذِكْرِكَ ذِي الْأَسْمَاءِ مُطْفِئًا لِلنَّارِ يَا

أي ومن جملة الآداب المتعيّنة على المرید عقب الذّكر والأوراد على القول السّدید منع شرب الماء، لأنّ الذّكر یورث حرقة وهیجانا إلى المذكور الذی هو المطلوب الأعظم من الذّكر، وشرب الماء یطفئ تلك الحرارة، وربّما كان سببا لضعف القلب عن الإدراکات المطلوبة منه، وبرد الكبد المؤدّي إلى انحراف المزاج، فلذلك لا یباح له⁽¹⁾ الشّرب إلّا بعد مدّة فإنّه یسوغ، لأنّ الحرارة حیثئذ تكون قد انتشرت إلى محالّها.

والإشارة بقوله:

275 - تَمَّتْ هَذِهِ الْأَدَبَاتُ عِشْرِينَ قَالَ السَّادَاتُ

إلى آداب الذّكر المذكورة.

وقوله: (عِشْرِينَ) حال من (الأدبَات).

(1) في (ج) لا یباح الشرب.

ولما أتمّ الكلام على آداب الذّكر، ذكر آداب المريـد في نفسه
ومع شيخه وإخوانه، فقال:

276 - وَهَـنَاكَ أَذَبَاتٌ ثَلَاثَةٌ مَزُورِيًّا

277 - فِي نَفْسِكَ يَا مُرِيدَ مَعَ شَيْخِكَ الْمُفِيدَ

278 - إِخْوَانُكَ لَا تَحِيدَ عَنْهَا خُذْ تَرْتِيبِيَا

قسمّ رحمه الله تعالى هذه الآداب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: في أدب المريـد في نفسه.

والثاني: في أدبه مع شيخه، وحذف العاطف من قوله: (مَعَ
شَيْخِكَ) للوزن.

وقوله: (الْمُفِيدَ) نعت لشَيْخِكَ.

والثالث: في أدبه مع الإخوان، بحذف العاطف من إخوانك.

و (الْحَيْدُ) الميل والتّنجي، من حاد يحيد، يتعدّى بالحرف
والهمزة كذهبت به وأذهبت⁽²⁾.

(1) [في] ساقطة من (ه).

(2) انظر الصحاح للجوهري (467/2)، ولسان العرب (158/3) مادة: حيد.

وأشار بقوله: (خُذْ تَزْيِيئًا) إلى أنه ذكر كل قسم على حدة.

[آداب المريد في نفسه]

فبدأ بآداب⁽¹⁾ المريد في نفسه فقال:

279 - أَذْبُكَ فِي نَفْسِكَ وَرَعُكَ فِي لِبْسِكَ

280 - وَكَذَلِكَ فِي شُرْبِكَ وَاللُّقِيمَةِ الْكُلِّيَا

281 - خَفِيفٌ فِي الطَّهَارَةِ زَاهِدٌ فِي الْإِمَارَةِ

282 - قَائِمٌ فِي السَّحَرَا تَارِكٌ هَوَا نَفْسِيَا

283 - لَا تَجْزَعْشَ مِنْ رِزْقِكَ وَتَبْخُ يَا أَحِي نَفْسَكَ

284 - لَا تَسْتَبْطِشْ فَتَحَكَ أَعْمَالَكَ مُحْفِيَا

هذا هو القسم الأول من أقسام الآداب المتقدم ذكرها قريبا، التي بها ينال المريد قمع نفسه، ويسقي بها فيض قدسه.

[التحلي بالورع]

فأولها: الورع، وهو كفّ النفس عن الشبهات في المأكل والمشرب والملبس والمنطق، وكفّ السمع والبصر واليد والرجل والقلب والفرج عن كل ما لا يسوغه الشرع⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (64/ظ).

(2) روى السمرقندي في تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص: 475) عن إبراهيم بن أدهم قال: «الْوَرَعُ وَرَعَانُ: وَرَعٌ فَرَضَ وَوَرَعٌ حَذَرٌ، فَالْوَرَعُ الْفَرَضُ الْوَرَعُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوَرَعُ الْحَذَرُ الْوَرَعُ عَنِ الشُّبُهَاتِ».

وعمدة ذلك الورع في الأكل والشرب كما نبّه عليه المصنّف رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

وفي الحديث: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»⁽²⁾.

وقال ﷺ لأبي هريرة: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»⁽³⁾.

وقال إبراهيم بن أدهم⁽⁴⁾: «طَيِّبَ مَطْعَمَكَ، وَمَا عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَصُومَ وَلَا تَقُومَ»⁽⁵⁾.

(1) يشهد لما ذكره المصنف ما رواه مسلم (751/2 رقم: 1070) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله أنه قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ الثَّمَرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَزْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْقِيهَا». قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (177/7): «وفيه استعمال الورع لأن هذه الثمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال لكن الورع تركها».

(2) الحديث مروى عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الترمذي (558/4 رقم: 2317) وقال: غريب، وابن ماجه (1315/2 رقم: 3976)، وابن حبان (466/1 رقم: 229)، والبيهقي في شعب الإيمان (255/4 رقم: 4987)، وقال الحافظ في فتح الباري (309/11): «أخرجه الترمذي وحسنه»، وحسنه النووي في الأربعين.

(3) الحديث مروى عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه ابن ماجه (1410/2 رقم: 4217)، وأبو يعلى (260/10 رقم: 5865)، والقضاعي (215/1 رقم: 385)، والبيهقي في شعب الإيمان (53/5 رقم: 5750)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (240/4): «هذا إسناد حسن».

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، الإمام القدوة سيد الزهاد، مناقبه وكراماته لا تحصى، توفي رحمه الله سنة 161 هـ. 778م. له ترجمة في تاريخ دمشق (277/6 - 350)، وحلية الأولياء (367/7 إلى 58/8)، وسير أعلام النبلاء (387/7 - 396).

(5) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (31/8)، وابن أبي الدنيا في الجوع (ص: 150 رقم: 246)، والقشيري في الرسالة (36/1).

[خفة الطهارة والتخلي عن الوسوسة]

ثانيها: أن يكون ناهضَ الهمة، خفيفاً في مبدأ الطهارة، خالياً عن الوسوسة فيها، جارياً فيها على القانون الشرعي، لا يزيد على الغسلات الثلاث، فإنَّ الخير كله في الاتِّباع، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ نُجُوتَ اللَّهِ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹⁾.

[الزهد في الدنيا]

ثالثها: أن يكون زاهداً في طلب التَّقدّم والظَّهور على غيره والشَّهرة بالعلم أو بالعمل، بل يَدْفِن وجوده في أرض الخمول⁽²⁾، فإنَّ ما نبت في غير أرض الخمول لا يتم نتاجه، لأنَّ الزَّهد في الدُّنيا ومتعلقاتها واجب على كلِّ مَنْ أراد طريق الحقِّ، قال تعالى في وصف الكافرين: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾⁽³⁾، وذلك إنّما هو من أجل قضاء شهواتهم التَّفسانية والتَّلذُّذ بها والتَّخَوُّل فيها، فينبغي للمؤمن أن يكفَّها على⁽⁴⁾ نقيض مفهوم الآية الكريمة، وفي الحديث: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ»⁽⁵⁾.

(1) سورة آل عمران: 31.

(2) قال ابن عطاء الله في الحِكَم (ص: 106): «اذْفِنْ وُجُودَكَ فِي أَرْضِ الْخُمُولِ، فَمَا نَبَتَ مِنْهَا لَمْ يُدْفَنْ لَا يَتِمُّ نَتَاجُهُ».

(3) سورة إبراهيم: 2.

(4) في (ج) عن نقيض.

(5) رواه ابن ماجه (2/1373 رقم: 4102)، والحاكم (4/348 رقم: 7873) وقال: صحيح الإسناد، والقضاعي (1/373 رقم: 643)، والطبراني في (6/193 رقم: 5972)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/344 رقم: 10522)، كلهم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال النووي في الأربعين: «حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة».

فَعُلِمَ أَنَّ سَبَبَ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا أَعْلَى مَقَامٍ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ غَرَضُهُمْ بِالْعِبَادَةِ إِنَّمَا هُوَ الْوَصُولُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، فَلَيْسَ فَوْقَ هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا مَقَامُ النَّبَوَّةِ.

ومفهوم⁽¹⁾ ذلك أَنَّ الْمَحَبَّ لِلدُّنْيَا مَتَعَرِّضٌ لُبُغْضِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، نَعُودُ بِاللَّهِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا جَعَلَهُ مِنَ الْمُتَبَعْدِينَ الْمَطْرُودِينَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»⁽²⁾.

وَقَالَ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةُ الْقَلْبِ وَالْجَسَدِ»⁽³⁾.

[قِلةُ النَّوْمِ وَوَقْتُ السَّحَرِ]

ورابعها: أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ بِقِلَّةِ النَّوْمِ، وَلَا سَيِّمًا وَقْتُ السَّحَرِ فَإِنَّهُ وَقْتُ الْإِجَابَةِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ، لِحَدِيثٍ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ

(1) نهاية الورقة (65/و).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (ص: 26 رقم: 9)، والبيهقي في شعب الإيمان (102/13 رقم: 10019)، عن الحسن البصري مرسلاً.

رواه أبو نعيم في الحلية (388/6)، والبيهقي في الزهد (ص: 134 رقم: 247) من قول عيسى عليه السلام.

(3) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (ص: 106 رقم: 217)، وفي ذم الدنيا (ص: 80 رقم: 155)، ونصه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةُ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ».

عَامِلٍ فَأَزَكِّي عَمَلَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ»، أخرجه البخاري وغيره⁽¹⁾.

[مخالفة النفس والهوى]

خامسها: أن يكون مخالفا لنفسه وهواه بعصا الشريعة، محرقا لها بنار شدة المخالفة، قاتلا لها بسيف المجاهدة.

حُكِيَ عن بعض الصالحين أنَّ نفسه دعتَه في وقت من الأوقات إلى الجهاد فَاتَّهَمَهَا في ذلك، إذ من عادة النَّفس الأُمارة أَنها لا تدعو إلى الخير، فكيف تُتَصَوَّرُ دعوتها إلى فضيلة الجهاد الذي فيه إتلاف النَّفوس، فدعا الله تعالى أن يطلعه على دَسِيسَةِ نفسه ومَكْرِهَا، فرأى في نومه قائلا يقول له: إِنَّ نَفْسَكَ لَمَّا كُنْتَ تَقْتُلُهَا في اليوم قتلات كثيرة،

(1) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (251/1 رقم: 1145)، ومسلم (521/1 رقم: 758).

واللفظ الذي أورده المصنف ليس لهما، ونصه عندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

ورواه أحمد في المسند (362/15 رقم: 9591)، وابن أبي عاصم في السنة (219/1 رقم: 498) بلفظ قريب مما أورده، ونصه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ شَطْرُهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». وقوله في الحديث: «هَلْ مِنْ عَامِلٍ فَأَزَكِّي عَمَلَهُ» لم يرد ذكرها في كتب الحديث.

وتخالفها فيما تهوى مرارا عديدة، دعتك إلى الجهاد لتموت فتستريح منك، فإنّ الموت أهون على النفس من مخالفتها ومنعها ممّا تهواه.

[التوكل على الله وتفويض أمر الرزق إليه سبحانه]

سادسها: أن لا يتخرّج⁽¹⁾ من الفاقة وشدة الفقر والحاجة، وفي الحديث: «لَنْ يَمُوتَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ»⁽²⁾.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ⁽³⁾ الطَّيْرُ، تَغْدُو حِمَاصًا وَتَعُودُ بِطَانًا»⁽⁴⁾.

(1) في (ط) لا يخرج.

(2) رواه ابن الجارود في المتقى (ص 144 رقم: 556)، والحاكم (5/2 رقم: 2135) وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (1/183 رقم: 420)، والقضاعي (2/186 رقم: 1152)، والبيهقي (5/265 رقم: 10185) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِزْقُهُ، فَلَا تَسْتَبِطُوا الرِّزْقَ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حُرِّمَ».

وله شاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه، رواه الحاكم (5/2 رقمك 2136)، والطبراني في الكبير (10/162 رقم: 10328)، وأبو نعيم في الحلية (8/119)، والدليمي في الفردوس (2/231 رقم: 3114) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ».

(3) في (ط) [يُزْرَقُ].

(4) رواه ابن المبارك في الزهد (ص: 196 رقم: 559)، وأحمد (1/332 رقم: 205)، والترمذي (4/573 رقم: 2344)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (2/1394 رقم: 4164)، وابن حبان (2/509 رقم: 730)، والحاكم (4/354 رقم: 7894)، وقال: صحيح الإسناد.

وقال تعالى ﴿وَمِمَّنْ دَاخِلُ الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁽¹⁾.

فينبغي للمريد أن لا يلتفت لذلك، بل يرفض أمر الرزق وراء ظهره، ويفوض أمره إلى الله تعالى، ولا يقول⁽²⁾: [البسيط]

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أُغِيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا

بل يعتمد قول صاحب الحكم: «اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ، وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا طَلَبَ مِنْكَ، دَلِيلٌ عَلَى انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ مِنْكَ»⁽³⁾.

[المجاهدة وتعمير الأوقات بالعبادات]

سابعها: أن يوبّخ نفسه ويحثّها على الرياضة⁽⁴⁾ والمجاهدة وتعمير الأوقات بأنواع العبادات، ويجتهد في السّعي في تقليل علائقها ما استطاع، فإنّ الحياة الدّنيا متاع والآخرة هي دار القرار، وليعتبر بالمتقدّمين والمتأخّرين، وأنّ مرجعهم إلى الله أجمعين، وفي ذلك قيل: «مَنْ خَزَنَ دَرَاهِمًا رُبَطَ نَفْسُهُ بِحَبْلِ، وَمَنْ خَزَنَ دِينَارًا رُبَطَهَا بِحَبْلَيْنِ، وَمَنْ زَادَ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ فِي الْحَبَالِ»⁽⁵⁾.

(1) سورة هود: 6.

(2) البيت لأحمد بن يحيى بن إسحاق بن الراوندي؛ انظر كنوز الذهب في أخبار حلب (326/2).

(3) الحكم (ص: 105)، وشرح الحكم للشرنوبلي (ص: 68).

(4) نهاية الورقة (65/ظ).

(5) في (ج) من الحبال.

[عدم العجلة في الوصول]

ثامنها: أن لا يستبطئ الوصول، ولا يستبعد القرب والحصول، فإنّ ذلك ليس له غاية معلومة، ولا كَيْفِيَّة مرسومة، بل يعبد الله لوجهه الكريم، سواء فتح له عين قلبه ورفع عنه الحجاب أم لا، فإنّ العبادة من شرائط العبوديّة.

قال الشيخ الأكبر ابن عربي: «إيّاك أن تترك المجاهدة إن لم تر أمارات الفتح، بل دُم على مجاهدتك، فإنّ الفتح بعدها أمر لازم له وقت لا يتعدّاه».

وقال: «احذر أيّها المريد أن يكون قصدك من ذكرك وعبادتك الأجر والثواب، فإنّ ذلك حاصل ولا محالة، وإنّما ينبغي أن تكون همّتك التلذّذ بمناجاته تعالى والفوز بمجالسته».

تنبيه [في أثر الاجتهاد في العبادة في الترقّي]

الاجتهاد في العبادة لا ريب في أن يوصل إلى الترقّي إلى المقامات التي لا تُحصى، والتلقي من النّفحات التي لا تُستقصى، بحيث أن السّالك يصل إلى مقام يقال فيه لا مقام، لأنّ الفيض الإلهيّ لا ينقطع ولا يفنى فكذلك التّرقّي، فمن ظنّ أن السّلوكة يوصل إلى غاية أو إلى نهاية فهو جاهل كلّ الجاهل، بل السّلوكة إنّما يوصل إلى معرفة الحقّ عزّ وجلّ، بمعرفة تجلّياته ونعمائه الإلهيّة، فيستعدّ القلب إلى معرفتها وتمييزها ومعرفة ما معها من الواردات، بجلاء مرآته وقطع مطامع النّفس وقهرها، والتّقرب إليه سبحانه بامتنال مأموراته والوقوف عند منهيّاته والعمل بالنّوافل والإقتداء بالسّلف الصّالح، حشرنا الله في زمرة من عمل فالتحق بذلك الفريق، وذاق من المعارف الإلهيّة حلاوة التّحقيق.

[إخفاء الأعمال والأحوال]

تاسعها: أن يخفي أعماله وأحواله ما أمكن، حتّى يرسخ في مرعاة الله تعالى وحده دون غيره من خلق الله.

وقد أجمعوا على أنّ المريد إذا أحبّ الظهور وإطلاع الناس على كمالاته فهو مقطوع، لا يجيء منه⁽¹⁾ في الطريق شيء.

[التنزه عن الحسد]

عاشرها: أشار إليه بقوله:

285 - لَا عِنْدَكَ مُحَاسَدَه لَا عِنْدَكَ مُخَادَعَه

286 - لَا عِنْدَكَ مُكَاذِبَه لَا كَيْزَ أَوْ عُجْبَ أَوْ رِيَا

يعني أنّ من جملة آداب المريد في نفسه أن لا يتلبّس بشيء من الحسد، لما روى الدَّيْلَمِيُّ في المسند: «الْحَسَدُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ»⁽²⁾ «الْعَسَلُ»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (66/و).

(2) الصَّبْرُ: بكسر الباء، الدواء المُرُّ؛ انظر الصحاح للجوهري (707/2) مادة: صبر.

(3) كذا أورده المصنف، والذي رواه الديلمي في الفردوس (114/3) رقم: 4315، وتمام في الفوائد (248/1) رقم: 605، والبيهقي في شعب الإيمان (531/10) رقم: 7941 عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ معاوية بن حَيْدَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلُ»، وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث (543/3) رقم: 1070: «قَالَ أَبِي: هَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ، وَمُخَيَّسٌ مِجْهُولٌ»، وضعفه أيضا العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1060/1). واللفظ الذي أورده المصنف رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1092/6) رقم: 1875 من قول الحسن البصري.

وروى ابن ماجه: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»⁽¹⁾.

وروى الطبراني: «لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ وَلَا نَمِيمَةٌ وَلَا كَهَانَةٌ»⁽²⁾.

وروى الإمام أحمد والترمذي: «الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَهِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ»⁽³⁾.

[التنزه عن الخداع والمكر]

حادي عشر: ما أشار إليه بقوله: (لَا عِنْدَكَ مُحَادَعَةٌ)، المخادعة هي المكر والغش خُفِيَّةٌ.

(1) رواه ابن ماجه (2/1408 رقم: 4210)، وأبو يعلى (6/330 رقم: 3656)، والبزار (12/336 رقم: 6212)، والقضاعي (2/136 رقم: 1049)، والديلمي (2/159 رقم: 2812)، والخطيب في تاريخ بغداد (2/224 ترجمة رقم: 677). وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/56): «هو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن».

(2) رواه وابن عساكر من طريق الطبراني في تاريخ دمشق (21/334) عن عبد الله بن بُسْرِ رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/91): «رواه الطبراني فيه سليمان بن سلمة الخبائري، وهو متروك»، وقال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (4/122): «سألت عن أبي فقال: متروك الحديث، لا يشتغل به، فذكرت ذلك لابن الجنيّد فقال: صدق، كان يكذب، ولا أحدث عنه بعد هذا».

(3) رواه أحمد واللفظ له (3/29 رقم: 1412)، وعبد بن حميد (ص 63 رقم: 97)، والترمذي (4/664 رقم: 2510)، والطبائسي (1/159 رقم: 190)، والضياء في المختارة (3/81 رقم: 889) وقال: «إسناده منقطع»، والبزار (6/192 رقم: 2232)، والبيهقي (10/232 رقم: 20854)، كلهم من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه، قال المنذري في الترغيب والترهيب (3/347): «رواه البزار بإسناد جيد».

روى الترمذي: «مَلْعُونٌ مَنْ خَانَ مُؤْمِنًا أَوْ مَكْرَبَهُ»⁽¹⁾.

وروي «لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا، أَوْ ضَرَّهُ، أَوْ مَأْكَرَهُ»⁽²⁾.

وفي الحلية لأبي نعيم: «مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا فِي أَهْلِهِ أَوْ جَارِهِ فَلَيْسَ مِنَّا»⁽³⁾.

[التنزه عن الكذب]

ثاني عشر: أشار إليه بقوله: (لَا عِنْدَكَ مُكَاذِبَةٌ)، قبح الكذب معلوم من الدين بالضرورة، ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾، لكان كافيا.

(1) رواه الترمذي (332/4 رقم: 1941) وأبو نعيم في الحلية (49/3)، والبيهقي في شعب الإيمان (81/11 رقم: 8215) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الترمذي: «حديث غريب»، ولفظه: «مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكْرَبَهُ»، وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (211/2)، وابن القطان في بيان الوهم والإيهام (404/2).

(2) نسبه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 661)، والعجلوني في كشف الخفاء (318/2) للعسكري عن علي رضي الله عنه.

ورواه الترمذي (323/4 رقم: 1941)، والطبراني في الأوسط (124/9 رقم: 9312)، والبيهقي في الشعب (81/11 رقم: 8215)، وأبو نعيم في الحلية (49/3)، وأبو يعلى (96/1 رقم: 96)، والبخاري (105/1 رقم: 43) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكْرَبَهُ»، وإسناده ضعيف.

(3) كذا نسبه المصنف لأبي نعيم في الحلية ولم نجده عنده، والحديث رواه الحارث كما في بغية الباحث (180/1 رقم: 34)، والرويانى (65/1 رقم: 11) بسند ضعيف.

(4) سورة النحل: 105.

[التَّلَبُّسُ بِالذُّلِّ وَتَرْكُ الْكِبَرِ]

وأشار إلى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من آداب المريد في نفسه بقوله: (لَا كِبَرٌ أَوْ عُجْبٌ أَوْ رِيَاءٌ).

يقول: إِنَّ من الآداب اللازمة للمريد في نفسه التَّلَبُّسُ بِالذُّلِّ، لأنَّ التَّهْيِءَ عن الشَّيْءِ أمرٌ بضدِّه، ولا ريب في أَنَّ الْكِبَرَ ضِدُّ الذُّلِّ، فالْكِبَرُ صفةٌ تقوم بالنفس تقتضي التعاضم، وتنشأ من رؤية وجود النَّفْسِ، وفي الحديث القدسي: «الْكِبَرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ»⁽¹⁾.

وفي رواية: «فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ»⁽²⁾.

وروى الإمام مسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»⁽³⁾.

(1) رواه بهذا اللفظ الحاكم (129/1 رقم 203) وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في الأسماء والصفات (347/1 رقم: 279) عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

وأصل الحديث في صحيح مسلم (2023/4 رقم: 2620) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبَرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

(2) رواه أحمد (473/14 رقم: 8894)، وأبو داود (59/4 رقم: 4090)، وابن ماجه (1397/2 رقم: 4174).

(3) رواه أحمد (60/7 رقم: 3947)، ومسلم (93/1 رقم: 91)، والترمذي (361/4 رقم: 1999) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَرُوي: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ»⁽¹⁾.

وَرُوي: «مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ وَضَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ رَفَعَهُ اللَّهُ»⁽²⁾.

وفي الكتاب العزيز: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى⁽⁴⁾: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾⁽⁵⁾.

[تَرْكُ التَّلَبُّسِ بِالْعُجْبِ]

ومن⁽⁶⁾ آداب المريد في نفسه أن لا يتلبس بشيء من العُجب، بضمّ العين وسكون الجيم، وهو تصوّر استحقاق رتبة لا يكون المرء مستحقًا لها.

(1) رواه أحمد (40/28 رقم: 16830)، وأبو داود (358/4 رقم: 5229)، والترمذي

(90/5 رقم: 2755) وقال: حديث حسن، وأبو داود الطيالسي (310/2 رقم:

1053)، وعبد بن حميد (ص: 156 رقم: 413) عن معاوية رضي الله عنه، وقال

المنذري في الترغيب والترهيب (289/3): «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

واللفظ الذي أورده المصنف قريب من لفظ الطبراني في الكبير (362/19 رقم:

852)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (154/3 رقم: 1125).

(2) رواه تمام في الفوائد (212/1 رقم: 501)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (80/4) عن

ابن عمر رضي الله عنه، وفيه أبو المهدي سعيد بن سنان ضعيف، قال يحيى بن

معين: سعيد ليس بثقة أحاديثه بواطيل، وقال النسائي: متروك الحديث.

(3) سورة غافر: 35.

(4) في جميع النسخ «إن الله لا يحب المتكبرين» وهو خطأ.

(5) سورة النحل: 23.

(6) نهاية الورقة (66/ظ).

وقيل: هو استعظام النعمة مع نسيان إضافتها للمُنعم.

والتَّخَلَّى منه من الآداب الواجبة.

روى الدَّيْلَمِيُّ في مسنده: «إِنَّ الْعُجْبَ لِيُخْبِطُ عَمَلَ سَبْعِينَ سَنَةً»⁽¹⁾.

وَرُوِيَ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ، وَمَنْ قَالَ: إِنِّي عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنِّي فِي الْجَنَّةِ فَهُوَ فِي النَّارِ»⁽²⁾.

وَرُوِيَ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»⁽³⁾.

(1) كذا نسبه الشارح للديلمي في الفردوس، ولم أجدّه في النسخة المطبوعة، وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (81/6 رقم: 2567) وساق إسناده من من كتاب أبي بكر الشافعي والنسخة المخطوطة لكتاب الفردوس وقال: «وهذا موضوع؛ موسى بن إبراهيم هو المروزي؛ متروك. ومحمد بن خلف بن عبد السلام مروزي أيضا؛ كذبه يحيى بن معين».

(2) هذا الحديث مركب، الشطر الأول منه رواه ابن أبي شيبه (503/7 رقم: 27572) عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا اتَّخَوْفُ عَلَيْكُمْ شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ».

والشطر الثاني رواه الطبراني في الصغير (120/1 رقم: 176) عن يحيى بن أبي كثير قال: «مَنْ قَالَ: إِنِّي عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنِّي جَاهِلٌ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنِّي فِي الْجَنَّةِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ قَالَ إِنِّي فِي النَّارِ فَهُوَ فِي النَّارِ».

(3) رواه البزار (486/13 رقم: 7293)، والطبراني في الأوسط (328/5 رقم: 5452)، وابن شاهين في الترغيب (ص: 18 رقم: 33)، وأبو نعيم في الحلية (343/2)، والقضاعي (214/1 رقم: 325)، والبيهقي في الشعب (203/2 رقم: 731) جميعهم عن أنس رضي الله عنه، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (23/1): «بإسناد ضعيف»، وللحديث شواهد يتقوى بهان ولذا قال المنذري في الترغيب والترهيب (174/1): «وهو مروى عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى».

[التخلي من الرياء]

ومن آداب المريد في نفسه التَّخَلِّي من الرِّياء وعدم التَّلَبُّس به أصلاً، وهو طلب المنزلة عند غيره تعالى بالعبادة.

وأجمعوا على أنه من أصول الأخلاق الذميمة، ويُعَبَّرُ عنه بالشُّرك الخفي.

ويكون الرِّياء بالبدن والهيئة والقول والعمل، وذلك كإظهار النُّحول، وإبقاء أثر السُّجود، ولبس الصُّوف، والوعظ، وتطويل الصَّلاة، وتكثير التَّلامذة.

وورد في ذمّه من الأخبار والآثار ما لا يكاد ينضبط، فمما رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، وَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ فِيكَ⁽¹⁾».

قَالَ: كَذَبْتُ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيَقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟

قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ.

(1) [فيك] ساقط من (ج) و (ه).

قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعْلَمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، وَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟

قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ⁽¹⁾ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هَذَا جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ⁽²⁾، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ⁽³⁾.

[دوام الجوع والسهر]

ثم أشار إلى السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من آداب المريد في نفسه بقوله:

287 - لَا تَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ لَا تَشْبَعُ مِنَ الْمَنَامِ

288 - لَا تَغْتَبِ أَخَا الْإِسْلَامِ لَا تَكُنْ مُمَارِيًا

يعني من⁽⁴⁾ الآداب المتعيّنة على المريد في نفسه دوام الجوع والسهر، وقد تقدّم الكلام عليهما.

(1) في (هـ) سبيلك.

(2) نهاية الورقة (67/و).

(3) رواه أحمد (29/14 رقم: 8277)، ومسلم (1513/3 رقم: 1905)، والنسائي (23/6 رقم: 3137) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) في (هـ) أن من الآداب.

قال سيدي إبراهيم الدسوقي⁽¹⁾: «قوت المريد الصادق الجوع، ووطره الخشوع، يصوم حتى يرق ويلين وتدخل الرقة قلبه، وأما من شبع ونام ولغا في الكلام، فلا يجيء منه شيء في الطريق، والسلام».

[ترك الغيبة]

ومن الآداب الواجبة على المريد في نفسه ترك الغيبة، بكسر الغين المعجمة على وزن فُعْلَة، وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبهته وإلا فقد بهتته، وهي حرام بلا خلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾⁽²⁾.

وفي الحديث: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ»⁽³⁾، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»⁽⁴⁾.

(1) هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد الدسوقي، من أهل دسوق (بغربية مصر)، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهو من كبار الصوفية، له كتاب سماه الجواهر، تفقه على مذهب الشافعي في أوليته ثم اقتفى آثار الصوفية وكثر مريدوه، توفي رحمه الله سنة 676هـ - 1277م.

له ترجمة في: الطبقات الكبرى للشعراني (154/1)، والأعلام (59/1)، ومعجم المؤلفين (79/1)

(2) سورة الحجرات: 12.

(3) [بلا خلاف. قال الله على المسلم حرام] ساقط من (ه).

(4) رواه أحمد (159/13 رقم: 7727)، ومسلم (1986/4 رقم: 2564)، وأبو داود (270/4 رقم: 4882)، والترمذي (325/4 رقم: 1927)، وابن ماجه (1298/2 رقم: 3933) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغِيَّةَ، فَإِنَّهَا أَشَدُّ مِنَ الزَّنا»⁽¹⁾.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ يَخْمُسُونَ وُجُوهَهُمْ بِأَظْفَارِهِمْ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ»⁽²⁾.

وقال قتادة⁽³⁾: «إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٌ: ثُلُثٌ مِنَ الْغِيَّةِ، وَثُلُثٌ مِنَ الْبَوْلِ، وَثُلُثٌ مِنَ النَّمِيمَةِ»⁽⁴⁾.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (118/1 رقم 164)، وفي ذم الدنيا (ص: 13 رقم: 26)، وهناد في الزهد (565/2 رقم: 1178)، والطبراني في الأوسط (348/6 رقم: 6590)، عن جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (92/8): «وفيه عباد بن كثير الثقفي وهو متروك»، ونقل العجلوني في كشف الخفاء (95/2) عن الصغاني أنه قال: موضوع.

(2) رواه أحمد (53/21 رقم: 13340)، أبو داود (269/4 رقم: 4878)، والطبراني في الأوسط (7/1 رقم: 8)، والبيهقي في الشعب (83/9 رقم: 6290)، وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1033/1). واللفظ الذي أورده المصنف رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (119/1 رقم: 165)، وذم الغيبة (ص: 14 رقم: 27).

(3) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وسعيد بن المسيب وغيرهم، وروى عنه أئمة كبار منهم أيوب السختياني، ومعمّر ابن راشد والأوزاعي وغيرهم، توفي سنة 117هـ - 735م. له ترجمة في: التاريخ الكبير للبخاري (185/7)، وسير أعلام النبلاء (269/5)، وتهذيب التهذيب (315/8).

(4) رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر (ص: 136 رقم: 238)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص: 129 رقم: 189)، وفي ذم الغيبة والنميمة (ص: 21 رقم: 52).

وقال الحسن: «وَاللَّهِ لِلْغَيْبَةِ أَسْرَعُ فَسَادًا فِي دِينِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكَلَةِ فِي الْجَسَدِ»⁽¹⁾.

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: «مَنْ مَاتَ تَائِبًا مِنَ الْغَيْبَةِ فَهُوَ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ»⁽²⁾.

[ترك المراء]

ومن آدابه في نفسه ترك المراء، وحقيقته الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير.

روى ابن حبان أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوَّلُ مَا نَهَانِي رَبِّي عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَعَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَعَنْ مُلَاحَاةِ الرِّجَالِ»⁽³⁾.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (ص: 129 رقم: 191)، وفي ذم الغيبة والنميمة (ص: 21 رقم: 54).

(2) رواه القشيري في الرسالة (1/291)، والسمرقندي في تنبيه الغافلين (ص: 165) عن كعب الأحبار.

(3) رواه ابن أبي شيبة (5/97 رقم 24066)، وأبو داود في المراسيل (ص: 344 رقم: 506)، وهناد في الزهد (2/557، رقم 1158) عن عُرْوَةَ بْنِ زُوَيْمٍ مرسلاً.

ورواه الطبراني في الكبير (20/83 رقم: 157)، وأبو نعيم في الحلية (5/253) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي شيبة (7/267 رقم 35961)، الطبراني في الكبير (23/263 رقم: 552)، والبيهقي في الشعب (11/20 رقم: 8082)، والسنن الكبرى (10/327 رقم: 20807)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص: 102 رقم: 134) عن أم سلمة رضي الله عنها.

وقد ضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/1005)

وقال ﷺ: «مَنْ لَأَحَى (1) الرِّجَالَ ذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ» (2).

وعنه (3) ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْأَكْدُ الْخَصِمُ» (4).

وقال ﷺ: «مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بَغَيْرِ عِلْمٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ» (5).

(1) لَأَحَى: أي خاصم، من الملاحاة، وهي المخاصمة والمنازعة والتشاجر ورفع الأصوات، والمراجعة بالقول الذي لا يصلح على حال الغضب؛ انظر لسان العرب (242/15)، وتهذيب اللغة (154/5) مادة: لحا.

(2) رواه الحارث كما في بغية الباحث (819/2 رقم: 853)، وأبو نعيم في الطب النبوي (316/1 رقم: 226)، والدليمي (558/3 رقم: 5751) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البيهقي في الشعب (19/11 رقم: 8081)، وأبو بكر البزاز في كتاب الفوائد (ص: 128 رقم: 83)، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (263/1)، والخطيب في المتفق والمفترق (518/1 رقم: 274) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (111/7 رقم: 2994)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص: 102 رقم: 133)، وفي مداراة الناس (ص: 86 رقم: 96)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (4/12) من قول عيسى عليه السلام. والحديث ضعيف، سُئِلَ عنه أحمد كما في المنتخب من علل الخلال (ص: 89) فقال: هذا باطل، وضعفه الخطيب في المتفق والمفترق.

(3) نهاية الورقة (67/ظ).

(4) متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها. رواه البخاري (537/1 رقم: 2457)، ومسلم (2054/4 رقم: 2668).

(5) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (113 رقم: 153)، وفي ذم الغيبة والنميمة (ص: 10 رقم: 15)، وقوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب (533/1 رقم: 974) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1007/1): «وفيه رجاء أبو يحيى وضعفه الجمهور».

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُنْمِرَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾⁽²⁾.

وقال ﷺ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»⁽³⁾.

ولا ريب في أن القول الطيب يضاد المراء، فيؤخذ من الأمر بالقول الحسن النهي عن ضده وهو القول القبيح، وهو ظاهر.

[غض البصر]

ثم أشار إلى الأدب المكمل العشرين بقوله:

289 - غُضِّ بَصْرَكَ يَا غُلَامَ لَا تَجْلِسْ إِلَى قُدَّامِ

290 - أَنْفِ الْعَفْلَةِ وَالظُّلَامِ عَنْ قَلْبِكَ كُلِّيًا

يقول: ومن آداب المريد في نفسه المتعيّنة عليه أن يغضّ بصره عن الصّور المستحسنة ما استطاع، فإنّ النّظر إليها كالسّم القاتل والسّهم الصّائب، لاسيّما إن لابسه غرض فاسد.

وعن النّظر إلى محارم المسلمين، وعن النّظر إلى مسلم بعين الاحتقار، وعن عيوب النّاس، فإنّ ذلك كلّ من علامات الإفلاس.

(1) سورة: الكهف: 22.

(2) سورة البقرة: 83.

(3) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري (58/2 رقم: 2989)، ومسلم (699/2 رقم: 1009).

[ترك تصدُّر المجالس]

ومن آدابه في نفسه أن لا يتصدَّر في المجالس، وهو المشار إليه بقوله: (لَا تَجْلِسْ إِلَى قُدَّامٍ)، لأنَّ سبب ذلك رؤية النَّفس، وهو من أعظم أمراض القلب، وفي ذلك قيل:

وَلَا تَرَيْنَ فِي الْأَرْضِ دُونَكَ مُسْلِمًا وَلَا كَافِرًا حَتَّى تَغِيبَ فِي الْقَبْرِ
فَإِنَّ حِتَامَ الْأَمْرِ عَنْكَ مُغَيَّبٌ وَمَنْ لَيْسَ ذَا خُسْرٍ يَخَافُ مِنَ الْمَكْرِ

وهذا الأدب هو الواحد والعشرون.

[السعي بجدٍّ في إزالة أسباب الغفلة عن ذكر الله]

وقوله: (أَنْفِ الْغَفْلَةَ وَالظُّلَامَ عَنْ قَلْبِكَ)، أمر بالسَّعي بالجدِّ والاجتهاد في الأسباب المزيللة للغفلة عن ذكر الله تعالى وللحُجُب الظُّلُمانيَّة.

وقوله: (كُلِّيًّا) صفة مصدر محذوف، أي أنف ما ذكر نفياً كُلِّيًّا حتى لا يبقى للغفلة على القلب سبيل.

[الزواج وترك التَّرهُّب]

الثاني والعشرون: من آداب المريد في نفسه أشار إليه بقوله:

291 - إِنْ دَخَلْتَ فِي الْأَوْرَادِ لَا تُطَلِّقْ يَا مُرَادَ

292 - أَلْزَمَ حَالَكَ بِالْأَفْرَادِ لَا تَزِيدُ الزَّوْجِيَا

أي ومن جملة آداب المريد المتعيّنة عليه دون محيد، أنّه إذا كان صاحب زوجة وأراد أن يسلك في طريق الله تعالى على يد شيخ، ليس له⁽¹⁾ أن يفارقها ويفرغ عنها بطلاق أو خلع أو إيلاء أو ظهار، لأجل أن يكون في عدم فراغه عنها كما ينبغي له حقيقة وشريعة، لأنّ المتزوّج لا شكّ أن سورّة شهوته مكسورة، ونظرة لحظه إلى الغير بذلك مأسورة، تساعد على قضاء مآربه اللاّزمة، وتكون هي في صلاح أحوال معاشه قائمة، ولا يحصل له اشتغال فكر وتشّيت أمر بفراقها، ولأنّ بقاءه على ما كان عليه يساعد على الجدّ والاجتهاد في الطريق، مع أنّ الترهّب منهّي عنه، إذ فيه ترك سُنّة النّكاح.

إلاّ إذا كانت غير دينيّة وحالها غير مرضي ولا تساعد على أسباب السّلوک، فتسريحها على ما ينبغي أولى وأحسن.

[الاكتفاء بزوجة واحدة]

وقوله: (أَلْزَمَ حَالَكِ بِالْأَفْرَادِ) معناه أنّك إن كنت ذا زوجة واحدة اقتصر عليها وحدها ولا تشفّعها بأخرى.

وأما قوله: (لَا تَزِيدُ الزَّوْجِيَّ) يحتمل أنّه تصريح بمفهوم ما قبله، فيكون كالتأكيد، والظاهر حمله على التأسيس، وأنّه أشار به إلى الثّالث والعشرين من آداب المريد في نفسه، يعني أن من آداب المريد اللاّزمة له، أنّه إذا كان غير متزوّج وأراد سلوك طريق القوم فلا يتزوّج، بل

(1) نهاية الورقة (68/و).

يبقى على ما كان عليه من العزوبة، كما صرّح بذلك سيدي مصطفى
البكريّ حيث قال:

وَإِنْ يَكُنْ ذَا عُزْبَةٍ لَمْ يَدْخُلْ إِلَّا إِذَا فَاقَ بِنَهْجِ الْكُمْلِ

لأنّ التّزويج أعظم شاغل للمريد عن القيام بلوازم الطّريق من
العبادات الليلية والنهارية، وأجلّ صارف لهّمته عن الاجتهاد فيما هو
متعين عليه من الأحوال القلبية، لاشتغال القلب بالزّوجة إن وقعت
عنده موقعا حسنا، ولما يلزم لها من أمور معاشها ونفقتها ومسكنها،
وذلك أمر قاطع عن طريق الله تعالى.

واعلم أنّه متى وجد المريد في نفسه شغفا أو ميلا إلى النّساء،
فإنّه من عدم اجتهاده في أصول الطّريق، بقطع علائقه عمّا سوى الله
تعالى، وبعدم تهذيب نفسه وقهرها⁽¹⁾ بكلّ مانع لها عن كلّ شاغل.
قوله:

293 - إِلَى فَتْحِ الْبَصِيرَا إِفْعَلْ مَا قَدْ ذُكِرَا

294 - أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَضْرَا لَا تَضُرُّكَ الْأَشْيَا

يعني أنّ المريد يبقى على ما كان عليه من التّزويج إن كان ذا
زوجة، أو العزوبة إن كان ذا عزبة، إلى أن يفتح الله تعالى بصيرته،
وذلك إذا تمكّن من قهر نفسه وبُعْدِ شيطانه، واتّقد نور قنديل عرفانه،

(1) نهاية الورقة (68/ظ).

فإنه حينئذ تنفرج له أبواب المعارف الإلهية، ويتصل بأسباب اللوائح النورانية، ويملكه الله أحواله، ويسدد أفعاله وأقواله، فحينئذ يسوغ له ما كان محجورا عليه، لانتظامه في سلك أهل حضرة الله تعالى، ولا ضير عليه في ارتكاب شيء من ذلك.

[نتائج الجد والاجتهاد في ذكر الله والطاعة]

قوله:

295 - بِدَايُثُكَ مُحْرِقَةٌ نِهَآيُثُكَ مُشْرِقَةٌ

296 - أَطْلُبُ مَقَامَ الثُّقَى تَزْتَقِي إِلَى الْعُلَيَا

يريد رحمة الله تعالى بذلك الحث على الاجتهاد في ذكر الله وطاعته، وأن كل من ابتدأ في أمر ولم يكن له فيه بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة.

والمراد بالإحراق هنا شدة الاجتهاد، أو أن الحرق على حقيقته، حيث أن المريد بالمجاهدة والرياضات⁽¹⁾ يحرق نفسه وشيطانه، تنزيلا لهما منزلة المحروق المتغير أوصافه، لأن النفس تتغير أوصافها بتخلُّقها بالأخلاق الحميدة والطَّباع الرشيّدة، وذلك لا يتحقّق إلاّ باحترق الصفات الذميمة وانمحائها، حتّى لا يجد الشيطان سبيلا إلى الوصول إلى أغراضه.

(1) في (ج) الرياضة.

وهذا البيت كأنه جملة دليل أورده على نتائج الجد والاجتهاد، استنهاضاً لهمة المريد على المداومة على الآداب المذكورة والمجاهدة، لما في عاقبتها من إشراق نهايته وبزوغ شمس إرادته، وبذلك يسهل طلب مقام المتقين، ويرتقي المريد إلى أعلى درجات السالكين.

تنبيه [في تغيير الجلساء واختيار الرفقاء].

بقي من الآداب اللازمة للمريد السالك في منهج أهل التجريد المتعينة عليه في نفسه أن يغير جلساءه، أي من كان يجلس إليه ويرتاح بالعود لديه قبل دخوله الطريق، لأن الغالب عليه⁽¹⁾ إذ ذاك مجالسة أبناء الدنيا، لأنهم الممتحنون بحبها بكلالهم فيها ونظرهم إليها، فمجالستهم لا تخلو عن ذكرها وعن أحوال بنيها، وتلك مضرة عظيمة على المريد مع تضييع الوقت بما لا فائدة فيه، فوجب عليه تغيير جلسائه بمن يُعينه ويساعده على غرضه، ويداويه من مرضه.

وأن يغير لباسه إذا كان لباس المتنعمين، المتخذ من الحرير أو نحوه، أو كان اللباس مقتضياً للشهرة، من حيث إن فيه غرض النفس وإعطاءها ما تريده، ومتى وجد المريد في نفسه حب لباس بعينه فإنه منزع نفساني، فليجتهد في مخالفتها، ومتى استوى عنده لباس الصعلوك ولباس الملوك فذلك هو المراد، وحينئذ فلا يضره أي لباس لبسه.

(1) نهاية الورقة (69/و).

هذا وإنّ هناك قسم من الأولياء يقال لهم المَلَامَتِيَّة، مشتقّ اسمهم من اللّوم، لأنّهم يعملون أشياء متوجه عليهم بها المَلَامَة، ويتظاهرون بأمور مناقضة لمقاماتهم، فيعترض عليهم من جهل حالهم لمغايرة أفعالهم أفعال غيرهم من الأولياء، فتارة يجلسون في مجالس أهل الأهواء، وآونة يلبسون لباس بني الدّنيا؛ وكان منهم في بلادنا⁽¹⁾ قسنطينة سيّدي الحاج السّاسي رحمه الله تعالى، وكثيرا ما يَعْترض عليه بحضرتنا بعض القضاة وأعتذر عنه.

ومنهم مَنْ يحلق لحيته ووجهه زمانا، كما يفعله في زماننا سيّدي العربي الميلي.

ومنهم مَنْ يتكلّم بالكلام الفكّه المُضحك.

وقصدهم في كل ذلك الفرار من اعتقاد الناس فيهم، والتشويش لظواهرهم والقمع لنفوسهم، والأعمال بالنيات.

(1) في (هـ) بلدنا.

فهرس الموضوعات

تقديم بقلم فضيلة الشيخ مأمون القاسمي الحسني	3
مقدمة	10
الفصل الأول: في التعريف بشيخ الطريقة الرحمانية	16
المبحث الأول: الحياة الخاصة والعلمية للشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن	17
المطلب الأول: حياة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخاصة	18
اسمه ونسبه	18
كنيته	20
مولده	20
أسرته	20
نشأته	21
زواجه	21
صفاته	21
المطلب الثاني: حياة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن العلمية	22
تعلمه في الجزائر	22
رحلته إلى المشرق العربي	22
شيوخه بالأزهر	23
تلاميذه	26
المطلب الثالث: آثار الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن	31
المبحث الثاني: نشاطه التربوي	36
نشاطه خارج الجزائر	36
رحلته إلى الهند	36
دخوله إلى السودان	37
عودته إلى مصر	37
المطلب الثاني: نشاطه في الجزائر	38

41	الفصل الثاني: في التعريف بعبد الرحمن ومصطفى باش تارزي
42	المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن باش تارزي
42	المطلب الأول: حياة الشيخ الخاصة
42	اسمه ونسبه
43	نشأته
44	أولاده
44	نشاطه التربوي
46	شهادة العلماء فيه
47	وفاته
48	المطلب الثاني: حياة الشيخ العلمية
48	تلاميذه
49	إنتاجه العلمي
53	المبحث الثاني: الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي
53	المطلب الأول: الحياة الخاصة للشيخ مصطفى باش تارزي
53	تصحيح خطأ
54	اسمه ونسبه
55	مولده
55	نشأته
55	وظائفه
56	شهادات العلماء فيه
57	وفاته
58	المطلب الثاني: الحياة العلمية للشيخ مصطفى باش تارزي
58	تلاميذه
59	مؤلفاته
63	الفصل الثالث: في التعريف بالمنظومة الرحمانية وشرحها
64	المبحث الأول: التعريف بالمنظومة الرحمانية

المطلب الأول: اسم المنظومة ونسبتها إلى الشيخ وتاريخ نشرها	64
اسم المنظومة	64
نسبتها إلى الشيخ	64
نشر المنظومة	65
إقبال الناس على اقتنائها	66
المطلب الثاني: محتويات المنظومة ولغتها وأسلوبها	67
لغة المنظومة وأسلوبها	69
المبحث الثاني: التعريف بكتاب المنح الربانية	71
المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف وتاريخ تأليفه	71
اسم الكتاب	71
نسبة الكتاب إلى المؤلف	71
تاريخ تأليفه	71
سبب تأليفه	72
المطلب الثاني: فائدة الكتاب ومصادره ومنهج المؤلف فيه	74
فائدة الكتاب	74
مصادر الكتاب	74
منهجه	78
مآخذ على الكتاب	79
الخاتمة	79
وصف نسخ الكتاب المعتمدة في التحقيق	80
صور من نُسَخ المخطوطات	83
قسم التحقيق	93
مقدمة الشارح	94
شرح مقدمة الناظم	96
طريق الخلوتية	106
الدعوة إلى الدخول في طريق الصوفية	106

109	الحث على خدمة طريق الصوفية
112	معنى الصوفية
118	دعوة إلى الدخول في الطريقة الرحمانية
121	سند طريق الخلوتية
122	أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القحطولي الزاوي الأزهري
122	أبو عبد الله محمد بن سالم الحفناوي
124	مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي
125	عبد اللطيف الحلبي
126	مصطفى الأنداوي
126	علي قار باشا
126	إسماعيل الجرمي
127	محيي الدين القسطنوني
127	شعبان القسطنوني
127	خير الدين التوقادي
127	جمال الدين الخلوتي
128	محمد بن بهاء الدين الشيرازي
128	يحيى الباكوبي الحلبي
128	صدر الدين الجياني
129	الحاج عز الدين
129	محمد امبرام
129	سيدي عمر
129	محمد الخلوتي
129	إبراهيم الزاهد
129	جمال الدين التبريزي
130	شهاب الدين محمد الشيرازي
130	ركن الدين محمد التجاشي

- 130 قطب الدين الأبهري
- 131 عبد القاهر بن عبد الله بن محمد الشهروردي
- 133 عمر البكري
- 133 القاضي وجيه الدين
- 133 محمد البكري
- 134 ممشاذ الدينوري
- 135 أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري
- 137 أبو الحسن السري بن مفلس السقطي
- 138 أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي
- 140 أبو سليمان داود بن نصير الطائي
- 142 حبيب العجمي
- 143 الحسن البصري
- 145 علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- 155 التحقيق في سند طريق الخلوتية
- 156 دعاء الناظم أن يجعله الله من الأولياء
- 158 دعاء الناظم أن يجعله الله من المخلصين
- 158 حث المرید على سلوك الطريق
- 159 الصدق في خدمة الشيخ والتأدب مع الإخوان
- 161 الترغيب في سلوك الطريقة الخلوتية
- 162 مخالفة النفس والشيطان والإكثار من ذكر الرحمن
- 163 بشرى من النبي ﷺ لابن عبد الرحمن لمن تبع ورده
- 164 بشرى من النبي ﷺ بالأمن من النار لمن رأى ابن عبد الرحمن
- 166 التضرع إلى الله من شر العيوب
- 166 الجهر باتباع طريقة ابن عبد الرحمن الأزهري
- 167 طريقة ابن عبد الرحمن طريقة الأسياد أهل التربية
- 167 توسل الناظم إلى الله أن يجعله من أهل الحضور ويرزقه وقر الصدور

170	 مراتب السلوك
173	 شروط التوبة
174	 مراتب التوبة
174	 معنى الشريعة والحقيقة
177	 الفرق بين الطريقة والحقيقة والشريعة
178	 إشارات الحقيقة وأسرارها
181	 تتمه في الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة
182	 أول الطريق معرفة الله تعالى
184	 وسط الطريق العمل الصالح
185	 حفظ الأعضاء من فعل المناهي
186	 شهود الأعضاء يوم القيامة على صاحبها
186	 حفظ الأعضاء أمان من النار
192	 كيفية التلقين
197	 صورة التلقين
198	 تتمه في تلقين النساء
200	 فوائد التلقين
201	 الاجتهاد في الذكر بعد التلقين
202	 إجابة أرواح الأولياء للمريد الذكر
209	 أدعية التلقين
210	 آداب التلقين
212	 صفة المريد
213	 ذكر اسم الجلالة
215	 وقت ذكر الصلاة على النبي ﷺ
217	 من آداب الصلاة على النبي ﷺ
219	 قراءة دلائل الخيرات في ليلة الجمعة ويومها
221	 كشف الخواطر والمنامات للشيخ

222	إخبار الشيخ بالخواطر والمنامات من غير استفسار
224	تخيل الذاكر صورة شيخه وصورة النبي ﷺ
225	ملازمة المريد لصيام الاثنين والخميس والأيام المرغب فيها
230	أركان الطريق
230	بلوغ مقام الإحسان بمخالفة النفس والشیطان
232	معنى «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»
232	مخالفة النفس والشیطان سبيل الوصول إلى الحضرة القدسية
234	معنى الحضرة القدسية
234	أركان الطريق ثمانية
235	الركن الأول: تقليل الطعام
238	فوائد الجوع
240	الركن الثاني: تقليل النوم
241	مفاسد كثرة النوم
242	تنبيه في أنواع السهر
242	حث الكتاب والسنة على قيام الليل
244	تتمة في عدد ركعات التهجد
246	الركن الثالث: تقليل الكلام
249	الركن الرابع: العزلة
250	فوائد العزلة
252	تنبيه في أنواع العزلة
253	الركن الخامس: كثرة الذكر
255	شروط الذكر
257	تنبيه في الذكر مع الخوف والهيبة والذكر مع الأمن والغفلة
258	الركن السادس: تفريغ الفكر
259	الركن السابع: المداومة على طهارة البدن
261	الركن الثامن: ربط القلب بالشيخ

263		حث وتحضيض على الأركان الثمانية
264		حقيقة المريد
265		مقامات السالكين
267		شروط الورد
267		الشرط الأول: الاستكثار من الذكر في الليل والنهار
270		أقسام الذاكرين
271		الشرط الثاني: المذاكرة
273		ثمرات المذاكرة
273		أقسام المذاكرة
275		الشرط الثالث: زيارة الشيخ
276		فضل الزيارة وثمراتها
278		الزيارة ترقى وتربي
280		تنبيه في أن زيارة الحي أفيد وزيارة الميت أسلم
281		الشرط الرابع: الفرار من الأضداد
283		أوصاف الأضداد الذين يتعين الفرار منهم
295		دعاء الله للحفظ من أمراض القلوب
295		تتمة في الحذر من صحبة المداهنين والجاهلين والغافلين
296		وجوب التزام السالكين بالشروط
297		الآداب مع الشيخ
298		اتباع أمر الشيخ
299		القيام بحق الشيخ
299		حفظ حرمة الشيخ
300		موافقة الشيخ
300		اجتناب ما نهى عنه الشيخ
303		أصول الطريق
303		الأصل الأول: التوبة

305	الأصل الثاني: جهاد النفس
307	الأصل الثالث: حُزْنُ القلب
308	الأصل الرابع: الدعاء
306	تتمة في آداب الدعاء
317	الأصل الخامس: الخوف من الله تعالى
318	مراتب الخوف من الله
319	الأصل السادس: الرجاء
321	أنواع الرجاء
322	الأصل السابع: الورع
323	أقسام الورع
325	الأصل الثامن: التقوى
327	الأصل التاسع: الزهد
329	أقسام الزهد
330	الأصل العاشر : الصبر
330	مراتب الصبر
332	الأصل الحادي عشر: الشكر
334	الأصل الثاني عشر : الفناعة
335	الأصل الثالث عشر: التوكل
338	أصول الطريق هي سبيل الوصول
338	تحذير من المكر ودعوة إلى حسن السير
340	ملازمة حَلَقِ الذِّكْرِ
343	ثمار حضرة الذكر
344	ذكر الله حِصْنٌ حَصِينٌ من العذاب المهين
345	كيفية حلقة الذكر
346	معنى الحلقة
346	استدارة الذّاكرين كحلقة الخاتم

347	أقل عدد الحضرة
348	تنبيه في مشروعية الذكر الجماعي ورفع الصوت به
355	كيفية الاهتزاز حالة الذِّكْر
357	ثمرة الذِّكْرِ اللساني
361	تتمة في دليل الاهتزاز
369	آداب الذِّكْر
370	أقسام آداب الذكر
371	الآداب الواجبة قبل الشروع في الذكر
373	الآداب الواجبة حالة الذِّكْر
375	الصدق حال الذكر
376	الإخلاص في الذكر
377	الذكر بلفظ الجلالة
378	استحضار معنى الذكر بالقلب
379	دلالة كلمة الإخلاص على عقائد الإيمان
380	أقسام صفات الله
383	الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام
385	العقائد الواجبة في حق الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام
386	وجوب معرفة عقائد الإسلام
387	استحضار معاني العقائد عند الذكر
388	نفي كلّ موجود من الخلق حال الذِّكْر
391	الآداب المشروعة بعد الذكر
391	الأدب الأول: السكوت
392	الأدب الثاني: رَمُ النَّفْسِ
393	الأدب الثالث: عدم شرب الماء
394	آداب المريد
395	آداب المريد في نفسه

395	التخلي بالورع
397	خفة الطهارة والتخلي عن الوسوسة
397	الزهد في الدنيا
398	قلة النوم وقت السحر
399	مخالفة النفس والهوى
400	التوكل على الله وتفويض أمر الرزق إليه سبحانه
401	المجاهدة وتعمير الأوقات بالعبادات
402	عدم العجلة في الوصول
402	تنبيه في أثر الاجتهاد في العبادة في الترقى
103	إخفاء الأعمال والأحوال
403	التنزه عن الحسد
404	التنزه عن الخداع والمكر
405	التنزه عن الكذب
406	التَّلَبُّسُ بِالذُّلِّ وترك الكِبَرِ
407	ترك التَّلَبُّسِ بِالْعُجْبِ
409	التخلي من الرياء
410	دوام الجوع والسهر
411	ترك الغيبة
413	ترك المِرَاءِ
415	غض البصر
416	ترك تَصَدُّرِ المجالس
416	السعي بِجِدِّ في إزالة أسباب الغفلة عن ذكر الله
416	الزواج وترك التَّزَهُبِ
417	الاكتفاء بزوجة واحدة
419	نتائج الجِدِّ والاجتهاد في ذكر الله والطاعة
420	تنبيه في تغيير الجلساء واختيار الرفقاء